برادرم محمد صالح ملا دام اقباله

بعد از سلام واضح آنکه

برادرم امام حسن شاه صاحب دام اقباله

بعد از سلام واضح آنکه که کیفیت آن معلوم شد

۳۳۸، ۳۴۴، ۳۴۸

شیخ الاسلام حافظ ابن تیمیہ رد
۶۳، ۱۷۰، ۳۱، ۶۲، ۳۶۵، ۳۸۱، ۴۰۷، ۴۰۸، ۴۰۸
۲۵، ۴۴، ۱۱۴

مسئلہ تشفع و توسل صفحہ ۳۱۶ تا ۳۲۰

۲۶، ۵۰۴ ختم نبوت (۴۰۱)

۲۱۱ حضرت امام ابو حنیفہ رض کا تبحر علمی

۵۲ رفع حضرت عیسیٰ

۱۲۸ نزول حضرت عیسیٰ

لم یخرج فی آخر الزمان دجال

Religion
(Islam)

ع
۲۹۷
۵ ن

فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص

النصيب الاول من كتاب الدين الخالص

طبع في المطبع الانصاري الواقع في الدهلي من اقليم الهند

فهرس النصيب الاول من كتاب الدين الخالص

صفحه	مطالب
٤	النصيب الاول فی بیان اثبات التوحید ونفی الاشراك
″	باب فی الآیات القرآنیة الدالة علی توحید الله تعالی
٢٧	باب فی الادلة الدالة علی توحید الله تعالی
٥٥	باب فی بیان ان من حقق التوحید دخل الجنة والدعاء الی كلمة الشهادة
٧٧	باب فی الكلام علی معنی كلمة التوحید والتحقق به ومایتصل بذلك
١٠٠	باب فی بیان درجات الصاعدین الی مقامات الموحدین
١١٨	باب فی الآیات الواردة فی ذكر المشركین والمشركات من اهل الكتاب وغیرهم وذم الشرك بالله تعالی وبیان انواع شركهم
١٤٣	باب فی مایجب تقدیم ذكره اجمالاً علی بیان رد الاشراك تفصیلاً
١٦٧	باب فی تفسیر اٰیتی الشرك وعدم غفرانه
١٩٢	باب فی اقرار بنی اٰدم بالتوحید فی عالم الذر والاجتناب من الاشراك بالله تعالی والنهی عنه ومایلیه
٢٠٩	باب فی رد الاشراك فی العلم
٢٢٧	باب فی رد الاشراك فی التصرف
٢٥٢	باب فی رد الاشراك فی العبادات
٢٦٤	باب فی رد الاشراك فی العادات من الكتاب العزیز
٢٩١	باب فی رد الاشراك فی العادات من السنة المطهرة
″	فصل فی بیان الاشراك فی الكواكب والنجوم
٢٩٧	فصل فی رد الاشراك فی العرافة والكهانة والعیافة والطرق والطیرة
٣٠٨	فصل فی رد العدوی ونحوها
٣١٤	فصل فی رد الاشراك بالاستشفاع بالله علی احد من مخلوقاته
٣٢٠	فصل فی رد الشرك العادی فی التسمیة والمشیئة والحلف ونذر المعصیة والسجدة لغیر الله تعالی
٣٣٠	فصل فی رد الشرك العادی فی اطلاق لفظ العبد والامة ونحوها وصنع التصاویر
٣٤١	باب فی رد بقیة انواع الشرك مما تقدم اجمالاً اولم یتقدم اصلاً وفیه فصول
″	فصل فی شرك لبس الحلقة والخیط ونحوهما لرفع البلایا ودفعها ومعنی رفع الشیٔ ازالته بعد نزوله ومعنی دفع الشیٔ منعه قبل نزوله
٣٤٢	فصل فی رد شرك الرقی والتمائم
٣٤٧	فصل فی رد شرك من یتبرك بشجر او حجر ونحوهما كبقعة وقبر

صفحه	ابواب و فصول
٣٥١	فصل فی رد شرك الذبح لغير الله وقد تقدم الكلام عليه فی باب الاشراك فی العبادة ايضاً
٣٦١	فصل فی ان من الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره والاستغاثة هی طلب الغوث وهو ازالة الشدة والاستعانة طلب العون
٣٧٨	فصل فی رد الشرك فی الشفاعة
٣٨٦	فصل فی بيان ما جاء فی السحر والكهانة والنشرة ونحوها وانها من وادی الاشراك بالله تعالى
٣٩٩	فصل فی ذكر عبادة بعض هذه الامة الاسلامية الاوثان
٤٠٧	باب [illegible] اتخاذ الانداد من دون الله وما يلی ذلك
٤١٨	فصل من ابواب الشرك الرياء
٤٢٢	فصل ومن باب الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا
٤٢٨	فصل ومن انواعه الحلف بغير الله تعالى
٤٣٢	باب فی مكائد الشيطان ومصائده
"	فصل ومن مكائده ومصائده ما فتن به عشاق الصور
"	فصل اصل كل فعل وحركة فی العالم من الحب والارادة فهما مبدأ لجميع الافعال والحركات

صفحه	ابواب و فصول
٤٣٢	فصل اذا تبين هذا فاصل المحبة المحمودة التی امر الله بها وخلق خلقه لاجلها هی محبته وحده لا شريك له
٤٣٣	فصل اذا تبين هذا فالعبد احوج شیء الى معرفة ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليحرص عليه
٤٣٤	فصل ومن المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل
٤٣٥	فصل ومن ابلغ كيد الشيطان انه يمنی بعض المف[illegible] بالصور الخ
"	فصل وهم اربعة اقسام
٤٣٧	فصل والفتنة بعشق الصور تنافی ان يكون دين العبد كله لله
٤٣٨	فصل والفتنة نوعان فتنة الشبهات وفتنة الشهوات
"	فصل اذا اسلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له الهدى والرحمة
٤٤٢	فصل واما المقام الثانی فكثير من الناس يظن ان اهل الدين الحق يكونون فی الدنيا اذلاء مقهورين مغلوبين دائماً الخ
٤٤٣	فصل وتمام الكلام فی هذا المقام العظيم يبين باصول جامعة نافعة
٤٤٦	فصل فی خاتمة لهذا الباب هی الغاية المطلوبة و

صفحه	ابواب و فصول	صفحه	ابواب و فصول
۴۴۸	فصل فی بیان کید الشیطان لنفسه قبل کیده للابوین	۴۶۴	فصل والفلاسفة لا تختص بامة
۴۴۹	فصل واما کیده للابوین	۴۶۸	فصل ورهبانهم لیسوا علی شئ من الدین
۴۵۴	فصل وتلاعب الشیطان بالمشرکین فی عبادة الاصنام	۴۶۹	فصل فی تلاعبه بالامة الغضبیة وهم الیهود
۴۵۶	فصل ومن اسباب عبادة الاصنام الغلو فی المخلوق	۴۷۰	فصل ومن تلاعبه بهم انهم کانوا فی البریة
۴۵۸	فصل ومن کیده وتلاعبه ما تلاعب بعباد النار حتی اتخذوها الها معبودة	۴۷۱	فصل قالت الامة الغضبیة قد حظرت التوراة امورا کانت مباحة من قبل
۴۵۹	فصل وطائفة اخری عبدت الماء	۴۷۳	فصل ومن تلاعبه بهم انهم اذا اشتق علیهم شئ الخ
۴۶۰	فصل وزین لقوم عبادة الملائکة وتلاعب بالثنویة فعبدوا النور وقالوا الصانع اثنان	۴۷۴	فصل ومن تلاعب الشیطان بهذه الامة الغضبیة الخ
۴۶۱	فصل فی ذکر تلاعبه بالدهریة	"	فصل ومن تلاعبه بهم انهم یقدحون فی الانبیاء
"	فصل وهذه البلایا لیست عامة لجمیع الفلاسفة	۴۷۶	فصل وقد اختلف فی التوراة التی بایدیهم

تمت

فقد تم فهرس النصیب الاول من کتاب الدین الخالص

فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله

الدين الخالص

سنة ١٣١١ھ

طبع في المطبع الأنصاري الواقع في بلدة دهلي

سید عبد الواحد و عبد الرحیم الغزنویان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد حمدا يليق بشانه العلي الرفيع
مسعوداً واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فى الخلق والامر شهادة من لا يتخذ من دونه سبحانه
معبوداً واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الى الخلق كافة وارسله للعالمين رحمة اكرم به
مرسلا مبعوثا اُعطي مقاما محمودا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحملة علومه واولياء امته صلوة
مباركة عليها ولها وفيها وسلاما مرضيا مشهودا اما بعد فيقول الانسان الضعيف المكلف
الحنيف عبدالله ورقيقه وابن عبده وامته ورقيقه عفا الله عنه كل خطأ ونسيان وما استكره عليه
من جهة اي انسان هذا كتاب ناطق ببيان ما دلت عليه كلمة الاخلاص والتوحيد وافهمته من رد
انواع الضلال من الشرك والبدعة والتقليد وهي التي جعلها ابرهيم الخليل عليه السلام كلمة
باقية فى عقبه موصلة اصحابها الى دار السلام طالما كان يخطر لي بالبال ان احرر في تبيك الدلائل
صحيفة كاملة واحبر لهذه المسائل رقيمة حافلة ولكني يعوقني الزمان الحاضر الحائر للفتن عن البلوغ
الى هذا المرام ولا يساعدني الدهر الماشي على خلاف المراد على سلوك هذه السبل سبل السلام
وكنت دائما بالمرصاد لانتهاز الفرص تحصيلا لهذه البغية على ما يراد الى ان وجدت بحمد الله و

حسن توفيقه بفرصة نزرة اختطفتها من أيدي أناء الليل والنهار وزمانا يسيرا اسرقته من حركات الفلك المحدد الدوار مع هجوم الاشغال وتشتت البال من كثرة الاسقام والاعلال واختلاف الرجال فجعلتها وقتا لزبر هذا المرقوم على سبيل الارتجال وجناح الاستعجال بالتفصيل والاجمال فجمعت حسبما تمكنت وقدر ما تحصنت آيات بينات واحاديث شريفات وردت في اثبات التوحيد ونفي الاشراك واتباع السنة ورد البدعات مع تفسيرها الذي حرره العلماء الفحول وشرحها الذي ذعن له سلف الامة وائمتها بالتلقي والقبول ضاما اليها من مقالات اهل العلم المتقدمين منهم والمتاخرين ما وقفت عليها جامعا لاشتات هذه الابواب المتفرقة في الدواوين المؤلفة اليها فجاء بحمد الله اجمع ما جمع في هذا العلم وظني ان هذا المجموع مع كونه شذر مذر لفقد ترتيبه المتقن وعدم تهذيبه المستحسن عزيز الوجود في بابه خطيب الخطباء في مسجد التوحيد ومحرابه يا هذا هذه صحائف العلماء المشهورين المختصرة منها والمطولة بين يديك وهاتيك السياقات العريضة والبطاقات الوجيزة بين ظهرانيك انظر فيها وارجع اليها تجدها لا تبلغ هذا الكتاب ولا ادنى مداه ولا تساوي شيئا منه بل لا تحكي اليسير هداه اذا تاملت في هذا الرقيم صدقت ما قلت لك واذا رقيت على سلم تحقيقه صعدت ان شاء الله تعالى الى اوج الفلك وقلت اني القي الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان كنت ممن احتظى بايثار الحق على الخلق الباطل وعاد جيد فهمك الصحيح عن اغلال الضلال عاطل والا فكم يتلى القرآن الكريم بين ربوعك وكم تدرس هذه السنة المطهرة في مطاوي اسبوعك وانت لا تبالي لها بالا ولا تخاف من غفلتك واعراضك عنها وبالا ولا تلين لها جلود احد من الاقربين والابعدين مع انهم يدعون الاسلام وظنوا انهم من زمرة المسلمين المؤمنين فيا لله العجب من قوم ضربوا اكبادا للعلوم في الاغوار والانجاد اكباد المطايا والخيول ورهط ادركوا من دقائق الفنون كل معروف ومجهول ومحسوس ومعقول لكنهم عن درك الحقائق القرآنية العليا والدقائق الحديثية الحسنى بمعزل حيث يعترفون بجهلهم لها وعجزهم عنها وفي هذا عبرة بالغة للمعتبرين ممن يعرف مدارك الدين ويخاف يوما يقوم الناس فيه لرب العالمين ومن ثم تراهم قد وقعوا من الشرك في حيص بيص واجابوا من البدع بنعم لابليس فهذا السفر جاء نذيرا للمشركين وبشيرا للمسلمين يقود اهل

الايمان الى خلاص التوحيد المفيد وبقيهم عن الاقتحام في النار القائلة هل من مزيد فمن كان شحيحاً بدينه حريصاً على يقينه فعليه ان يصرف ساعة يسيرة من اوقاته الشريفة في الخوض في هذا الكتاب، ومبانيه ويتخذ زاداً كافياً وافياً شافياً لآخرته من محاسن معانيه فعسى الله ان يهديه الى اجتياز الصراط المستقيم وينقذه برحمته الواسعة عن التهافت في نار الجحيم وان اريد من جمع هذا الا الاصلاح وفلاح الاشباح التي فيها تلك الارواح وما توفيقي الا بالله اللهم اصلح لي شاني كله اولاً وشان اخلائي ومن انتفع بهذا الكتاب ثانياً فانه لا مانع لما اعطيت ولا رادّ لما قضيت وهل يتمكن احد من السلامة من البلوى الا من وفقه الله بايثار الحق على الخلق واختيار التقوى فمن ذا الذي يوفق احداً بالخير والطاعة الا الله سبحانه وتعالى فاجعل اللهم توفيقك الحق لنا رفيقاً ولا تجعل هذا ولا ذاك علينا وبالاً وحيث ان هذا المجموع اشتمل على نصيبين نصيب في بيان اثبات التوحيد ونفي الشرك بجميع انواعه والاصناف ونصيب في التحريض على اتباع السنة ورد البدعات باقسامها والاطراف وكان غاية في باب اخلاص التوحيد لله رب العلمين والاجتناب عن الاشراك والبدع تمحيضاً للدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين سميته **الدين الخالص** مقتبساً اسمه من قوله سبحانه الا لله الدين الخالص خلصنا الله وعقبنا وجميع المسلمين عن شرك الاشراك وحلانا بحلي التوحيد الخالص المحض الصرف مع صحيح الادراك فما ذلك بعزيز عليه عز وجل وخير الكلام ما قل ودل

النصيب الاول في بيان اثبات التوحيد ونفي الاشراك

وهو معنى اشهد ان لا اله الا الله وفيه ابواب مفتحة لمن يريد الدخول فيها على وجه الصدق والصواب

باب في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله تعالى

وان كان اخلاص التوحيد لله عز وجل وقطع علائق الشرك كائنة ما كانت لا يحتاج الى ان ينقل فيه اقوال الرجال ويستدل عليه بالادلة فانه الامر الذي بعث الله لاجله رسله وانزل فيه كتبه ففي هذا الاجمال ما يغني عن التفصيل ومن شك في هذا فعليه بالتفكر في القرآن الكريم فانه سيجده من اعظم مقاصده واكبر موارده فان عجز عن ذلك فلينظر في سورة من سوره فان قلت اريد منك مثالاً لاقتدي به وامشي على طريقته واهتدي الى التفكر الذي ارشدتني اليه بتقديم النظر فيه

فنقول ها نحن نقرب لك المسافة ونسهل عليك ما استصعبته ثم نذكر لك بعض آيات الكتاب العزيز على الترتيب القرآني ونبدأ ههنا بما بدأ الله به في كتابه فاعلم ان فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مسلم في كل صلوٰة مرات ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فيها الارشاد الى اخلاص التوحيد في ثلثين موضعا **الاول** قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فان علماء المعاني والبيان ذكروا انه يقدر المتعلق متاخرا ليفيد اختصاص البداية باسم الله تعالى لا باسم غيره وفي هذا المعنى ما لا يخفى من اخلاص التوحيد **الثاني والثالث** الاسم الشريف اعني لفظ الله عز و جل فان مفهومه كما حققه علماء هذا الشان الواجب الوجود المختص بجميع المحامد فكان في هذا المفهوم اشارتين الى اخلاص التوحيد احدهما تفرده بوجوب الوجود وثانيهما اختصاصه بجميع المحامد فاستفيد من الاسم الشريف الذي اضيف اليه لفظ اسم هذان الامران **الرابع** تحلية الرحمن باللام فانها من ادوات الاختصاص سواء كانت موصولة كما هو شان آلة التعريف اذا دخلت على المشتقات او لمجرد التعريف كما يكون اذا دخلت على غيرها من الاسماء والصفات وقد اوضح هذا المعنى اهل البيان بما لا مزيد عليه **الخامس** اللام الداخلة على قوله الرحيم والكلام فيها كالكلام في الرحمن **السادس** اللام الداخلة على قوله الحمد لله فانها تفيدان كل حمد له ومقصور عليه لا يشاركه فيه غيره وفي هذا اعظم دلالة على اخلاص توحيده **السابع** لام الاختصاص الداخلة على الاسم الشريف فان مقتضى هذا انه لا حمد لغيره اصلا وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم وقد تقرر ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم فلا ثناء الا عليه ولا جميل الا منه ولا تعظيم الا له وفي هذا من ادلة اخلاص التوحيد ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه وما ليس عليه بمزيد **الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر** قوله رب العلمين فان لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مشعر اتم اشعار باخلاص توحيده هذا باعتبار معناه الافرادي دون الاضافي ثم في معناه الاضافي دلالة اخرى فان كونه رب العلمين يدل على ذلك ابلغ دلالة ثم في لفظ العالمين معنى ثالث فانه قد تقرر لغة وشرعا ان العالم هو اسم لمن عدا الله عز وجل وسواه فيدخل في هذا كل شئ غير الله سبحانه فلا رب غيره وكل من عداه فهو مربوب ثم في تعريفه باللام معنى رابع بمثل ما قدمنا فانها تفيد زيادة الاخلاص وتفرد

ذلك المفهوم فی هذا الموضع ثم فی صیغة الجمع معنی خامس بزیادة تاکید وتقریر فان العالم ان
کان اسما لمن عدا الله لم یکن جمعا الا لمثل هذا المعنی وعلی فرض لهذا مه باللام فهو لا یقتضی
ذهاب هذا المعنی المستفاد من اصل الجمع **الثالث عشر والرابع عشر** قوله
الرحمن الرحیم وتقریر الکلام فیهما کما سلف **الخامس عشر والسادس عشر** قوله
مالك یوم الدین فان لفظ مالك ومعناه الافرادی من غیر نظر الی معناه الاضافی
یفید استحقاقه باخلاص توحیده ویفید انه لا ملك لغیره فلا ینفذ الا تصرفه لا
تصرف احد من خلقه من غیر فرق بین نبی مرسل وملك مقرب وعبد صالح وهکذا معنی
کونه ملك علی القراءة الاخری وهما السبعیتان فانه یفید ان الامر امره والحکم حکمه
لیس لغیره معه امر ولا حکم کما انه لیس لغیر ملوك الارض معهم امر ولا حکم ولله المثل الاعلی
ثم فی معناه الاضافی الی یوم الدین معنی ثان فان من کان له الملك فی مثل هذا الیوم الذی
هو یوم الجزاء لکل العباد وفیه یجتمع العالم اولهم واخرهم سابقهم ولاحقهم جنهم وانسهم وملائکتهم
فهو المستحق لافراده بالعبادة وفیه اشارة الی استحقاق اخلاص توحیده وقد فسر الله هذا
المعنی الاضافی المذکور فی فاتحة الکتاب هذه فی موضع آخر من کتابه العزیز فقال وما
ادراك ما یوم الدین ثم ما ادراك ما یوم الدین یوم لا تملك نفس لنفس شیئا والامر یومئذ لله
ومن کان یفهم کلام العرب ونکته واسراره کفته هذه الایة عن غیرها من الادلة واندفعت
لدیه کل شبهة **السابع عشر** ما یستفاد من نفس لفظ الدین من غیر نظر الی کونه مضافا الیه
الثامن عشر ما یستفاد من تعریفه فان فی ذلك زیادة احاطة وشمول فان ذلك الملك
اذا کان فی یوم هو یوم الدین الذی یشتمل علی کل دین کان من له هذا الملك حقیقا بان
یخلص العباد توحیده ویفردوه بالعبادة کما انفرد بملك یوم له هذا الشان فان قلت هذان
المعنیان الکائنان فی لفظ الدین باعتبار اصله وباعتبار تعریفه قد اخذا فی معنی الاضافی
حسبما ذکرته سابقا قلت لا تزاحم بین المقتضیات ولا یستنکر النظر الی الشیئ باعتبار معناه
الافرادی تارة وباعتبار معناه الاضافی اخری ولیس ذلك بممنوع ولا محجور عند من یعرف
العلم الذی یستفاد منه دقائق العربیة واسرارها وهم اهل علم المعانی والبیان **التاسع عشر**

والموفي عشرين والحادي والعشرون قوله اياك نعبد فان تقديم
الضمير معمولا للفعل الذي بعده قد صرح ائمة المعاني والبيان وائمة التفسير انه يفيد
اختصاص العبادة به سبحانه وتعالى ولا يشاركه فيها غيره ولا يستحقها ومن اخلص بالعبادة
فهو الحقيق باخلاص توحيده وقد تقرر ان الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب
من انواع العبادة ثم مادة هذا الفعل اعني لفظ نعبد تفيد معنى آخر ثم المجيء بنون الجماعة لكون
هذا الكلام صادرا عن كل من تقوم به العبادة من العابدين كذلك فكانت الدلالات في هذه
الجملة ثلثا الأولى في اياك مع النظر الى الفعل الواقع بعده الثانية ما تفيده مادة نعبد مع ملاحظة كونها
واقعة لمن ذلك الضمير عبارة عنه واشارة اليه الثالثة ما تفيده النون مع ملاحظة الامرين المذكورين
ولا تزاحم بين المقتضيات الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع
والعشرون قوله واياك نستعين فان تقديم الضمير ههنا معمولا لهذا الفعل له معنى وهو
يقتضي انه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الامور التي لا يقدر عليها غيره ثم مادة هذا الفعل لها
معنى آخر فان من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي ان يكون له شريك بل يجب افراده بالعبادة واخلاص
توحيده اذ وجود من لا يستعان به كعدمه وتقرير الكلام في الثلث الدلالات كتقريره في اياك نعبد
فلا نعيده وصيغ الحصر اذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والاصول بلغت ثلاث
عشرة صيغة فصاعدا ومن شك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري فانه سيجد فيه ما ليس له ذكر
في كتب المعاني والبيان كالقلب فانه جعله من مقتضيات الحصر ولعله ذكر ذلك عند تفسيره
للطاغوت وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه ومع الاحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الادلة
الدالة على اخلاص التوحيد وابطال الشرك بجميع اقسامه الخامس والعشرون و
السادس والعشرون والسابع والعشرون قوله اهدنا الصراط المستقيم
فان طلب الهداية منه وحده باعتبار كون هذا الفعل واقعا بعد الفعلين اللذين تقدم معمولهما
فكان له حكمهما وان كان قد تغير اسلوب الكلام في الجملة حيث لم يقل نستهدي او نطلب الهداية فهي
يصح ان يكون ذلك الضمير المتقدم المنصوب معمولا له تقديرا لكن مع بقاء المخاطبة وعدم الخروج
عما يقتضيه لم ينقطع النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل اعني

اهدنا وبین من اسند الیه ثم فی ضمیر الجماعة معنی یشیر الی استحقاقہ سبحانه اخلاص التوحید
علی الوجه الذی قدمناه فی الفعلین السابقین ثم فی کون هٰذه الهدایة هی هدایة الصراط المستقیم
التی هی الهدایة بالحقیقة ولا اعتبار بهدایة الی صراط لا استقامة فیه معنی ثالث یشیر الی ذلک
المدلول **الثامن والعشرون** قوله صراط الذین انعمت علیهم فان من یهدی الی هذا الصراط
الذی هو صراط من انعم الله علیهم یستحق ان لا یشتغل بغیره ولا ینظر الی سواه لان الایصال
الی طرائق النعم هو المقصود من المشی والمراد بحرکات السائرین وذلک کنایة عن الوصول الی النعم
انفسها اذ لا اعتبار بالوصول الی طرائقها من دون وصول الیها فکان وقوع الهدایة علی الصراط
المستقیم نعمة بمجردها لان الاستقامة اذا تصورت عند تصور الاعوجاج کان فیها راحة
بهذا الاعتبار فکیف اذا کان ذلک کنایة عن طریق الحق فکیف اذا کان حقا موصلا الی الفوز
بنعیم الله سبحانه **التاسع والعشرون** قوله غیر المغضوب علیهم ووجه ذلک ان الوصول
الی النعم قد یکون منغصا مکدرا بشیء من غضب المنعم سبحانه فاذا صفا ذلک عن هذا الکدر
وانضم الی الظفر بالنعمة الظفر بما هو احسن منها موقعا عند العارفین واعظم قدرا فی صدور
المتقین وهو رضاء رب العلمین کان فی ذلک من البهجة والسرور ما لا یمکن التعبیر عنه ولا
الوقوف علی حقیقته ولا تصور معناه واذا کان المولی لهٰذه النعمة والمتفضل بها هو الله سبحانه
ولا یقدر علی ذلک غیره ولا یتمکن منه سواه فهو المستحق لاخلاص توحیده وافراده بالعبادة
الموفی ثلاثین قوله ولا الضالین ووجهه ان الوصول الی النعم مع الرضاء قد یکون
مشوبا بشیء من الغوایة مکدرا بنوع من انواع المخالفة وعدم الهدایة وهذا باعتبار اصل الوصول
الی نعمة من النعم مع رضاء المنعم بها فانه لا یستلزم سلب کون المنعم علیه علی ضلالة لا باعتبار
هذه النعمة الخاصة من هذا المنعم عز وجل ولما کان الامر فی الاصل هکذا کان فی وصول
النعم الی المنعم علیه من المنعم بها مع کونه راضیا علیه غیر غاضب منه اذا کان ذلک الوصول
مصحوبا بکون صاحبه علی الضلالة فی نفسه قصورا عن وصولها الی من کان جامعا بین کونه واصلا
الی المنعم فائزا برضاء المنعم علیه خالصا من کدر کونه فی نفسه علی ضلالة وتقریر الدلالة من هذا
الوجه علی اخلاص التوحید کتقریرها فی الوجه الذی قبله **هذه ثلثون** دلیلا مستفادة

من سورة الفاتحة باعتبار ما يستفاد من تراكيبها العربية مع ملاحظة ما يفيده ما اشتملت عليه
من تلك الدقائق والاسرار التى هى راجعة الى العلوم الآلية وداخلة فيما تقتضيه تلك الالفاظ
بحسب المادة والهيئة والصورة مع قطع النظر عن التفسير بمعنى خاص قاله بعض السلف او وقف
عنده من بعدهم من الخلف وهذه المواضع يفيد كل واحد منها اخلاص التوحيد مع ان فاتحة
الكتاب ليست الا سبع آيات فما ظنك بما فى سائر الكتاب العزيز وهذا كالبرهان على ان فى الكتاب
العزيز من ذلك ما يطول تعداده وتتعسر الاحاطة به فلو استعملت مثل هذا التدبر واعملت الكفر
لمثل هذا التفكر فى سائر الآيات الدالة على اخلاص توحيده تعالى وافراده بالعبادة وقطع وسائل
الشرك وعلائقه لظفرت باكثر من هذا الذى ذكرناه ووجدت دقائق واسرارا غير ما سقناه وستمر بك
آيات فى هذا الباب فادخل فيها بقلب سليم بالاخلاص والصواب تظهر عليك فوائدها و
تحو د اليك عوائدها ان شاء الله تعالى وهو المستعان وبيده التوفيق والاحسان وكتاب
مدارج السالكين فى شرح منازل السائرين الذى فسر فيه الشارح فاتحة الكتاب فى مجلدين
ضخيمين احسن ما جمع فى باب الاخلاص والتوحيد السنى الصافى عن اكدار الآراء وشوب الاهواء
فعليك بها ان كنت تريد التوحيد المفيد وتعرف قدر هذا العلم الشريف الحميد وترجو لقاء
الله تعالى يوم المزيد فان قلت هذه الادلة التى استخرجتها من هذه السورة المباركة وبلغت بها
الى هذا العدد وجعلتها ثلاثين دليلا على مدلول واحد واستفدتها من كلام العلامة القاضى
محمد بن على الشوكانى اليمانى قدس سره لم نجد لك فيها سلفا ولا سبقك بها غيرك قلت هذه
شكاة ظاهر عنك عارها واعتراض غير واقع موقعه ولا مصادف محله فان القرآن عربى وهذا
الاستخراج لما ذكرناه من الادلة هو على مقتضى اللغة العربية وبحسب ما تقتضيه علومها التى دونها
الثقاة ورواها العدول الاثبات الذين كانوا ائمة الدين وخدمة الشرع المبين وليس هذا من التفسير
بالرأى الذى ورد النهى عنه والزجر لفاعله بل من الفهم الذى يعطاه الرجل فى كتاب الله كما اشار اليه
على بن ابى طالب رضى الله عنه فى كلامه المشهور وما كان من هذا القبيل فلا يحتاج فيه الى سلف و
الى دليل وكفى بلغة العرب العرباء وعلومها المدونة بين ظهرانى الناس على ظهر البسيطة سلفا
وحيث انتهى الكلام بنا الى هذا المقام واشرنا الى ما يستفاد من بعض العلوم المعدة لتفسير كتاب الله

العزيز لاسيما من سورة فاتحة الكتاب التي هي شفاء من كل داء لاولى الالباب فلنزجع الى ذكر الآيات الشريفة والنصوص الكريمة الواردة في بيان التوحيد واثبات الاخلاص مقتصرا في تفسير معانيها على اوجز لفظ واحضر عبارة طاويا للكشح عن الكلام على مبانيها ومفاهيمها على الوجه الذي سقناه في هذه السورة احالة لدقائقها وحقائقها على افهام العلماء الفحول الناظرين في هذا الكتاب فاقول وبالله اجول واصول **قال الله تعالى** يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون النداء في الاصل طلب الاقبال والمراد به هنا التنبيه والخطاب عام لسائر المكلفين واصل العبادة غاية التذلل وهو اقصى غايات الخضوع والعبودية ادنى منها وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده ولا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى قال ابن كثير وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف قال ابن عباس في الآية وحدوا وقيل كل ما ورد في القرآن من العبادة معناه التوحيد قال الشيخ العلامة علي المهايمي في تفسيره تبصير الرحمن اعبدوا ربكم فان مقتضى حقيقة الرب ان يكون معبودا وحقيقة العبد ان يكون عابدا سيما اذا انعم عليه باجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه **وقال تعالى** واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله قال اهل العلم عبادة الله اثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما انزل الله في كتابه والآية خبر بمعنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشان المنهي عنه وتاكد طلب امتثاله حتى كانه امتثل واخبر عنه **وقال تعالى** ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون له التوحيد والعبودية **وقال تعالى** والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم معناه لا شريك له في الالوهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شئ من خلقه فيه تقرير للوحدانية بنفي الالوهية من غيره واثباتها له وفيه الارشاد الى التوحيد وقطع العلائق والاشارة الى ان اول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه هو امر التوحيد ومن ثم ورد عن اسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد الخ والم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابن ماجه

شيبة واحمد والدارمي وابوداود والترمذي وصححه وابن ماجه وآخرج الديلمي عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شئ اشد على مردة الجن من هؤلاء الآيات التي فى سورة البقرة والٰهكم اله واحد الآيتين وذلك لاشتمال هذه الآيات على اثبات التوحيد ونفي الشرك **وقال تعالى** الله لا اله الا هو الحي القيوم الى آخر الآية وهي آية الكرسي وهي افضل آية فى القرآن قد اشتملت على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد فى الالوهية متصف بالحيوٰة الابدية واجب الوجود لذاته موجد لغيره عن ابيّ بن كعب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله اى آية من كتاب الله اعظم قال آية الكرسي قال ليهنك العلم ابا المنذر اخرجه احمد ومسلم وقد ورد فى فضلها غير هذا لاشتمالها على اصول التوحيد **وقال تعالى** الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اى هو المستحق للعبودية لا يستحقها احد سواه **وقال تعالى** لا اله الا هو العزيز الحكيم فيه بيان توحيد الالوهية والربوبية وحصرهما فيه سبحانه وتعالى **وقال تعالى** شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع الواحد قال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير وفى القرآن من دلائل التوحيد كثير طيب وتكرير قوله لا اله الا هو للتاكيد وفائدة تكريرها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه وفيه حث العباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها اشتغل بافضل العبادات وبالاشتغال بها ترسخ قدم التوحيد فى قلوب العباد وقوله العزيز الحكيم لتقرير معنى الوحدانية والدين كما قال الزجاج اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والمعنى ان الدين المرضي هو الاسلام المبني على التوحيد كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا قال قتادة الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء به الرسول من عند الله وهو دين الله شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياءه لا يقبل غيره **وقال تعالى** وما من اله الا الله فيه رد على من قال بالتثليث من النصارى **وقال تعالى** قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس

بيان اعظم آية فى القرآن وافضلها

ما يدل على وجود الصانع

فيجعلوا الواحد ثلثة ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير واشارة الى ان هؤلاء من جنس البشر وبعض منه وازراء على من قلد الرجال في دين الله فحلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه فان من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده ربا ومنه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله **وقال تعالى** ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا خلاف بين المسلمين ان المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التي يتفضل الله بها على غير اهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وظاهره ان المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة وان لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة والاول اولى ومع ذلك فلا شك في ان التوبة محاء الذنوب وقد ورد الامر بها في آيات كثيرة واحاديث طيبة وهي ارجى آية لاهل التوحيد فانه سبحانه لم يؤيسهم عن المغفرة عن علي عليه السلام ما في القرآن احب الي من هذه الآية ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما **عن** جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم والمعنى اختلق ذنبا كبيرا غير مغفور ان مات عليه **وقال تعالى** الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه هذه الآية فيها بيان التوحيد نزلت في منكري البعث ومن اصدق من الله حديثا وقد نص على حشر الاموات من القبور وجمعهم للحساب في يوم لا ريب في اتيانه ومن انكر البعث انكر التوحيد **وقال تعالى** ولا تقولوا ثلثة اي لا تقولوا آلهتنا ثلثة كما قالت النصارى وهم مع تفرق مذاهبهم متفقون على التثليث ويعنون بالثلثة الثلثة الاقانيم فيجعلونه سبحانه جوهرا واحدا له ثلثة اقانيم ويعنون بها اقنوم الوجود واقنوم الحياة واقنوم العلم ويعبرون عنها بالاب والابن وروح القدس فيعنون بالاب الوجود وبالروح الحيوة وبالابن المسيح وقيل المراد بالآلهة الثلاثة الله سبحانه وتعالى ومريم والمسيح وقد اختبط النصارى في هذا اختباطا طويلا ووقفنا في الاناجيل الاربعة التي يطلق عليها اسم الانجيل عندهم على اختلاف كثير في عيسى فتارة يوصف بانه ابن الانسان وتارة يوصف بانه ابن الله واخرى بانه ابن الرب هذا تناقض ظاهر وتلاعب

بالدين والحق ما اخبرنا الله به القران وما خالفه فى التوراة والانجيل والزبور فهو من تحريف المحرفين وتلاعب المتلاعبين ومن اعجب ما رأيناه ان الاناجيل الاربعة كل واحد منها منسوب الى احد من اصحاب عيسى عليه السلام وحاصل ما فيها جميعا ان كل واحد من هؤلاء الاربعة ذكر سيرة عيسى من عند ان بعثه الله الى ان رفعه وذكر ما جرى له من المعجزات والمراجعات لليهود ونحوهم فاختلفت الفاظهم و اتفقت معانيها وقد يزيد بعضهم على بعض بحسب ما يقتضيه الحفظ والضبط وذكر ما قاله عيسى عليه السلام وقيل له وليس فيها من كلام الله سبحانه شئ ولا انزل على عيسى من عنده كتابا بل كان عيسى عليه السلام يحتج عليهم بما فى التوراة ويذكر انه لم يأت بما يخالفها وهكذا الزبور فانه من اوله الى اخره من كلام داود عليه السلام وكلام الله اصدق وكتابه احق قد اخبرنا ان الانجيل كتابه انزله على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام وان الزبور كتابه آتاه داود وانزله عليه انتهوا خيرا لكم اى عن التثليث انما الله اله واحد لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد سبحانه ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وهو متعال عن التجزئة و صفات الحدوث ولكن جعل هؤلاء الكفار له من عباده جزءا ان الانسان لكفور **وقال تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اى ان الله حل فى ذات عيسى وان مريم ولدت الها فرد الله عليهم بقوله وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اى فكيف يدعون الالهية لمن يعترف على نفسه بانه عبد مثلهم ودلائل الحدوث ظاهرة عليه **وقال تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة القائل بهذا هم النصارى والمراد بالثلثة الله وعيسى ومريم كما يدل عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وهذا هو المراد بقولهم ثلثة اقانيم اقنيم الاب واقنيم الابن واقنيم روح القدس قد تقدم الكلام على ذلك وهو كلام معلوم البطلان ولا ترى فى الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وما من اله الا اله واحد فيه بيان التوحيد اى ليس فى الوجود اله لا ثانى له ولا شريك له ولا ولد ولا صاحبة له الا الله سبحانه ولفظة من لتاكيد الاستغراق المستفاد من النفى قاله الزمخشرى وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر وهذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى شديد الالم وجيع فى الاخرة **وقال تعالى** وجعلوا لله شركاء الجن اى فعبدوهم كما عبدوه وعظموهم كما عظموه اى اطاعوهم فى عبادة الاوثان وقيل المراد بالجن هنا الملائكة

لاجتنانهم اى استتارهم وهم الذين قالوا الملئكة بنات الله وقيل نزلت فى الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قاله الكلبى وابن السائب وابن عباس ويقرب من هذا قول المجوس للعالم صانعان هما الرب والشيطان وفى لغتهم الرب يزدان والشيطان اهرمن وهكذا القائلون بان كل خير من النور وكل شر من الظلمة وهم المانوية وخلقهم اى وقد علموا ان الله خلقهم او خلق ما جعلوه شركاء لله وهذا كالدليل القاطع على ان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شريكا له وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون اى تباعد وارتفع عن قولهم الباطل الذى وصفوه به بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ جملة مقررة لما قبلها لان من كان خالقا لكل شئ استحال منه ان يتخذ بعض مخلوقاته ولدا وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه من مخلوقاته خافية ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اى مما سيكون كما خلق فى الماضى ومن كانت هذه صفاته فهو الحقيق بالعبادة التى هى التوحيد الخالص والاسلام السالم عن كدر الشرك وشوب الكفر فاعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن ليس له من هذه الصفات العظيمة شئ وهو على كل شئ وكيل اى رقيب حفيظ

وقال تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو اول الرسل الى اهل الارض بعد ادم عليهما السلام قال ابن عباس كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق وما قيل ان ادريس قبل نوح فقال ابن العربى انه وهم قال المازرى فان صح ما ذكره المورخون كان محمولا على ان ادريس كان نبيا غير مرسل فقال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه بالعبادة والطاعة الخالصة عن الشرك ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم ان عبدتم غيره عذاب يوم عظيم فيه بيان دعاية الانبياء الى توحيد الرب وتسجيل بالعذاب العظيم على عابدى غيره سبحانه وتعالى

وقال تعالى والى عاد اخاهم هودا قال المفسرون سماه اخا لكونه ابن ادم مثلهم وبه قال الزجاج والعرب تسمى صاحب القوم اخاهم وفيه دلالة على جواز اطلاق لفظة الاخ على الرسل والانبياء بناء على المثلية فى البشرية والصحبة فضلا لا يلزم عن ذلك استخفافا لهم وتدفعه هذه الاية وهى عاد الاولى وعاد الثانية قوم صالح وكان بينه وبين نوح ثمان مائة سنة وعاش اربعمائة واربعا وستين سنة وكانت عاد ما بين اليمن

والشام مثل الذر وقيل كانت منازلهم بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذى عند عمان وحضرموت وكان الرجل من عاد ستين ذراعا بذراعهم وقيل كانوا اثنى عشر ذراعا طولا وقال ابن عباس كان الرجل منهم ثمانين ذراعا قيل وكانت هامة الرجل مثل القبة العظيمة قال يقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون اى تخافون ما نزل بكم من العذاب الى قوله قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصدقين . قال اهل العلم هذا داخل فى جملة ما استنكروه وهكذا يقول المقلدة لاهل الاتباع والمبتدعة لاهل السنة كانهم هم وقال تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وكان اخاهم فى النسب لا فى الدين وبينه وبين هود مائة سنة وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله وعاش صالح مائتين وثمانين سنة قال يقوم اعبدوا الله اى وحدوه ولا تشركوا به شيئا مالكم من اله غيره يستحق ان يعبد سواه وقال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا عن عكرمة والسدى قالا ما بعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة الى مدين فاخذتهم الصيحة ومرة الى اصحاب الايكة فاخذهم الله بعذاب الظلة وكان شعيب اعمى وكان قومه اهل كفر وبخس فى المكيال والميزان قال يقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره فيه دعاية الى التوحيد وتنبيه لهم على ذلك وقال تعالى قالوا يموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال البغوى لم يكن ذلك شكا من بنى اسرائيل فى توحيد الله وانما المعنى اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله وظنوا ان ذلك لا يضر وفيه بعد وقيل انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله فحملهم جهلهم على ما قالوا قال اى موسى انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل لانهم قد شاهدوا من ايات الله ما يزجر من له ادنى علم عن طلب عبادة غير الله ولكن هؤلاء القوم اعنى بنى اسرائيل اشد خلق الله عنادا وجهلا الى قوله قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العلمين من اهل عصركم وقال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اى ما امروا فى الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة انبيائهم الا بعبادة الله وحده وفيه ما يزجر من كان له قلب والقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله وتاثير ما يقوله الاسلاف من العلماء والمشائخ والاساتذة والكبراء على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فان طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الامة وائمتها وشيوخها مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وانبياؤه كاتخاذ اليهود والنصارى الاحبار والرهبان اربابا من دون الله للقطع بانهم لم يعبدوهم بل اطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا صنيع المقلدين الائمة المجتهدين

من هذه الامة وهو اشبه به شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء والكلام على هذا
يطول جدا وسياتى بعضه فى هذا الكتاب فى موضعه ان شاء الله تعالى والمراد هنا بيان ان التوحيد
هو المامور به والشرك هو المنهى عنه وفيه ان التقليد نوع من انواعه اعاذنا الله منه **وقال تعالى**
فان تولوا اى اعرضوا عنك ولم يعملوا بما جئت به ولا قبلوه فقل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
حسبى الله اى كافى لا اله الا هو اى المتفرد بالالوهية عليه توكلت اى فوضت جميع امورى اليه
لا الى غيره وهو رب العرش العظيم فيه بيان التوحيد والثقة بالله تعالى **وقال تعالى** والى عاد
اخاهم هودا اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين وكانوا عبدة اوثان وقد تقدم مثل ذلك و
تقدم الكلام عليه قال يقوم اعبدوا الله اى وحدوه ولا تشركوا معه شيئا فى العبادة ما لكم من اله
غيره ان انتم الا مفترون اى كاذبون على الله بالشرك وفيه الارشاد الى عبادة الله وحده وانه لا
اله لكم سواه **وقال تعالى** والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تقدم
الكلام عليه **وقال تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لما كان
الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء دعاهم اليه وقد تقدم الكلام على ذلك **وقال تعالى**
يا صاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار استفهام انكار مع التوبيخ والتقريع
اورد يوسف عليه السلام هذه الحجة القاهرة على طريق استفهام لانهما كانا ممن يعبد الاصنام
ما تعبدون من دونه الا اسماء فارغة لا مسميات لها وهى الالهة التى تعبدونها من دون الله وقيل
خطاب لاهل السجن جميعا لا لخصوص الصاحبين وهذا هو الاظهر وكذلك ما بعده من الضمائر
سميتموها انتم واباؤكم من تلقاء كم بمحض جهلكم وضلالتكم ليس لها من الالهية شئ الا مجرد الاسماء
لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم فى العبادة
المتفرع على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات امر ان لا تعبدوا الا اياه حسب
ما تقتضيه قضية العقل ايضا بين ان عبادته وحده دون غيره هى دين الله الذى لا دين غيره ذلك
الدين القيم اى المستقيم الثابت العدل الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لجهلهم وبعدهم عن الحقائق او لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون قال اهل
العلم وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه **وقال تعالى**

قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ربى لا اله الا هو اى لا يستحق العبادة له والايمان به سواه
عليه توكلت واليه متاب اى توبتى فيه تعريض بالكفار وحث على الرجوع الى الله والتوبة من الكفر
والشرك والدخول فى التوحيد والاسلام **وقال تعالى** قل انما امرت ان اعبد الله وحده و لا
اشرك به بوجه من الوجوه الظاهرة والخفية وهذا امر اتفقت الشرائع عليه وتطابقت على عدم
انكاره جميع الملل المقتدية بالرسل اليه ادعوا اى الى الله وحده لا الى غيره واليه مآب اى مرجعى
يوم القيمة للجزاء **وقال تعالى** وبرزوا لله الواحد القهار اى ظهروا من قبورهم
ليستوفوا جزاء اعمالهم لله المتفرد بالالوهية والوحدانية الكثير القهر لمن عانده **وقال
تعالى** هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له وليذكر
اولوا الالباب اى اصحاب العقول السليمة والافهام الصحيحة **وقال تعالى** ان انذروا انه لا
اله الا انا فاتقون اى مروهم بتوحيدى واعلموهم ذلك مع تخويفهم لان فى الانذار تخويفا و
تهديدا وهو تحذير لهم من الشرك بالله **وقال تعالى** الهكم اله واحد صرح بما هو الحق فى
نفس الامر وهو وحدانيته سبحانه وتعالى **وقال تعالى** وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
فيه رد على من يقول بالهين ويعبدهما من دون الله انما هو اله واحد فى ذاته وصفاته فاياى
فارهبون اى ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى لا غيرى فى التركيب افاد الحصر **وقال تعالى**
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى امر امرا جزما وحكما قطعا وحتما مبرما وقرأ ابن عباس ووصى
مكان وقضى **وقال تعالى** هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا فيه اقرار بالوحدانية وانكار
على المشرك الى قوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا **وقال تعالى** وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا فيه نفى الشرك واثبات التوحيد
وقال تعالى له غيب السموت والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك
فى حكمه احدا فيه اثبات توحيد الربوبية ونفى الاشراك **وقال تعالى** قل انما انا
بشر مثلكم اى آدمى حالى مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الالهية ولا الى الملكية يوحى
الى انما الهكم اله واحد لا شريك له فى الالوهية والملك وفى هذا ارشاد الى التوحيد فمن كان
يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا من خلقه سواء كان صالحا

او طالحاً حیوانا اوجماداً قال اهل العلم دخول الشرك الجلی الذی کان یفعله المشرکون تحت هذه الآیة هو المقدم علی دخول الشرك الخفی الذی هو الریاء ولا مانع من دخول الخفی تحتها انما المانع من کونه هو المراد بهذه الآیة وبالجملة فیه الارشاد الی العمل الصالح وهو التوحید المبنی علی الاسلام والنهی عن الشرك بالله شیئاً کائناً ما کان **وقال تعالی** الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنی ای لا اله فی الوجود الا هو وهو المستحق لها وهی التسعة والتسعون التی ورد الحدیث الصحیح بها **وقال تعالی** اننی انا الله لا اله الا انا فاعبدنی لان اختصاص الالهیة به سبحانه موجب لتخصیصه بالعبادة **وقال تعالی** انما الهکم الله الذی لا اله الا هو وسع کل شیء علما ای وسع علمه کل شیء وصفة علمه سبحانه امام ائمة الصفات **وقال تعالی** لو کان فیهما الهة الا الله لفسدتا ای لو کان فی السموات والارض الهة معبودون غیر الله لبطلتا بما فیهما من المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلك من فیهما لوجود التمانع من الالهة علی العادة عند تعدد الحاکم من التمانع فی الشیء وعدم الاتفاق علیه لان کل امر صدر عن الاثنین فاکثر لم یجر علی النظام ویدل العقل علی ذلك قیل هذا دلیل اقناعی بحسب ما یفهمه المخاطب وبحسب ما فرط منهم قال الحناوی والتفتازانی والصحیح ان الآیة حجة قطعیة الدلالة والقول بانها حجة اقناعیة قول منکر والکلام علی تفصیل هذا الاجمال یطول جدا واقول الادلة القرآنیة والحجج الفرقانیة علی توحید الله تعالی تغنی عن البراهین الکلامیة والمسائل العقلیة والدلائل الفلسفیة فی هذا المقصود ولیس وراء بیان الله بیان ودونه خرط القتاد قال الرازی القول بوجود الهین یفضی الی المحال ثم ذکر دلائل ذلك وقال هذه حجة تامة فی مسئلة التوحید والفساد لازم علی کل التقدیرات التی قدرها واذا وقفت علی هذا عرفت ان جمیع ما فی العالم العلوی والسفلی من المحدثات والمخلوقات والکائنات فهو دلیل علی وحدانیته تعالی واما الدلائل السمعیة علی التوحید فکثیرة طیبة فی القرآن وفی الاحادیث فسبحان الله رب العرش عما یصفون ای تنزه عما لا یلیق به من ثبوت الشریك له وفیه ارشاد للعباد الی تنزیهه سبحانه عما لا ینبغی له ولا یلیق به **وقال تعالی** وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحی الیه انه لا اله الا انا فاعبدون فیه تقریر لامر التوحید الذی نطقت به الکتب الالهیة واجمعت علیه الرسل وقد صرح به دلیل النقل ودلیل العقل وقامت علیه حجة الله تعالی

الآیة حجة قطعیة لا اقناعیة

وقال تعالىٰ فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظلمين هذا القول من يونس عليه السلام اعتراف بوحدانيته تعالىٰ اوله تهليل واوسطه تسبيح وآخره اقرار بالذنب وتوبة من الخطيئة قال ذلك وهو فى بطن الحوت فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين الداعين بهذا الدعاء المشتمل على خالص التوحيد المطلوب من العباد **وقال تعالىٰ** ان هذه امتكم امة واحدة اى ان هذا دينكم دين واحد لا اختلاف بين الامم المختلفة فى التوحيد ولا يخرج عن ذلك الا الكفرة المشركون بالله وانا ربكم فاعبدون خاصة لا تعبدوا غيرى كائناً ما كان **وقال تعالىٰ** قل انما اوحى الى انما الهكم اله واحد اى ان الذى يوحى الى هو ان وصفه تعالىٰ مقصور على الوحدانية لا يتجاوزها الى ما يناقضها او يضادها فهل انتم مسلمون اى منقادون مخلصون للعبادة ولتوحيد الله والمراد بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا **وقال تعالىٰ** فالهكم اله واحد فله اسلموا اى انقادوا واخلصوا واطيعوا وتقديم الظرف على الفعل للقصر **وقال تعالىٰ** ذلك بان الله هو الحق اى ذو الحق فدينه حق وعبادته حق ونصره لاوليائه على اعدائه حق ووعده حق ووعيده حق فهو عز وجل فى نفسه وافعاله وصفاته كلها حق وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى ان الذى يدعونه الهاً وهى الاصنام والاوثان ونحوها هو الباطل الذى لا ثبوت له ولا لكونه الهاً او المعدوم فى حد ذاته ع الا كل شئ ما خلا الله باطل * وعموم الاية ناصٌ على ان كل معبود من دون الله تعالىٰ كائناً ما كان حيوان وجماد ونبات ذاهب فانٍ زائل ومن كانت هذه صفته فهو لا يستحق للدعاء الذى هو العبادة التى هى التوحيد وقيل الباطل هو الشيطان وان الله هو العلى الكبير اى العالى على كل شئ من خلقه بذاته المتقدس عن الاشباه والانداد المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال المنزه عما يقوله الظالمون والمعطلون والمتكلمون الخائضون فيما لم يكن يصلح لهم الخوض فيه وهو ذو الكبرياء الذى يصغر كل شئ سواه وهو عبارة عن كمال ذاته وعظيم قدرته وسلطانه وتفرده بالالهية **وقال تعالىٰ** ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه وهو آدم الثانى لانحصار النوع الانسانى بعده فى نسله وعاش من العمر الف سنة ونحو ربع مائة فقال يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه ولا تشركوا به شيئاً ما لكم من اله غيره افلا تتقون تخافون ان تتركوا عبادة ربكم الذى لا يستحقها غيره وليس

لكم اله سواه **وقال تعالىٰ** فارسلنا فيهم رسولا منهم هو قوم هود او ثمود او شعيب عليه السلام ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون **وقال تعالىٰ** فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم اى تنزه عن الشركاء والاولاد وهو الملك الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجاداً و اعداماً بدءً واعادة احياء واماتة عقاباً واثابة وكل ماسواه مملوك له بالذات مقهور لملكوته مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال **وقال تعالىٰ** ويعلمون ان الله هو الحق المبين انما سمى سبحانه الحق لان عبادته هى الحق دون عبادة غيره وقد سمى بالحق اى الموجود لان نقيضه الباطل وهو المعدوم **وقال تعالىٰ** الله لا اله الا هو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات كما ثبت ذلك فى المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وقال تعالىٰ** ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صلحاً ان اعبدوا الله اى وحدوه فاذا هم فريقان يختصمون المراد بهما المؤمنون منهم والكافرون **وقال تعالىٰ** ءاله مع الله الذى يوليكم هذه النعم الجسام قليلاً ما تذكرون ما زائدة لتقليل القليل وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نفى تذكرهم رأساً **وقال تعالىٰ** ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون اى تنزه وتقدس عن وجود ما يجعلونه له شريكا **وقال تعالىٰ** ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم اى حجتكم عقلية او نقلية على ان لله سبحانه شريكا او على ان ثم صانعا يصنع كصنعه ان كنتم صدقين وفى هذا تبكيت لهم وتهكم بهم **وقال تعالىٰ** وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المؤمنون فى الاخرة كما حمدوه فى الدنيا والتحميد ثمه على وجه اللذة لا على وجه الكلفة اللهم انى احمدك على نعمك كلها التى لا احصيها كثرة على كثرة ذنوبنا فتب علينا انك انت التواب الرحيم وله الحكم اى القضاء النافذ فى كل شئ فيقضى بين عباده بما شاء من غير مشارك واليه لا الى غيره ترجعون بالبعث والنشور والخروج من القبور **وقال تعالىٰ** من اله غير الله اى هل لكم من اله بزعمكم من الالهة التى تعبدونها يأتيكم بضياء ويرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم افلا تسمعون هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر وهذا توبيخ على ابلغ وجه **وقال تعالىٰ** من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون هذه المنفعة ابصار متعظ متيقظ حتى تنزجروا عما انتم فيه من عبادة غير الله فاذا اقروا بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد لزمتهم الحجة وبطل ما يتمسكون به من الشبهة الساقطة

التحميد فى الاخرة على وجه اللذة

وقال تعالیٰ لا اله الا هو کل شئ هالك الا وجهه قال ابن عباس لما نزلت کل من علیها فان
قالت الملئکة هلك اهل الارض فلما نزلت کل نفس ذائقة الموت قالت الملئکة هلك کل نفس فلما
نزلت هذه الآیة قالت الملئکة هلك اهل السماء والارض قال اهل العلم المستثنی من الهلاك و
الفناء ثمانیة اشیاء نظمها السیوطی رحمه الله تعالیٰ فی قوله ؎ ثمانیة حکم البقاء یعمها * من الخلق و
الباقون فی حیز العدم * هی العرش والکرسی ونار وجنة * وعجب وارواح کذا اللوح والقلم * وفی
الآیة نعی علی اهل الشرك الذین یقولون بالهیة دون الله بفناء کل ماسوی الله وقال تعالیٰ
وابراهیم اذ قال لقومه اعبدوا الله ای افردوه بالعبادة وخصوه بها ووحدوه واطیعوا وفیه اشارة
الی اثبات الاله الواحد الفرد واتقوه ان تشرکوا به شیئا وفیه اشارة الی نفی الغیر لان من یشرك فی
الملك غیره فی ملکه فقد اتی باعظم الجرائم ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون ای توحید الله وعبادته
وتقواه خیر لکم من الشرك ولا خیر فی الشرك ابدا ولکنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم وقال تعالیٰ
والی مدین اخاهم شعیبا فقال یقوم اعبدوا الله ای افردوه بالعبادة وخصوه بها وارجوا الیوم الآخر
ای توقعوه وافعلوا الیوم من الاعمال ما یدفع عذابه عنکم فیه اثبات التوحید واثبات القیامة وقال
تعالیٰ والهنا والهکم واحد لا شریك له ولا ند ولا ضد ونحن له مسلمون مطیعون له خالصة
لم نقل عزیر ابن الله ولا المسیح ولد الله ولا اتخذنا احبارنا ورهباننا اربابا من دون الله وقال تعالیٰ
واذا غشیهم موج کالظلل ای کالجبال التی تظل من تحتها دعوا الله وحدوه مخلصین له الدین ای
لا یعولون علی غیره فی خلاصهم لانهم یعلمون انه لا یضر ولا ینفع سواه ولکنه یغلب علی طبائعهم العادات
وتقلید الاموات فاذا وقعوا فی مثل هذه الحالة اعترفوا بوحدانیة الله تعالیٰ واخلصوا دینهم له طلبا
للخلاص والسلامة مما وقعوا فیه لزوال ما ینازع الفطرة الایمانیة من الهوی والتقلید بما دهاهم من الشدائد
فلما نجاهم الی البر صاروا قسمین فمنهم مقتصد ای عدل موف فی البر بما عاهد علیه الله فی البحر
من اخلاص الدین له باق علی ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر وما یجحد بآیاتنا الا کل ختار کفور ای
ومنهم کافر لم یوف بما عاهد والختار الغدار والجاحد والکفور عظیم الکفر وقال تعالیٰ
الله ربکم له الملك فیه اثبات صفة الربوبیة له سبحانه واثبات الملك له فهو الخالق المقدر والقادر
المقتدر المالك للعالم والمتصرف فیه لا شریك له فی هذا احد کائنا من کان وقال تعالیٰ

غيره وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وامروا رسوله بان يكون مثلهم في الشرك **وقال تعالى**
لا اله الا هو اليه المصير اى مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله
فيدخل النار وذلك في اليوم الآخر **وقال تعالى** فادعوا الله مخلصين له الدين اى العبادة التى امركم بها
ولو كره الكافرون ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم **وقال تعالى**
لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا اهلك كل من في السموات والارض يقول الرب تبارك و
تعالى هذا القول فلا يجيبه احد فيجيب تعالى نفسه فيقول لله الواحد القهار قال الحسن هو السائل
وهو المجيب حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه وقيل غير ذلك وهذا اظهر واولى **وقال تعالى**
ذلكم الله ربكم خالق كل شئ اى الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية لا اله
الا هو فانى تؤفكون اى فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان
مع قيام البرهان **وقال تعالى** ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين اى كثر خيره وبركته
هو الحى لا اله الا هو اى الباقى الذى لا يفنى المتفرد بالالوهية وهذا التركيب يفيد الحصر وفيه
اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة فادعوه اى اعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة
والعبادة من الشرك الحمد لله رب العلمين اى احمدوه قال الفراء وعن ابن عباس قال من قال لا اله الا
الله فليقل اثرها الحمد لله رب العلمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الاية **وقال**
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد قال اهل العلم معناه انى لا اتميز عنكم
لولا الوحى ولم اكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في اكنة مما ادعوكم اليه وفي اذانكم وقر ومن
بينى وبينكم حجاب ولم ادعكم الى ما يخالف العقل وانما ادعوكم الى التوحيد وقيل المعنى انى لا اقدر على
ان احملكم على الايمان قسرا فانى بشر مثلكم ولا امتياز لى عنكم الا انى اوحى الى التوحيد والامر به فعلى
البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان ابيتم هلكتم وقيل المعنى انى لست بملك انما انا بشر مثلكم وقد
اوحى الى دونكم فصرت بالوحى نبيا ووجب عليكم اتباعى فاستقيموا اليه اى بالطاعة ولا تميلوا
عن سبيله واستغفروه لما فرط منكم من الذنوب والشرك وما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل **وقال تعالى** ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا اى عبادة الله وحده من العمل
بشرائعه صراط مستقيم وهذا اتمام كلام عيسى عليه السلام **وقال تعالى** [illegible]

انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن القبول فيه بيان التوحيد الالٰهى ونعى على
اهل الشرك **عن** ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على
الله وانزل الله فى كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم الاٰية **وقال تعالىٰ** وما من اله يستحق العبادة
الا الله الواحد القهار لكل شئ سواه رب السموات والارض وما بينهما العزيز الذى لا يغالبه مغالب
الغفار لمن اطاعه **وقال تعالىٰ** فاعبد الله مخلصا له الدين اى من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه والدين العبادة والطاعة و
راسها توحيد الله وانه لا شريك له وفى الاٰية دليل على وجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان
الاخلاص من الامور القلبية التى لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة بان ملاك
الامر فى الاقوال والافعال النية كما فى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية
الا لله الدين الخالص اى الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله سبحانه وتعالىٰ وما سواه
من الاديان فليس بدين الله الخالص الذى امر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله
وعن يزيد الرقاشى يرفعه ان الله لا يقبل الا ما اخلص له ثم تلا هذه الاٰية **وقال تعالىٰ** هو الله
الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق اى هو المتوحد فى ذاته فلا مماثل له القاهر لكل
مخلوقاته فلا يستحق العبادة احد سواه **وقال تعالىٰ** ذلكم الله ربكم له الملك الحقيقى فى
الدنيا والاخرة لا شركة لغيره فيه لا اله الا هو فانى تصرفون اى فكيف تنصرفون عن عبادته و
تنقلبون عنها الى عبادة غيره او تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان **وقال تعالىٰ**
قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى اعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك
وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة قال علماء التفسير وكذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فانه اول من خالف دين آبائه ودعا الى التوحيد ومعنى الاولية السبق بحسب
الزمان فالمراد بالسبق السبق بحسب الدعوة فان الافضل لمن يدعو الغير الى خلق كريم ان يدعو
نفسه اليه اولا ويتخلق به حتى يؤثر فى الغير كسنة الانبياء والصالحين لا الملوك والمتجبرين **وقال**
تعالىٰ وما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به

ثانيهما خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل ان يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان عن البنات والبنين وعن ان يكون مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه **وقال تعالى** هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم فيه من بيان التوحيد وصفاته العليا واسمائه الحسنى ما لا يخفى على من له ادنى المام بمدارك الشرع الشريف والدين الحق الحنيف عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر رجلا اذا اوى الى فراشه ان يقرأ آخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا اخرجه ابن السنى وابن مردويه وعن ابى امامة يرفعه من قرأ خواتيم الحشر فى ليل او نهار فمات من يومه او ليلته اوجب الله له الجنة اخرجه البيهقى فى شعب الايمان وابن عدى وابن مردويه والخطيب **قال تعالى** الله لا اله الا هو اى هو المستحق للعبادة دون غيره فوحده ولا تشركوا به شيئا **و قال تعالى** رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اى اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذه قائما بامورك وعول عليه فى جميع مهماتك وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر قال البقاعى وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال فى طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا فى السبب منتظرا للمسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا فى المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير صاحبة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب **وقال تعالى** قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هذه السورة لها اسماء كثيرة طيبة منها سورة الاخلاص وهى مصرحة بالتوحيد رادة على عباد غير الله تعالى كائنا ما كان وفى اى مكان كان ناعية على القائلة بالتثنية والتثليث وهى اربع او خمس آية عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم انسب لنا ربك فانزل الله هذه السورة وفى الباب روايات عن جماعة من الصحابة وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انى احب هذه السورة فقال حبك اياها ادخلك الجنة رواه احمد والترمذى وابن الضريس والبيهقى وقد ورد من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح

والارض وما بینهما ان کنتم موقنین لا اله الا هو یحیی و یمیت ربکم ورب آبائکم الاولین بل هم فی شک یلعبون اضرب عن کونهم موقنین الی کونهم فی شک من التوحید و البعث و فی اقرارهم بان الله خالقهم و خالق سائر المخلوقات و انما یقولونه تقلید الآبائهم من غیر علم وان ذلک منهم علی طریقة اللعب و الهزو فی دینهم بما یعن لهم من غیر حجة **وقال تعالی** واذکر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف و قد خلت النذر من بین یدیه و من خلفه الا تعبدوا الا الله وحده انی اخاف علیکم عذاب یوم عظیم ای هائل بسبب شرککم **وقال تعالی** فاعلم انه لا اله الا الله ای اذا علمت ان مدار الخیر هو التوحید و الطاعة و مدار الشر هو الشرک و العمل بمعاصی الله فاعلم انه لا اله غیره ولا رب سواه والمعنی اثبت علی ذلک واستمر علیه و دم علی ما انت علیه من العلم بالوحدانیة فانه النافع یوم القیامة لانه علیه السلام کان عالما بانه لا اله الا الله قبل هذا ویدل علیه قوله صلی الله علیه وآله وسلم من مات وهو یعلم انه لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم **وقال تعالی** وما خلقت الجن والانس الا لیعبدون قال مجاهد لیعرفونی قال الثعلبی هذا قول حسن لانه لو لم یخلقهم لما عرف وجوده و توحیده وقیل لامرهم وانهاهم ویدل علیه قوله وما امروا الا لیعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما یشرکون واختاره الزجاج وقال زید بن اسلم هو ما جبلوا علیه من السعادة و الشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقیاء للمعصیة وقال الکلبی المعنی لیوحدون فاما المؤمن فیوحده فی الشدة و الرخاء واما الکافر یوحده فی الشدة دون النعمة و قال جماعة لیخضعوا الی و یتذللوا و معنی العبادة فی اللغة الذل و الخضوع والانقیاد و کل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشیئته منقاد لما قدره علیه خلقهم علی ما اراد و رزقهم کما قضی لا یملک واحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا وقال ابن عباس ای لیقروا بالعبودیة طوعا او کرها او عنه قال علی ما خلقتهم علیه من طاعتی ومعصیتی وشقوتی وسعادتی والمعانی متقاربة ولا مانع من الحمل علی الجمیع قیل هذا لا ینافی تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لان هذا البعض وان لم یعبد الله لکن فیه التهیؤ والاستعداد الذی هو الغایة بالحقیقة وهذا الحسن **وقال تعالی** ام لهم اله غیر الله یحفظهم ویرزقهم وینصرهم ویکشف السوء عنهم و یغیثهم و یعینهم وهذا الاستفهام انکاری علی معنی نفی الحصول من اصله ای لیس لهم فی الواقع اله غیر الله سبحان الله عما یشرکون ما یحتمل وجهین احدهما ان تکون مصدریة مغناه سبحانه عن اشراکهم

لیوحدون

وما هو حسن وهذه السورة قد تجردت لبيان توحيد الالوهية وصفاته العليا وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله سبحانه و ما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بذلك والله اعلم بما هنالك ومعنى الكفو المثل اى ليس كمثله شئ قاله ابن عباس ومن زعم ان نفى الكفو والمثل فى الماضى لا يدل على نفيه فى الحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة وكذا فى الاستقبال اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يئول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل بادل الدليل ومجال القول فى تفسير هذه السورة واسع جدا لا ياتى عليه الحصر وقد افرده بعض اهل العلم بالتاليف المستقل وفيما ذكرناه مقنع وبلاغ **وقال تعالى** قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس قال ابن القيم رح فى تفسير المعوذتين واما سورة الناس فقد تضمنت ايضا مستعاذا به ومستعاذا منه ومستعيذا فاما المستعاذ به فهو رب العالمين رب الناس ملك الناس اله الناس فذكر ربوبيته للناس وملكه اياهم والوهيته لهم ولابد من مناسبة فى ذكر ذلك فى الاستعاذة من الشيطان فاضافهم فى الكلمة الاولى الى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم واصلاحهم وحفظهم مما يفسدهم وهذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة و رحمته الواسعة وعلمه بتفاصيل احوالهم واجابة دعواتهم وكشف كرباتهم واضافهم فى الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه وهو المتصرف بهم المدبر لهم كما شاء النافذ القدرة فيهم فهو ملكهم الحق الذى اليه مفزعهم فى الشدائد والنوائب فلا صلاح لهم ولا قيام الا به واضافهم فى الكلمة الثالثة الى الوهيته لهم فهو الههم الحق ومعبودهم المطلق الذى لا اله سواه ولا معبود لهم غيره فكما صح انه وحده ربهم ومليكهم لم يشاركه فى ربوبيته ولا فى ملكه احد فكذلك هو وحده الههم ومعبودهم فلا ينبغى ان يجعل معه شريكا فى الالهية والمعبودية كما لا ينبغى ان يجعل معه شريكا فى ربوبيته وملكه وهذا طريقة القرآن يحتج عليهم سبحانه وتعالى باقرارهم هذا التوحيد على ما انكروه من توحيد الالوهية والعبادة فاذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا غيره فلا ينبغى ان يدعى الا اياه ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه و لا يذل لغيره ولا يخضع الا له لا لسواه ولا يتكل الا عليه لان من ترجوه او تخافه او تدعوه اما ان يكون مربيك والقيم باموراك فلا رب لك سواه او يكون ملكك ومعبودك الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم مماليكه و

عبيده اويكون معبودك والهك الذى لاتستغنى عنه طرفة عين بل حاجتك اليه اعظم من حاجتك الى روحك وحياتك وهو اله الخلق واله الناس الذى لا اله لهم سواه فهم جديرون ان لايستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من اعدى العدو واعظمهم عداوة ثم انه سبحانه وتعالى كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه فيقول رب الناس وملكهم والههم تحقيقا لهذا المعنى فاعاد ذكرهم عند كل اسم من اسمائه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايرة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب واخر الالهية لخصوصها لانه سبحانه انما هو اله من عبده ووحده واتخذه الها دون غيره فمن لم يعبده ويوحده فليس بالهه وان كان فى الحقيقة لا اله سواه ولا مستحق للعبادة الا اياه لكنه ترك الهه الحق واتخذ الها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبية والالوهية لان الملك هو المتصرف بقوله وامره المطاع اذا امر فملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكهم من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وملكه يستلزم الهيته فهو الرب الملك الاله خلقهم بالربوبية وقهرهم بالملك واستعبدهم بالالوهية فتامل هذه الجلالة وهذه العظمة التى تضمنتها هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معانى جميع اسمائه الحسنى اما تضمنها لمعانى اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطى النافع الضار المقدم المؤخر يهدى ويضل ويشقى ويسعد ويعز ويذل الى غير ذلك من معانى الربوبية واما الملك فهو الامر الناهى المعز المذل الذى يصرف امور عباده كما يحب ويقلبهم كيف يشاء فهو العزيز الجبار المتكبر الخافض الرافع القابض الباسط العظيم الجليل الولي المتعال الملك القدوس المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى معانى الملك واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال الحاوي لتمام نعوت الجلال والجمال فيدخل فى هذا جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول ان الله اصله الاله وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى والصفات العليا واسرار احكام الله تعالى اعظم واعز واجل من ان تدركها عقول البشر وانما غاية اولى العلم الاستدلال على ما يظهر منها على ما وراءه انتهى كلام ابن القيم رح ونحوه قرر الكلام وحقق المقام فى تفسير سورة الفلق ايضا فراجعه

باب فى الادلة الدالة على توحيد الله تعالى

ايضا وحكاية اقوال اهل العلم فى بيان انواعه وبما يتصل بذلك قال الله تعالى ولقد بعثنا

ملخص سورة الناس لابن القيم

معنى الطاغوت

فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فيه الامر بالتوحيد والنهى عن الشرك والامر حقيقة فى الوجوب كما ان النهى حقيقة فى التحريم على ما قرره علماء البيان والمعانى ومادة لفظة طاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد قال عمر رضى الله عنه الطاغوت الشيطان وقال جابر الطواغيت الكهنة كانت تنزل عليهم الشياطين وقال مالك الطاغوت كل ما عبد غير الله وقال ابن كثير الطاغوت الشيطان وكل ما زينه من عبادة غير الله وقال ابن القيم الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع فطاغوت كل قوم ما يتحاكمون اليه غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة الله فهذه طواغيت العالم اذا تاملتها وتاملت احوال الناس معها رايت اكثرهم ممن اعرض عن عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته ومعنى الاية انه سبحانه اخبرنا انه بعث فى كل طائفة من الناس رسولا بهذه الكلمة ان اعبدوا الله اى وحدوه واخلصوا له العبادة ولا تشركوا به شيئا اى شئ كان من اى شخص فى اى مكان واجتنبوا الطاغوت اى اتركوا عبادة ما سواه عز وجل اى عبادة كانت من التى نهى عنها الله ورسوله ولم ياذن بها احد كما قال سبحانه وتعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهذا معنى لا اله الا الله فانها هى العروة الوثقى قال ابن كثير فى هذه الاية كلهم يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه فلم يزل الله تعالى يرسل الرسل الى الناس بذلك منذ حدث الشرك فى قوم نوح وكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض الى ان ختمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى طبقت دعوته الجن والانس فى المشارق والمغارب كلهم كما قال تعالى فى هذه الاية قالوا اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة غيره كائنا ما كان فكيف يسوغ لاحد من المشركين بعد هذا ان يقول لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ فمشيئته الشرعية عنهم منفية لانه نهاهم عن ذلك على السنة رسله واما مشيئته الكونية وهى تمكينهم من ذلك قدرا فلا حجة لهم فيه لانه تعالى خلق النار واهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله فى ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ولهذا قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة انتهى فكانت الحكمة فى ارسال الرسل دعوتهم امهم الى عبادة الله وحده والنهى عن عبادة ما سواه وان هذا هو دين الانبياء والمرسلين كلهم اجمعين اكتعين ابصعين كما اخبر بذلك ربنا رب العالمين

حيث قال وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وان اختلفت فيه
شريعتهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا **و قال تعالى** واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا المراد بالعبادة هنا التوحيد مع اخلاص العمل لكونها واقعة في مقابلة النهي عن الاشراك و
التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد
في الطلب والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة وتسمى دين الاسلام توحيدا لان مبناه على ان الله
واحد في ملكه وافعاله لا شريك له وواحد في ذاته لا ندله وواحد في الوهيته وعبادته والى هذه الانواع
الثلثة ينقسم توحيد الانبياء والرسل الذين جاؤا به من عند الله وهي متلازمة فكل نوع منه لا ينفك
عن الاخر فمن اتى بنوع منها ولم يأت بالاخر فما ذلك الا انه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب قال ابن
القيم الاول يعني توحيد المعرفة هو اثبات حقيقة الرب تعالى وصفاته وافعاله واسمائه وتكلمه بكتبه و
تكليمه بمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد افصح القران عن هذا النوع
جد الافصاح كما في اول الحديد وطه واخر الحشر واول الم تنزيل السجدة واول ال عمران وسورة الاخلاص
وغير ذلك والثاني يعني توحيد الطلب والقصد هو ما تضمنته سورة قل يا ايها الكافرون
وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
واول سورة تنزيل الكتاب واخرها واول سورة المؤمن ووسطها واخرها واول سورة الاعراف
واخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القران بل كل سورة فيه هي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة
به داعية اليه فان القران اما خبر عن الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله واقواله فهو التوحيد العلمي
الخبري واما دعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي
الطلبي واما امر ونهي والزام بطاعته في كل ما يؤتى به ويذر فهو من حقوق التوحيد ومكملاته واما
خبر عن اكرام اهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الاخرة فهو جزاء توحيده واما خبر
عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والوبال فهو جزاء
من خرج عن حكم التوحيد فالقران كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شان الشرك واهله و
جزائهم انتهى قال شيخ الاسلام ابن تيمية رح التوحيد الذي جاءت به الرسل انما جاء يتضمن اثبات الالهية
لله وحده بان يشهد ان لا اله الا هو ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له ولا يعادي الا فيه

فالتوحيد نوعان

ولا يعمل الا لاجله وذلك يتضمن اثبات ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون واخبر عن كل نبي من الانبياء انهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده لا شريك له وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله وقال عن المشركين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ءانا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون وهذا في القرآن كثير وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من اهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء انهم اذا اثبتوا ذلك بالدليل فقد اثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا شهدوا بهذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فان الرجل لو اقر بما يستحقه الرب من الصفات ونزهه عن كل ما تنزه عنه واقر بانه وحده خالق كل شئ لم يكن موحدا حتى يشهد ان لا اله الا الله فيقر بان الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ولا يستحقها غيره ويلتزم بعبادته تعالى وحده لا شريك له والاله هو المالوه المعبود الذي يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الخلق فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد ان هذا اخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمي الصفاتية وهو الذي يقولون عن ابي الحسن واتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله فان مشركي العرب كانوا مقرين بان الله وحده خالق كل شئ وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون الى قوله فانى تسحرون فليس كل من اقر بان الله رب كل شئ وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه داعيا له دون ما سواه راجيا له خائفا منه دون ما سواه يوالي له ويعادي فيه ويطيع رسله ويامر بما امر به وينهى عما نهى عنه وعامة المشركين اقروا بان الله خالق كل شئ واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا وفي القرآن الكريم آيات في ذلك الباب كثيرة ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا جعلتها سببا وواسطة لم اكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا شرك انتهى كلامه رح

لا يكفي مجرد توحيد الربوبية

وحاصله ان الانسان لا يصير موحداً حتى يقر بتوحيد الالوهية كما يقر بتوحيد الربوبية وان كثيراً من الناس لا يهتدون سبيلاً الى هذا المقام فيقرون بالنوع الثانی ولا يقرون بالنوع الاول وينكرونه جهلاً منهم فهم فی الحقيقة مشركون وعليهم هذا النعی فی الكتاب العزيز والسنة المطهرة وان رسل الله وانبياءه من اولهم الى اخرهم بعثوا لدعاء العباد الى توحيد الله تعالى بتوحيد العبادة واخلاص العمل له فكل واحد من الرسل اول ما يقرع به اسماع قومه قوله يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وان لا تعبدوا الا اياه وان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ونحوه من الأيات التی سبقت فی الباب الاول وهذا هو الذی تضمنه قول لا اله الا الله فانما دعت الرسل قومها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ومعناها هو افراده سبحانه بالالهية والعبادة والنفی لما يعبد من دونه والبراءة منه وهذا الاصل لا مرية فيما تضمنه ولا شك فيه وانه لا يتم ايمان احد حتى يعلمه ويعتقده ويعمل بمقتضاه فتحصل من هذا ان التوحيد قسمان توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به **قال تعالى** ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله **وقال تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم **وقال تعالى** قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الى ان قال فسيقولون الله فقل افلا تتقون **وقال تعالى** قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون **وقال تعالى** قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون **وقال تعالى** قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانی تسحرون وهذا فرعون مع غلوه فی كفره ودعواه اقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء حكى الله سبحانه فيه عن لسان موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال ابليس اللعين انی اخاف الله رب العالمين وقال رب بما اغويتنی وقال رب انظرنی وكل مشرك مقر بان الله خالقه وخالق السموات والارض ورب ما فيها ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم افمن يخلق كمن لا يخلق وبقولهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فاهل الشرك مقرون بذلك لا ينكرونه ولا يجحدونه وثانی توحيد العبادة ومعناه افراد الله

توحيد الربوبية

توحيد العبادة

نباتا او شيئا من الاشياء وقد علم الكفار هذا لانهم اهل اللسان العربى فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب قال الشيخ احمد بن على المقريزى ان الله سبحانه هو رب كل شئ ومالكه والهه فالرب مصدر رب يرب فهو راب فمعنى قوله رب العالمين اى رابهم وهو الرب الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم واصلاحهم المتكفل لهم من خلق ورزق وعافية واصلاح دين ودنيا والالهية كون العباد يتخذونه مالوها معبودا محبوبا يفردونه بالحب والخوف والرجاء والاخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الاشياء فان توحيد حقيقته ان ترى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الاسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر الا منه وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضاء عن الله تعالى والتسليم لحكمه واذا عرفت ذلك علمت ان الربوبية منه تعالى للعباد والتاله من عباده له سبحانه كما ان الرحمة هى الوصلة بينه عز وجل وبينهم وان انفس الاعمال واجلها قدرا توحيد الله تعالى غير ان التوحيد له قشران الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله ويسمى هذا القول توحيدا وهو مناقض التثليث الذى تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر ايضا من المنافق الذى يخالف سره جهره والثانى ان لا يكون فى القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس ولباب التوحيد ان يرى الامور كلها لله تعالى ومنه سبحانه ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وان يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه واذا تاملت عرفت ان عابد الصنم لم يعبد الصنم انما عبد هواه وهو ميل نفسه الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره او يامل سواه وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب ان توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا بانه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والارض والقائم بمصالح العالم كله وانما انكروا توحيد الالهية والمحبة كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فلما سووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اى يسوون غيره به وقال تعالى وهم بربهم يعدلون وقد علم الله عباده كيفية مباينة

فا حقيقة التوحيد

فا لباب التوحيد

فا توحيد الصديقين

وحده بجميع انواع العبادات فهذا هو الذى جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ شريك يشعر بالاقرار بالله
تعالى فالرسل عليهم السلام بعثوا التقرير الاول ودعاء المشركين الى الثانى بمثل قولهم فى خطاب المشركين
افى الله شك هل من خالق غير الله ونهيهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا
ان اعبدوا الله اى قائلين لاممهم هذا القول فافاد قوله فى كل امة ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل
ولم تبعث اليهم الانبياء الا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بانه الخالق للعالم وانه رب السموات
والارض وما بينهما فانهم مقرون بهذا ولهذا وردت الآيات غالبا بالاستفهام التقريرى نحو هل من خالق
غير الله افى الله شك فاطر السموات والارض اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض اروني ماذا خلق
الذين من دونه اروني ماذا خلقوا من الارض الى غير ذلك مما سبق فى الباب الاول من الادلة الناطقة به
وهذا استفهام تقرير لهم انهم مقرون بتوحيد الخالقية والربوبية فتلك مسئلة مجمع عليها بين الامم
كلها اولهم الى اخرهم لم يختلف فيه امة من الامم بل ولا واحد منهم ابدا الا من يكون معتوها او مجنونا
وبهذا عرفت ان المشركين لم يتخذوا واما اتخذوه معبودا الهه كالاوثان والاصنام والمسيح وامه عليهما
السلام والملائكة والجن والشياطين لاجل انهم اشركوه فى خلق شئ من الاشياء وفى خلق انفسهم بل
اتخذوهم الهة وعبدوهم بناء على انهم يقربونهم الى الله تعالى زلفى كما افصحوا بذلك وقالوا فهم مقرون
بالله تعالى فى نفس كلماتهم الكفرية ويقولون انهم شفعاؤنا عند الله قال تعالى قل اتنبئون الله بما
لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل اتخاذهم الشفعاء شركا فيه ونزه نفسه المقدسة
عنه لانه لا يشفع احد عنده الا باذنه والله لا ياذن لهؤلاء الشفعاء لهم فى الشفاعة ولا هم اهلها ولا يغنون
عنهم من الله شيئا فلا يصح من احد لاحد منهم العبادة التى هى اقصى غايات الخضوع والتذلل لم تستعمل الا
فى الخضوع لله تعالى لانه مولى النعم كلها جليلها ودقيقها كبيرها وحقيرها فكان حقيقا باقصى غاية الخضوعات
ومن هنا نقرر ان راس العبادات واساس الطاعات توحيد الله سبحانه التى افادته كلمته التى اليها كان
دعوة الرسل الكرام جميعهم وهو قول لا اله الا الله اى لا معبود بحق الا هو ومن ثم لم يقل لا خالق او لا رازق
او لا رب الا الله فان هذا التركيب لا يفيد ما يفيد اسم الجلالة الذى هو بمعنى المالوه اى المعبود والمراد
اعتقاد معناها من صميم الجنان لا مجرد قولها باللسان ومعناها افراد الله تعالى بالعبادة اى عبادة
كانت مما ورد به الشرع والنفى والبراءة من كل معبود دونه انسانا كان او جيوانا او حجرا او جمادا او

الشرك فى توحيد الالهية بافراده وليًا وحكمًا وربًا **فقال تعالى** قل غير الله اتخذ وليا **وقال** افغير الله ابتغى حكمًا **وقال** قل غير الله ابغى ربا فلا ولى ولا حكم ولا رب الا الله الذى من عدل به غيره فقد اشرك فى الوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الالوهية مفرق الطريق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الاسلام لا اله الا الله فلو قال لا رب الا الله لما اجزأه عند المحققين فتوحيد الالوهية هو المطلوب من العباد ولهذا كان اصله الاله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور اصحابه الا من شذ منهم وبهذا الاعتبار الذى قررنا به الاله وانه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذى ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهيته كما **قال تعالى** ءالله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون اى يسوون غير الله تعالى بالله تعالى وكل ما ذكر الله تعالى من اياته جملة من الجمل قال عقبها ءاله مع الله فابان سبحانه بذلك ان المشركين انما كانوا يتوقفون فى اثبات توحيد الالهية لا الربوبية على ان منهم من اشرك ايضا فى الربوبية كما سيأتى بعد ذلك وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكرى الالهية باثباتهم الربوبية والملك هو الامر الناهى لا يخلق خلقا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يعاقبون فهو الملك المعطى المانع الضار النافع المثيب المعاقب ولذلك جاءت الاستعاذة فى سورة الفلق وسورة الناس بالاسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والاله فانه لما قال قل اعوذ برب الناس كان فيه اثبات انه ربهم وخالقهم وفاطرهم ورازقهم فبقى ان يقال انه تعالى لما خلقهم هل كلفهم وامرهم ونهاهم قيل نعم فجاء ملك الناس فاثبت الخلق والامر له الا له الخلق والامر فلما قال ذلك قيل فاذا كان ربا موجدا وملكا مكلفا فهل يحب ويرغب اليه ويكون التوجه اليه غاية الخلق والامر قيل نعم فجاء اله الناس اى مالوههم ومعبودهم ومحبوبهم الذى لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد الا له فجاءت الالهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها وهاتان السورتان اعظم عوذة فى القران وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة الى ذلك وهو حين سحر النبى صلى الله عليه واله وسلم وخيل له انه يفعل الشئ وما فعله واقام على ذلك اربعين يوما كما فى الصحيح وكانت عقود السحر احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة اية فانحلت

توحيد الالوهية هو المطلوب من العباد

بكل اٰية عقدة ونعلقت الاستعاذة فى اوائل القراٰن باسمه الالٰه الكامل فى الاسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب اليه فى ان يستعيذ عبده الذى يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق باسمه الالٰه الشريف فى جميع المواطن التى يقال فيها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لان اسمه الله هو الغاية لجميع الاسماء ولهذا كان اسم بعده لايتعرف الا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لايعرفها والذين اشركوا به تعالى فى الربوبية منهم من اثبت معه خالقا اٰخر وان لم يقولوا انه مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية وربوبيته سبحانه للعالم هى الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة العامة تبطل قولهم لانها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والافعال وحقيقة قول القدرية المجوسية انه تعالى ليس ربا لافعال الحيوان ولا يتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه وشرك الامم كله نوعان شرك فى الالٰهية وشرك فى الربوبية فالشرك فى الالٰهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك وهو شرك عباد الاصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الاحياء منهم والاموات الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهم يشفعون لنا عنده بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب كرامة كما هو المعهود فى الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم اعوان الملك واقاربه وخاصته والكتب الالٰهية كلها من اولها الى اٰخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم اعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من اولهم الى اٰخرهم وما اهلك الله من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن اجله واصله الشرك فى محبة الله تعالى قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فاخبر ان من احب مع الله تعالى شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندا من دونه وهذا على اصح القولين فى الاٰية الشريفة انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور فى قوله سبحانه ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والمعنى انهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه وبين غيره فى الحب والعبادة وكذلك قول المشركين فى النار لاصنامهم تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم قطعا ان هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله فى كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وان الارض ومن فيها لله تعالى وحده وانه رب السمٰوٰت السبع ورب العرش العظيم وانه سبحانه هو الذى بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه

وانما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن احب غير الله وخافه ورجاه وذل له وخضع كما يحب الله ويخافه ويرجوه ويخضع له فهو المشرك وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله اتم عنده واحب اليه واخوف عنده وهو في مرضاته اشد سعيا منه في مرضاة الله فاذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركا فما الظن بهذا فيا ذا بالله من ان ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد انواع الشرك والادلة الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المالوه تبطل هذا الشرك وتدحض حجج اهله وهي اكثر من ان يحيط بها الا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو اية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما امر به وخلقه فهو امره وخلقه وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقل شاهد بانه الله الذي لا اله الا هو وان كل معبود سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى عن ظنون الظانين ـ فواعجبا كيف يعصى الاله ۔ ام كيف يجحده الجاحد ۔ ولله في كل تحريكة ۔ وتسكينة ابدا شاهد ۔ وفي كل شئ له اية ۔ تدل على انه واحد ۔

والنوع الثاني الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقا اخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان للعالم ربين احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ما تحته ومدبره وهذا اشد من عباد الاصنام والمجوس والنصارى وهو اخبث شرك في العالم اذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واستناد الخلق الى غيره سبحانه ما لم يتضمنه شرك امة من الامم وشرك القدرية مختصر من هذا المطول وباب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس وقد روى اهل السنن فيهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه الامة وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وقد ينفرد احدهما عن الاخر والقران الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على اهل هذا الاشراك كقوله اياك نعبد فانه ينفي شرك المحبة والالهية وقوله واياك نستعين فانه ينفي شرك الخلق والربوبية فتضمنت هذه الاية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة والاستعانة وانه لا يجوز اشراك غيره معه لا في الافعال ولا في الالفاظ ولا في الارادات هذا اخر كلام المقريزي رح في كتابه تجريد التوحيد المفيد وانما اتيت به في هذا الباب ليقف الناظر فيه والمطلع عليه على حقيقة توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ويدرك ما فيهما من طرائق الاشراك بالله تعالى فان الاشياء

الشرك في الربوبية

اجتماع الشركين في العبد

تعرف باضدادها وسياتى الكلام على حقيقة الشرك وبيان انواعه فى محله وبالجملة فاصل اصول البر وعمدة انواعه التوحيد وذلك لانه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذى هو اعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة وهو اصل التدبير العلمى الذى هو افيد التدبيرين وبه يحصل للانسان التوجه التام تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم على عظم امره وكونه من انواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع واذا فسد فسد الجميع حيث اطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله انه دخل الجنة او حرمه الله على النار او لا يحجب من الجنة ونحو ذلك من العبارات وحكى عن ربه تبارك وتعالى من لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بالله شيئا لقيته بمثلها مغفرة وما احق عدم الاشراك بالله ولو كانت معه ذنوب وخطايا صغائر او كبائر بان يدخل صاحبه الذى يعتقد التوحيدين اللذين سبق بيانهما الجنة ولا يحرم منها فان التوحيد راس الطاعات وليس وراء عبادان قرية كما ان الشرك جليا كان او خفيا وان كانت معه عبادة كثيرة لا ينفع صاحبه ولا يغنى عنه شيئا كما نطق بهذا القرآن وليس وراء بيان الله بيان قال فى حجة الله البالغة ان للتوحيد اربع مراتب احدها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجبا والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر فيه تعالى وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما ولم يخالف فيهما مشركو العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص على انهما من المقدمات المسلمة عندهم والثالثة حصر تدبير السموات والارض وما بينهما فيه تعالى والرابعة انه لا يستحق غيره العبادة وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما وقد اختلف فيهما طوائف من الناس معظمهم ثلاث فرق المنجمون ذهبوا الى ان النجوم تستحق العبادة وان عبادتها تنفع فى الدنيا ورفع الحاجات اليها حق قالوا قد تحققنا ان لها اثرا عظيما فى الحوادث اليومية وسعادة المرء وشقاوته وصحته وسقمه وان لها نفوسا مجردة عاقلة تبعتها على الحركة ولا تغفل عن عبادها فبنوا هياكل على اسمائها وعبدوها والمشركون وافقوا المسلمين فى تدبير الامور العظام وفيما ابرم وجزم ولم يترك لغيره خيرة ولم يوافقوهم فى سائر الامور وذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا اليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله كما ان ملك الملوك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوض اليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من اهل ذلك البلد وقالوا لا تقبل عبادة الله الا مضمومة بعبادتهم بل الحق فى غاية التعالى فلا تفيد

فالتوحيد اعظم البر

عبادته تقربا منه بل لابد من عبادة هؤلاء ليقربوا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون و يشفعون لعبادهم ويدبرون امورهم وينصرونهم فنحتوا على اسمائهم احجارا وجعلوها قبلة عند توجههم الى هؤلاء فخلف من بعدهم خلف فلم يفطنوا للفرق بين الاصنام وبين من هى على صورته فقط فظنوها معبودات باعيانها ولذلك رد الله تعالى عليهم تارة بالتنبيه على ان الحكم والملك له خاصة وتارة ببيان انها جمادات الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اٰذان يسمعون بها والنصارى ذهبوا الىٰ ان للمسيح عليه السلام قربا من الله وعلوا على الخلق فلا ينبغى ان يسمىٰ عبدا فيسوى بغيره لان هذا سوء ادب معه واهمال القربه من الله ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك الخصوصية الى تسميته ابن الله نظرا الىٰ ان الاب يرحم الابن ويربيه على عينيه وهو فوق العبيد فهذا الاسم اولىٰ به وبعضهم الىٰ تسميته بالله نظرا الىٰ ان الواجب حل فيه وصار داخله ولهذا يصدر منه اٰثار لم تعهد من البشر مثل احياء الاموات وخلق الطين فكلامه كلام الله وعبادته هى عبادة الله فخلف من بعدهم خلف لم يفطنوا الوجه التسمية وكادوا يجعلون البنوة حقيقية او يزعمون انه الواجب من جميع الوجوه ولذلك رد الله تعالىٰ عليهم تارة بانه لا صاحبة له وتارة بانه بديع السموٰت والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهٰذه الفرق الثلث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على المتتبع وعن هاتين المرتبتين بحث القراٰن العظيم ورد على الكافرين شبهتهم ردا مشبعا انتهى كلام الحجة وهذه المراتب الاربعة للتوحيد اذا تاملت فيها وجدتها ترجع الى القسمين الذين سبقا فى اول هذا الباب قال فى الفوز الكبير ان معانى القراٰن المنطوقة لا تخرج عن خمسة علوم منها علم المخاصمة والرد على الفرق الضالة الاربع من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين والتفريع على هذا العلم منوط بذمة المتكلم قال واختار سبحانه وتعالىٰ فى اٰيات المخاصمة الزام الخصم بالمشهورات المسلمة والخطابيات النافعة لا تنقيح البراهين على طريق المنطقيين ولم يراع مناسبة فى الانتقال من مطلب الىٰ مطلب كما هو قاعدة الادباء المتاخرين بل نشر كل ما اهم القاؤه على العباد تقدم او تاخر وعامة المفسرين يربطون كل اٰية من اٰيات المخاصمة واٰيات الاحكام بقصة ويظنون ان تلك القصة سبب نزولها والمحقق ان القصد الاصلى من نزول القراٰن تهذيب النفوس البشرية ودمغ العقائد الباطلة ونفى الاعمال الفاسدة فوجود العقائد الباطلة فى المكلفين سبب لنزول اٰيات المخاصمة

علوم القراٰن خمسة

ووجود الاعمال الفاسدة وجريان للظالم فيما بينهم سبب لنزول آيات الاحكام قال قد وقع فى القرآن المجيد المخاصمة مع الفرق الاربع الضالة المشركين والمنافقين واليهود والنصارى وهذه المخاصمة على قسمين الاول ان تذكر العقيدة الباطلة مع التنصيص على شناعتها وين كرها انكار الاخير والثانى ان تقرد شبهاتهم ويذكر حلها بالادلة البرهانية او الخطابية اما المشركون فكانوا يسمون انفسهم حنفاء وكانوا يدعون التدين بالملة الابراهيمية وانما يقال الحنيف لمن تدين بالملة الابراهيمية والتزم شعارها و شعارها حج البيت الحرام واستقباله فى الصلوة والغسل من الجنابة والاختتان وسائر خصال الفطرة وتحريم الاشهر الحرم وتعظيم المسجد الحرام وتحريم المحرمات النسبية والرضاعية والذبح فى الحلق والنحر فى اللبة والتقرب بالذبح والنحر خصوصا فى ايام الحج وقد كان فى اصل الملة الوضوء والصلوة والصوم من طلوع الفجر الى غروب الشمس والصدقة على اليتامى والمساكين والاعانة فى نوائب الحق وصلة الارحام مشروعة وكان التمدح بهذه الافعال شائعا فيما بينهم ولكن جمهور المشركين كانوا يتركونها حتى صارت هذه الافعال كأن لم تكن شيئا وقد كان تحريم القتل والسرقة والزنا والربا والغصب ايضا ثابتا فى اصل الملة وكان انكار هذه الاشياء جاريا فى الجملة واما جمهور المشركين فيرتكبونها ويتبعون النفس الامارة فيها وقد كانت عقيدة اثبات الصانع سبحانه وتعالى وانه هو خالق السموات والارضين ومدبر الحوادث العظام وانه قادر على ارسال الرسل وجزاء العباد بما يعملون وانه مقدر للحوادث قبل وقوعها وعقيدة ان الملائكة عباده المقربون المستحقون للتعظيم ايضا ثابتة فيما بينهم ويدل على ذلك اشعارهم وكان قد وقع لجمهور المشركين فى هذه العقائد شبهات كثيرة ناشئة من استبعاد هذه الامور وعدم الفتها وكان ضلالهم الشرك والتشبيه والتحريف وانكار المعاد واستبعاد رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وشيوع الاعمال القبيحة والمظالم فيما بينهم وابتداع الرسوم الفاسدة واندراس العبادات والشرك ان يثبت لغير الله سبحانه وتعالى شيئا من صفاته المختصة به كالتصرف فى العالم بالارادة الذى يعبر عنه بكن فيكون او العلم الذاتى من غير اكتساب بالحواس ودليل العقل والمنام والالهام ونحو ذلك او الايجاد لشفاء المريض واللعن لشخص والسخط عليه حتى يقدر عليه الرزق او يمرض ويشقى لذلك السخط او الرحمة لشخص حتى يبسط له الرزق ويصح بدنه ويسعد ولم يكن المشركون يشركون احدا فى خلق الجواهر وتدبير الامور العظام ولا يثبتون لاحد قدرة على الممانعة اذا ابرم الله سبحانه وتعالى امرا وانما كان اشراكهم فى الامور الخاصة ببعض العباد وكانوا يظنون ان الملك على الاطلاق جل

ف: تعريف الشرك

ف: [illegible] المشركين فى خلق الجواهر

مجده شرف بعض العباد بخلعة الالوهية ويؤثر رضاهم وسخطهم فى سائر العباد كما ان ملكا من الملوك عظيم القدر يرسل عبيده المخصوصة الى نواحى الملك ويجعلهم متصرفين فى الامور الجزئية الى ان يصدر عن الملك حكم صريح فلا يتوجه الى تدبير الامور الجزئية ويفوض اليهم امور سائر العباد ويقبل شفاعتهم فى باب من يخدمهم ويتوسل بهم فيقولون بوجوب التقرب بعباد الله سبحانه المخصوصين المذكورين ليتيسر لهم قبول الملك المطلق وتقبل شفاعتهم للمتقربين بهم فى مجارى الامور وكانوا يجوزون بملاحظة هذه الامور ان يسجد لهم ويذبح لهم ويحلف بهم ويستعان بهم فى الامور الضرورية بقدرة كن فيكون وكانوا ينحتون من الحجر والصفر وغير ذلك صورا يتخذونها قبلة التوجه الى تلك الارواح حتى يعتقد الجهال شيئا فشيئا تلك الصور معبودة بذواتها فيتطرق بذلك خلط عظيم فى التشبيه عبارة عن اثبات الصفات البشرية لله تبارك وتعالى فكانوا يقولون الملائكة بنات الله وانه يقبل شفاعة عباده وان لم يرض بها كما ان الملوك يفعلون مثل ذلك بالنسبة الى الامراء الكبار وكانوا يقيسون علمه تعالى وسمعه وبصره الذى يليق بجناب الالوهية على علمهم وسمعهم وابصارهم لقصور اذهانهم فيقعون فى القول بالتجسيم والتحيز وبيان التحريف ان اولاد اسمعيل عليه السلام كانوا على شريعة جدهم الكريم حتى جاء عمرو بن لحى فوضع لهم اصناما وشرع لهم عبادتهم واخترع لهم من بحيرة وسائبة وحام واستقسام بازلام وما اشبه ذلك وقد وقعت هذه الحادثة قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثمائة سنة تقريبا وكان الجهلة يتمسكون فى هذا الباب بآثار آبائهم وكانوا يعدون ذلك من الحجج القاطعة وقد بين الانبياء السالفة الحشر والنشر لكن ليس ذلك البيان بشرح وبسط تضمنه القرآن العظيم ولذلك ما كان جمهور المشركين مطلعين عليه وكانوا يستبعدونه وهؤلاء الجماعة وان اعترفوا بنبوة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسمعيل عليهما الصلوة والسلام بل بنبوة سيدنا موسى ايضا لكن كانت الصفات البشرية التى هى حجاب لجمال الانبياء الكامل تشوشهم تشويشا ولم يعرفوا حقيقة تدبير الله عز وجل الذى هو مقتضى بعثة الانبياء فكانوا يستبعدون ذلك لما الفوا المماثلة بين الرسول والمرسل فكانوا يوردون شبهات واهية غير مسموعة كما قالوا انهم كيف يحتاجون الى الشراب والطعام وهم انبياء وهلا يرسل الله سبحانه وتعالى الملائكة ولم لا ينزل الوحى على كل انسان على حدة وعلى هذا الاسلوب ان كنت متوقفا فى تصوير حال المشركين وعقائدهم واعمالهم فانظر الى حال العوام والجهلة من اهل الزمان خصوصا من سكن منهم باطراف دار الاسلام كيف

التشبيه

تحريف المشركين

تصوير حال المشركين

يظنون الولاية وماذا يخيل اليهم منها ومع انهم يعترفون بولاية الاولياء المتقدمين يعدّون
وجود الاولياء فی هذا الزمان من قبيل المحال ويذهبون الى القبور والآثار ويرتكبون انواعا من الشرك
كيف تطرق اليهم التشبيه والتحريف بحكم الحديث الصحيح لتتبعن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل و
ما من آفة من هذه الآفات الا وقوم من اهل هذا الزمان واقعون فی ارتكابها معتقدون مثلها عافانا
الله سبحانه من ذلك وبالجملة فان الله تعالى برحمته بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فی العرب وامره باقامة
الملة الحنيفية وخاصمهم فی القرآن العظيم وقد وقع التمسك فی تلك المخاصمة بمسلماتهم من بقايا
الملة الحنيفية ليتحقق الالزام فجواب الاشراك اولا طلب الدليل ونقض التمسك بتقليد الآباء وثانيا
عدم التساوی بين هؤلاء العباد وبينه تبارك وتعالى واختصاصه عز وجل باستحقاق اقصى غاية التعظيم
بخلاف هؤلاء العباد وثالثا بيان اجماع الانبياء على هذه المسئلة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحی
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحی اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان
كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينی وبينكم
ومن عنده علم الكتاب ورابعا بيان شناعة عبادة الاصنام وسقوط الاحجار من مراتب الكمالات
الانسانية فكيف بمرتبة الالوهية وهذا الجواب مسوق لقوم يعتقدون الاصنام معبودين لذواتهم
وجواب التشبيه اولا طلب الدليل ونقض التمسك بتقليد الآباء وثانيا بيان ضرورة المجانسة بين الوالد
والولد وهی مفقودة وثالثا بيان شناعة اثبات ما هو مكروه ومذموم عند انفسهم لله تبارك وتعالى الربك
البنات ولهم البنون وهذا الجواب مسوق لاجل قوم اعتادوا المقدمات المشهورة والمتوهمات الشعرية
واكثرهم على هذه الصفة وجواب التحريف بيان عدم نقله عن ائمة الملة وبيان ان ذلك كله اختراع
وابتداع غير معصوم وجواب استبعاد الحشر والنشر اولا القياس على احياء الارض وما اشبه ذلك
وتنقيح المناط الذی هو شمول القدرة وامكان الاعادة وثانيا بيان موافقة اهل الكتب الالهية فی
الاخبار به وجواب استبعاد الرسل اولا بيان وجودها فی الانبياء المتقدمين وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا الى آخره ثانيا دفع الاستبعاد ببيان ان الرسالة ههنا عبارة عن الوحی قل انما انا بشر مثلكم يوحى الی
وتفسير الوحی بما لا يكون محالا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وثالثا بيان عدم ظهور المعجزات
التی يقترحونها المصلحة كلية يقصر علمهم عن ادراكها وكذلك عدم موافقة الحق لهم فی تعيين شخص يفرحون

فـ جواب الشرك

فـ جواب التشبيه

فـ جواب التحريف

فـ جواب استبعاد المعاد والرسل

بنبوته وكذلك لم يجعل لرسول ملكا ولم يوح الى كل واحد منهم فليس كل شئ من ذلك الا للمصلحة الكلية ولما كان اكثر من بعث اليهم مشركين اثبت هذه المضامين فى سور كثيرة باساليب متعددة وتاكيدات بليغة ولم يتحاش من اعادتها مرات كثيرة نعم هكذا ينبغى ان تكون مخاطبة الحكيم المطلق بالنسبة الى هؤلاء الجهلة والكلام فى مقابلة هؤلاء السفهاء بهذا التاكيد ذلك تقدير العزيز العليم وكان اليهود قد امنوا بالتوراة وكان ضلالتهم تحريف احكام التوراة تحريفا لفظيا او معنويا وكتمان اياتها والحاق ماليس منها بها افتراء منهم والتساهل فى اقامة احكامها والمبالغة فى التعصب بمذاهبهم واستبعاد رسالة نبينا صلى الله عليه واله وسلم وسوء الادب والطعن بالنسبة اليه صلى الله عليه واله وسلم بل بالنسبة الى حضرة الحق تبارك وتعالى ايضا وابتلاءهم بالبخل والحرص وغير ذلك اما التحريف اللفظى فانهم كانوا يرتكبونه فى ترجمة التوراة وامثالها لا فى اصل التوراة هكذا الحق عند الفقير وهو قول ابن عباس النحرير والتحريف المعنوى تاويل فاسد بحمل اية على غير معناها بتحكم وانحراف عن الصراط المستقيم فمن جملة ذلك انه قد بين الفرق بين المتدين الفاسق والكافر الجاحد فى كل ملة واثبت العذاب الشديد والخلود للكافر وجوز خروج الفاسق من النار بشفاعة الانبياء واظهر فى تقرير هذا المعنى اسم المتدين فى كل ملة بتلك الملة واثبت فى التوراة هذه المنزلة لليهودى والعبرى وفى الانجيل للنصرانى وفى القران العظيم للمسلمين ومناط الحكم الايمان بالله واليوم الاخر والانقياد لنبى بعث اليهم والعمل بشرائع الملة واجتناب المنهيات من تلك الملة لا خصوص فرقة من الفرق لذاتها فحسب اليهود ان اليهودى والعبرى يدخلان الجنة البتة وينقذه شفاعة الانبياء من النار وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولو لم يتحقق مناط الحكم ولو كان مؤمنا بالله بوجه غير صحيح ولو لم يكن له حظ من الايمان بالاخرة وبرسالة النبى المبعوث اليه وهذا غلط صرف وجهل محض ولما كان القران العظيم مهيمنا على الكتب السالفة ومبينا لمواضع الاشكال فيها كشف الغطاء عن هذه الشبهة على وجه اتم بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحب النار هم فيها خلدون ومن جملة ذلك انه قد بين فى كل ملة احكاما تناسب مصالح ذلك العصر وقد سلك فى التشريع مسلك عادات القوم وامر بالاخذ بها وادامة الاعتقاد والعمل عليها تاكيدا بحصر الحقية فيها والمراد ان الحقية محصورة فيها فى ذلك العصر وذلك الزمان والمراد هنالك الادامة الظاهرية لا الادامة الحقيقية يعنى لم يأت نبى اخر ولم يكشف الغطاء عن وجه النبوة وهم حملوا ذلك على استحالة نسخ اليهودية ومعنى وصية الاخذ بتلك الملة فى الحقيقة وصية بالايمان والاعمال الصالحة ولم تعتبر خصوصية تلك الملة لذاتها وهؤلاء اعتبروا الخصوصية فظنوا

ضلال اليهود

تحريف اليهود

فرق الكافر والفاسق فى كل ملة

ان يعقوب عليه السلام وصى اولاده باليهودية ومن جملة ذلك ان الله عز وجل شرف الانبياء وتابعيهم فى
كل ملة بلقب المقرب المحبوب فى ذم الذين ينكرون للملة بصفة المغضوبية وقد وقع التكلم فى هذا الباب
بلفظ شائع فى كل قوم فلا عجب ان يكون قد ذكر لفظ الابناء مقام المحبوبين فظن اليهود ان ذلك التشريف دائر
مع اسم اليهودى والعبرى والاسرائيلى ولم يعلموا انه دائر على صفة الانقياد والخضوع وتمشية ما اراد الحق
سبحانه ببعثة الانبياء لا غير وكان ارتكز من هذا القبيل فى خاطرهم كثير من التاويلات الفاسدة الماخوذة
من اٰبائهم واجدادهم فازال القراٰن الكريم هذه الشبهات على وجه اتم اما كتمان الاٰيات فهو انهم كانوا
يخفون بعض الاحكام والاٰيات ليحافظوا على جاه شريف اولاجل رياسة يطلبونها وكانوا يحذرون ان يضمحل
اعتقاد الناس فيهم ويلاموا بترك العمل بتلك الاٰيات فمن جملة ذلك ان رجم الزانى مذكور فى التوراة وكانوا تركوه
لاجماع احبارهم على ترك الرجم واقامة الحد وتسخيم الوجه مقامه ويكتمون ذلك مخافة الفضيحة ومن جملة
ذلك انهم كانوا يأولون اٰيات فيها بشارة هاجر واسمٰعيل عليهما الصلوة والسلام ببعثة نبى فى اولادهما وفيها
اشارة بوجود ملة يتم ظهورها وشهرتها فى ارض الحجاز وتمتلئ بها جبال عرفة من التلبية ويقصد ذلك الموضع
من اطراف الاقاليم وهى ثابتة فى التورٰة الى الاٰن وكانوا يأولونها بان ذلك اخبار بوجود هذه الملة ليس فيه
امر بالاخذ بها وكانوا يقولون ملة ما كتبت علينا ولما كان هذا التاويل ركيكا فلا يسمعه احد ولا يكاد
يصح عند احد كانوا يتواصون باخفائه ولا يجوزون اظهاره لكل عام وخاص اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم وما اجهلهم كيف تحمل منة الله على هاجر واسمٰعيل بهذه المبالغة وذكر هذه الامة
بهذا التشريف على ان لا يكون فيه حث وتحريض على الاخذ بها وترغيب فى التدين بها سبحانك هذا
بهتان عظيم اما الافتراء فالسبب فيه دخول التعمق والتشدد على احبارهم ورهبانهم والاستحسان يعنى
استنباط بعض الاحكام لادراك المصلحة فيه بدون نص الشارع وترويج الاستنباطات الواهية فالحقوا
اتباعه بالاصل وكانوا يزعمون ان اتفاق سلفهم من الحجج القاطعة ليس لهم فى انكار نبوة عيسى عليه السلام
مستند لا اقوال السلف وكذلك فى كثير من الاحكام واما المساهلة فى اقامة احكامها وارتكاب البخل و
الحرص فظاهر انه مقتضى النفس الامارة ولا يخفى انها تغلب الناس الا من شاء الله ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربى الاٰن هذه الرذيلة قد تلونت فى اهل الكتاب بكيفية اخرى كانوا يتكلفون تصحيحها بتاويل
فاسد وكانوا يظهرونه فى صورة التشرع واما استبعاد رسالة نبينا صلى الله عليه واٰله وسلم فسببه اختلاف

فى كتمان الاٰيات

فى الافتراء

فى التساهل فى اقامة الاحكام

فى استبعاد رسالة النبى صلى الله عليه وسلم

عادة الانبياء واحوالهم في انكار التزوج والافلاك ما اشبه ذلك واختلاف شرائعهم واختلاف سنة
الله في معاملة الانبياء من بني اسرائيل وامثال ذلك والاصل في هذه المسئلة ان النبوة بمنزلة اصلاح
نفوس العالم وتسوية عاداتهم وعباداتهم لا لايجاد اصول بر واثم ولكل قوم عادة في العبادات وتدبير
المنزل والسياسة المدنية فاذا احدثت النبوة في اولئك القوم لا تغير تلك العادة بالمرة ولا تستأنف ايجاد
عادة اخرى بل يميز النبي من العادات ما كان على القاعدة موافقا لما يرضى الله سبحانه وتعالى فيبقيه وما كان
منها بخلاف ذلك فيغيره بقدر الضرورة والتذكير بآلاء الله وبايام الله ايضا يكون على هذا الاسلوب كما يكون
شائعا فيما بينهم فيما الفوها فاختلفت شرائع الانبياء لهذه النكتة ومثل هذا الاختلاف كمثل اختلاف
الطبيب اذا دبر امر المريضين فيصف لاحدهما دواء باردا وغذاء باردا ويأمر الآخر بدواء حار وغذاء
حار وغرض الطبيب في الموضعين واحد هو اصلاح الطبع وازالة المفسد لا غير وقد يصف في كل
اقليم دواء وغذاء على حدة بحسب عادة الاقاليم ويختار في كل فصل تدبيرا موافقا بحسب طبع الفصل
وهكذا الحكيم الحقيقي جل مجده لما اراد ان يعالج من ابتلى بالمرض النفساني ويقوي الطبع والقوة الملكية
ويزيل المفسد اختلفت المعالجة بحسب اختلاف قوم كل عصر واختلاف عاداتهم ومشهوراتهم ومسلماتهم
وبالجملة فان شئت ان ترى انموذج اليهود فانظر الى علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا وقد اعتادوا تقليد
السلف واعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة وتمسكوا بتعمق عالم وتشدده واستحسانه فاعرضوا عن كلام
الشارع المعصوم وتمسكوا باحاديث موضوعة وتاويلات فاسدة كانهم هم واما النصارى فكانوا مؤمنين
بعيسى عليه الصلوة والسلام وكان من ضلالتهم انهم يزعمون ان الله سبحانه وتعالى ثلاث شعب متغايرة
بوجه متحدة باخر ويسمون الشعب الثلاثة اقانيم ثلثة احدها الاب وذلك بازاء المبدئ للعالم والثاني
الابن وهو بازاء الصادر الاول هو معنى عام شامل لجميع الموجودات والثالث روح القدس وهو بازاء العقول
المجردة وكانوا يعتقدون ان اقنوم الابن تدرع بروح عيسى عليه السلام يعني تصور الابن بصورة روح
عيسى كما ان جبريل يظهر بصورة الانسان فيزعمون ان عيسى اله وانه ابن الله ايضا وانه بشر ايضا تجري عليه
الاحكام البشرية والالهية معا وكانوا يتمسكون في هذا الباب ببعض نصوص الانجيل حيث وقع فيه
لفظ الابن وقد نسب الى نفسه بعض الافعال الالهية وجواب الاشكال الاول على تقدير تسليم انه
كلام عيسى ليس فيه تحريف ان لفظ الابن كان في الزمان القديم بمعنى المحبوب والمقرب والمختار

النبوة لا تغير اصول بر واثم

التذكير بآلاء الله وبايام الله

انموذج اليهود

ضلالة النصارى

كما يدل عليه كثير من القرائن فى الانجيل وجواب الاشكال الثانى انه على سبيل الحكاية كما يقول رسول
ملك من الملوك يا فلان قد غلبنا الملك الفلانى وقد اخذنا قلعة كذا والمعنى فى الحقيقة راجع الى الملك
وانما هو ترجمان محض وايضا يحتمل ان يكون طريق الوحى الى عيسى عليه السلام انطباع المعانى فى لوح نفسه
من قبل العالم الاعلى لا تمثل جبريل بالصورة البشرية والقاء الكلام فربما يجرى بسبب هذا الانطباع منه
عليه السلام كلام مشعر بنسبة تلك الافعال الى نفسه والحقيقة غير خفية وبالجملة فقد رد الله سبحانه
وتعالى هذا المذهب الباطل وهو ان عيسى عبد الله وروحه المقدس نفخ فى رحم مريم الصديقة و
ايده الله سبحانه بروح القدس ونظر اليه بالعناية الخاصة المرعية فى حقه ولو ظهر الله سبحانه وتعالى
فى الكسوة الروحية التى هى من جنس سائر الارواح وتدرع بالبشرية لا ينطبق لفظ الاتحاد على هذا المعنى عند
التعمق والامعان الا بتسامح واقرب الالفاظ لهذا المعنى التقويم ومثله تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وان شئت ان ترى انموذجا لهذا الفريق فانظر اليوم الى اولاد المشائخ والاولياء ماذا يظنون بآبائهم
فتجدهم قد افرطوا فى اجلالهم كل الافراط وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وايضا من ضلالة
اولئك انهم يجزمون انه قد قتل عيسى عليه السلام وفى الواقع انه وقع اشتباه فى قصته فلما رفع الى
السماء ظنوا انه قد قتل ويروون هذا الغلط كابرا عن كابر فازال الله تعالى هذه الشبهة فى القرآن العظيم
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وما ذكر فى الانجيل من مقتولية عيسى فمعناه اخبار بجرأة اليهود
واقدامهم على قتله وان كان الله سبحانه وتعالى ينجيه من هذه المهلكة واما مقولة الحواريين فمنشاؤها
وقوع اشتباه وعدم اطلاع على حقيقة الرفع الذى لا تألفه الاذهان والاسماع ومن ضلالتهم ايضا
انهم يقولون ان فارقليط الموعود هو عيسى روح الله الذى جاءهم بعد القتل ووصاهم بالتمسك بالانجيل
ويقولون انه وصى عيسى واخبرهم بان المتنبئين يكثرون فمن سمانى فاقبلوا كلامه والا فلا فبين
القرآن العظيم ان بشارة عيسى انما تنطبق على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا على صورة الروحانية لعيسى لانه
قال فى الانجيل ان فارقليط يلبث فيكم مدة من الدهر ويعلم العلم ويطهر الناس ويزكيهم ولا يظهر هذا المعنى
فى غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم واما تسمية عيسى عليه السلام فهو عبارة عن اثبات نبوته لا ان يسميه الله
او ابن الله واما المنافقون فهم على قسمين قوم يقولون الكلمة الطيبة بالسنتهم وقلوبهم مطمئنة بالكفر
ويضمرون الجحود الصرف فى انفسهم قال تعالى فى حقهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وطائفة

انموذج النصارى

فارقليط

تفصيل المنافقين

دخلوا فى الاسلام بضعف فمنهم من يتبعون عادة قومهم ويعتادون موافقتهم ان امن القوم امنوا وان كفروا كفروا ؎ وما انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد * ومنهم من هجم على قلوبهم لذات الدنيا الدنية بحيث لم تترك فى القلب محلا لمحبة الله ومحبة رسوله او ملك قلوبهم حرص المال والحسد والحقد ونحو ذلك حتى لا يخطر ببالهم حلاوة المناجاة ولا بركات العبادات ؎ اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا * ومنهم من شغفوا بامور المعاش واشتغلوا بها حتى لم يبق فرصة للاهتمام بامر المعاد وتوجهه وتفكره ومنهم من يخطر ببالهم ظنون واهية وشبهات ركيكة فى رسالة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وان لم يبلغوا درجة يخلعون بها ربقة الاسلام ويخرجون منه بالكلية ومنشأ تلك الشكوك جريان الاحكام البشرية على حضرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وظهور ملة الاسلام فى صورة غلبة الملوك على اطراف الممالك وما اشبه ذلك ومنهم من حملتهم محبة القبائل والعشائر على ان يبذلوا الجهد البليغ فى نصرتهم وتقويتهم وتائيدهم وان كان فيه خلاف اهل الاسلام ويتهاونون فى امر الاسلام عند هذه المقابلة وهذا القسم من نفاق العمل ونفاق الاخلاق ولا يمكن الاطلاع على النفاق الاول بعد حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك من قبيل علم الغيب ولا يمكن الاطلاع على ما ارتكز فى القلوب والنفاق الثانى كثير الوقوع لاسيما فى زماننا هذا الزمان الاخير واليه الاشارة فى الحديث ثلث من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر الى غير ذلك من الاحاديث قد بين الله سبحانه وتعالى اعمالهم واخلاقهم فى القرآن العظيم وقد ذكر من احوال الفريقين اشياء كثيرة ليحترز الامة منها وان شئت ان ترى انموذجا من المنافقين فانطلق الى مجلس الامراء وانظر الى مصاحبيهم كيف يرجحون مرضاتهم على مرضاة الشارع لا فرق عند الانصاف بين من سمع كلامه صلى الله عليه وآله وسلم بلا واسطة وسلك مسلك النفاق وبين من حدثوا فى هذا الزمن وعلموا حكم الشارع بطريق اليقين ثم آثروا خلاف ذلك واقدموا على مخالفته وعلى هذا القياس جماعة من المعقوليين تمكنت فى خواطرهم شكوك وشبهات حتى جعلوا المعاد نسيا منسيا فهؤلاء انموذج المنافقين وبالجملة اذا قرأت القرآن فلا تحسب ان المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ودرجوا بل الواقع انه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان الا وهو موجود اليوم بطريق الانموذج بحكم حديث

نفاق العمل والاخلاق

انموذج المنافقين

لتتبعن سنن من قبلكم الى قوله هذا ما تيسر لى فى هذا الكتاب من بيان عقائد الفرق الضالة المذكورة وتقرير اجوبتها وهذا القدر كاف فى فهم معانى آيات المخاصمة ان شاء الله تعالى انتهى كلام الفوز الكبير فى اصول التفسير للشيخ الاجل احمد ولى الله المحدث الدهلوى قدس سره وهو كالشرح لما سبق نقله من كتابه حجة الله البالغة وبالجملة قال الشيخ الامام محمد بن ابى بكر بن القيم رحمه الله فى كتابه الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى كشف الغطاء عن هذه المسئلة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه وخلق السموات والارض ليعرف ويوحد ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له والدعوة له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم فاخبر سبحانه ان القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به شئ وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط فاخبر انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ومن اعظم القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها فى درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتأمل هذا الاصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصى فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وابى الله ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له فى الآخرة دعوة او يقبل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه انتهى قال الشيخ العلامة محمد بن الموصلى فى كتابه سيف السنة الرفيعة لقطع رقاب الجهمية والشيعة التوحيد الذى حقيقته

كشف الغطاء عن المسئلة

حقيقة التوحيد

اثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن اضدادها فاصطلح اهل الباطل على وضعه للتعطيل
المحض ثم دعوا الناس الى التوحيد فخدعوا من لم يعرف معناه فی اصطلاحهم وظن ان ذلك هو التوحيد
الذی دعت اليه الرسل والتوحيد عندهم اسم لاربعة معان توحيد الفلاسفة وتوحيد الجهمية
وتوحيد الجبرية وتوحيد الاتحادية فهذه الاربعة الانواع من التوحيد جاءت الرسل بابطالها و
دل على بطلانها العقل والنقل اما توحيد الفلاسفة فهو انكار ماهية الرب الزائدة على وجوده وانكار صفات (توحيد الفلاسفة)
كماله وانه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حيوة ولا ارادة ولا كلام ولا وجه له ولا يدين وليس فيه معنيان
متميز احدهما عن الآخر البتة قالوا لانه لو كان كذلك لكان مركبا وكان جسما مؤلفا ولم يكن واحدا من
كل وجه فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذی لا يحس ولا يرى ولا يتميز منه جانب من جانب بل الجوهر
الفرد يمكن وجوده وهذا الواحد الذی جعلوه حقيقة رب العالمين مستحيل وجوده فلما اصطلحوا على
هذا المعنى فی التوحيد وسمعوا قوله والهكم اله واحد وقوله ما من اله الا اله واحد نزلوا لفظ القران
على هذا المعنى الاصطلاحی وقالوا لو كان له صفة او كلام او مشيئة او علم او حيوة او قدرة او سمع
او بصر لم يكن واحدا وكان مركبا مؤلفا فسموا اعظم التعطيل باحسن الاسماء وهو التوحيد وسموا اصح
الاشياء واحقها بالثبوت وهو صفات الرب تعالى شانه باقبح الاسماء وهو التركيب والتاليف فتولد من بين
هذه التسمية الصحيحة المعنى الباطل جحد حقائق اسماء الرب وصفاته بل وجحد ماهيته وذاته وتكذيب
رسله وكتبه ونشأ من نشأ على اصطلاحهم مع اعراضه من استفادة الهدى والحق من الوحی فلم يعرف سوى
الباطل الذی اصطلحوا عليه فجعله اصل الدين فلما رأى ما جاءت به الرسل معارضة قال اذا تعارض (توحيد الجهمية)
العقل والنقل قدم العقل التوحيد الثانی توحيد الجهمية وهو مشتق من توحيد الفلاسفة وهو نفی صفات
الرب سبحانه وتعالى كتكلمه وكلامه وسمعه وبصره وحياته وعلوه على عرشه ونفی وجهه ويديه وقطب
رحى هذا التوحيد جحد حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العليا التی جاءت بها الرسل واطبقت عليها كتبه
التوحيد الثالث توحيد الجبرية وهو اخراج العباد عن ان يكون فعلهم وان يكون واقعا بارادتهم (توحيد الجبرية)
وكسبهم بل هی نفس فعل الله تعالى فهو الفاعل لها دونهم ونسبتها اليهم وانهم فعلوها تنافی
التوحيد عندهم الرابع توحيد القائلين بوحدة الوجود وان الوجود عندهم واحد ليس عندهم وجودان قديم (توحيد الاتحادية)
وحادث وخالق ومخلوق وواجب وممكن بل الوجود عندهم واحد بالعين والذی يقال له الخالق المشبه

وهو الحق المنزه والكل من عينه احد بل هو العين الواحد فهذه الانواع الاربعة سماها اهل الباطل توحيدا فاعتصموا بالاسم من انكار المسلمين عليهم وقالوا نحن الموحدون وسموا التوحيد الذى بعث الله به رسله تركيبا وتجسيما وتشبيها وتمثيلا وجعلوا هذه الالقاب لها سهاما وصلاحا يقاتلون بها اهله فتترسوا بما عند اهل الحق من الاسماء الصحيحة وقاتلوهم بالاسماء الباطلة وقد ورد فى الحديث الصحيح فى حجة الوداع عن جابر رضى الله عنه مرفوعا اهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتوحيد وقال لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فهذا توحيد الرسول المتضمن لاثبات الصفات الكمالية التى يستحق عليها الحمد ولاثبات الافعال التى استحق بها ان يكون منعما ولاثبات القدرة والمشيئة والارادة والتصرف والغضب والرضى والغنى والجود الذى هو حقيقة ملكه وعدم نسبة ذلك اليه هو حقيقة قولهم فاى حمد لمن لايسمع ولايبصر ولايعلم ولايتكلم ولايفعل ولاهو فى هذا العالم ولاخارج منه ولا متصل به ولامنفصل عنه ولافوقه ولاتحته ولامن يمينه ولامن يساره واى نعمة لمن لايقوم به فعل البتة واى ملك لمن لاوصف له ولافعل فانظر الى توحيد الرسل وتوحيد من خالفهم ومن العجب انهم سموا توحيد الرسل شركا وتجسيما وتشبيها مع انه غاية الكمال وسموا تعطيلهم واتحادهم ونفيهم توحيدا وهو غاية النقص ونسبوا اتباع الرسل الى تنقيص الرب وقد سلبوه كل كمال وزعموا انهم اثبتوا له الكمال وقد نزهوا عنه فهذا توحيد الملاحدة والجهمية والمعطلة واما توحيد الرسل فهو اثبات صفات الكمال له واثبات كونه فاعلا بمشيئته وقدرته واختياره وان له فعلا حقيقة وانه وحده الذى يستحق ان يعبد ويخاف ويرجى ويتوكل عليه فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل وليس لخلقه من دونه وكيل ولا ولى ولاشفيع ولاواسطة بينه وبينهم فى رفع حوائجهم اليه وفى تفريج كرباتهم واجابة دعواتهم نعم بينه وبينهم واسطة فى تبليغ امره ونهيه واخباره فلايعرفون مايحبه ويرضاه ومايبغضه ويسخطه ولاحقائق اسمائه وصفاته ولاتفصيل مايجب له ويمتنع عليه ويوصف به الامن جهة هذه الواسطة فجاء هؤلاء الملاحدة فعكسوا الامر وقلبوا الحقائق فنفوا كون الرسل وسائط فى ذلك وقالوا يكفى توسط العقل ونفوا حقائق اسمائه وصفاته ويسمون هذا التوحيد ويقولون نحن ننزه الله عن الاعراض والابعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث فيه فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ فيتوهم منها انهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق ومن العيوب والنقائص والحاجة فلايشك انهم يمجدونه ويعظمونه ويكشف الناقد البصير

توحيد الرسل

ملحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الحاد او تكذيب الرسل وتعطيل الرب عما يستحقه من كماله فتنزيههم
عن الاعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وارادته فان هذه الاعراض عندهم
لا تقوم الا بجسم فلو كان متصفا بها لكان جسما وكانت اعراضا له وهو منزه عن الاعراض وآما عند اهل
الحق فهذه التى سموها اعراضا هى الغاية والحكمة التى لاجلها يخلق ويفعل ويامر وينهى ويثيب و
يعاقب وهى الغايات المحمودة المطلوبة له من امره ونهيه وفعله فيسمونها اعراضا وعللا ثم ينزهونه
عنها وآما الابعاض فمرادهم بتنزيهه عنها انه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على اصبع و
الارض على اصبع والشجر على اصبع والملك على اصبع فان ذلك كله عندهم ابعاض والله منزه عن
الابعاض وآما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله
ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق كما اشار اليه اعلم الخلق به ولا ينزل منه شئ ولا يصعد اليه شئ ولا
تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليه اذ لو كان
كذلك لزم اثبات الحدود والجهات وآما حلول الحوادث فيريدون به انه لا يتكلم بقدرته ومشيئته و
لا ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ولا ياتى يوم القيامة ولا يجئ ولا يغضب بعد ان كان راضيا ولا يرضى بعد
ان كان غضبان ولا يقوم به فعل البتة ولا امر مجدد بعد ان لم يكن ولا يريد شيئا بعد ان لم يكن مريداله
فلا يقول كن حقيقة ولا استوى على عرشه بعد ان لم يكن مستويا عليه ولا يغضب يوم القيامة غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ولا ينادى عباده يوم القيامة بعد ان لم يكن مناديا لهم ولا يقول للمصلى
اذا قال الحمد لله رب العالمين حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى فاذا قال مالك يوم
الدين قال مجدنى عبدى فان هذه كلها حوادث وهو منزه عن حلول الحوادث وقالت الجهمية نحن
نثبت قديما واحدا ومثبتو الصفات يثبتون عدة قدماء قالوا والنصارى اثبتوا ثلاثة قدماء مع الله
تعالى فكفروهم فكيف من اثبت سبعة قدماء او اكثر فانظر الى هذا التدليس والتلبيس الذى يوهم السامع
انهم اثبتوا قدماء مع الله تعالى وانما اثبتوا قديما واحدا بصفاته وصفاته داخلة فى مسمى اسمه كما انهم
اثبتوا الها واحدا ولم يجعلوا كل صفة من صفاته الها بل هو الواحد بجميع اسمائه وصفاته وهذا بعينه
يتلقى من عباد الاصنام المشركين بالله المكذبين لرسله قالوا يدعو محمد الى الله واحد ثم يقول يا الله
يا سميع يا بصير فيدعو الهة متعددة فانزل الله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء

الحسنى فاى اسم دعوتموه به فانما دعوتم المسمى بذلك الاسم فاخبر سبحانه انه الله واحد وان تعددت اسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته العليا ولهذا كانت حسنى والا فلو كانت كما يقول الجاحد ون لكماله اسماء محضة فارغة من المعانى ليس لها حقائق لم تكن حسنى ولكانت اسماء الموصوفين بالصفات والافعال احسن منها فدلت الاية على توحيد الذات وكثرة النعوت والصفات ومن ذلك قول هؤلاء اخص صفات الاله القديم فاذا اثبتم له صفات قديمة لزم ان تكون الهة قديمة ولا يكون الاله واحدا فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على امثالهم من اشباه الانعام ان المحذور الذى نفاه العقل والشرع والفطرة واجمعت الانبياء على بطلانه ان يكون مع الله الهة اخرى لا ان يكون اله العالمين الواحد القهار حيا قيوما سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا مستويا على العرش فوق السموات له الاسماء الحسنى والصفات العليا فلم ينف العقل والشرع والفطرة ان يكون للاله الواحد صفات كمال يختص بها لذاته واعلم ان لفظ الجسم لم ينطق به الوحى اثباتا فيكون له الاثبات ولا نفيا فيكون له النفى فمن اطلقه نفيا واثباتا تسئل عما اراد به فان قال اردت بالجسم معناه فى لغة العرب هو البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه فلا يقال للهوا جسم لغة ولا للنار ولا للماء هذه اللغة وكتبها بين اظهرنا فهذا المعنى منفى من الله سبحانه عقلا وسمعا وان اردتم به المركب من المادة والصورة او المركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن الله تعالى قطعا والصواب نفيه من الممكنات ايضا فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالابصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب فهذه المعانى ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما كما انا لا نسب الصحابة لاجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب ولا ننفى قدر الرب ونكذب به لاجل تسمية القدرية لمن اثبته جبريا ولا نرد ما اخبر به الصادق المصدوق من الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله لتسمية اعداء الحديث متبعيها حشوية ولا نجحد صفات خالقنا من علوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن اثبت ذلك مشبها ؎

فان كان تجسيما ثبوت استوائه ... على عرشه انى اذا لمجسم
وان كان تشبيها ثبوت صفاته ... فمن ذلك التشبيه لا اتلعثم
وان كان تنزيها جحود استوائه ... واوصافه او كونه يتكلم

فصل لفظ الجسم لا يطلق على الله تعالى

فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا ... بتوفيقه والله اعلى و اعلم

ورحمة الله على الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب في قوله المشهور ؎

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض

ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان اني رافضي

وكان هذا كله ماخوذ من قول الشاعر الاول ؎

وعيرني الواشون اني احبها ... وذلك ذنب لست منه اتوب

ومن هذا الوادي قول مجنون بني عامر لما ذهب به ابوه الى بيت الحرام واراد ان يدعو عند الملتزم بزوال حب ليلى فالتزم بالملتزم وقال ؎

يا رب لا تسلبني حبها ابدًا ... ويرحم الله عبدا قال آمينا

وان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشار اعرف الخلق بالله تعالى اليه باصبعه رافعا لها الى السماء يشهد الجمع الاعظم مستشهدا له لا للقبلة وان اردتم بالجسم ما يقال له اين فقد سأل اعلم الخلق به عنه باين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال باين واجاب منه ولم يقل هذا السؤال انما يكون من الجسم وانه ليس بجسم وان اردتم بالجسم ما يلحقه من والى فقد نزل جبريل عليه السلام من عنده تعالى وعرج برسوله صلى الله عليه وآله وسلم اليه واليه يصعد الكلم الطيب وعبده عيسى بن مريم المسيح رفع اليه وان اردتم بالجسم ما يتميز منه امر غير امر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت الجلال والجمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والارادة وهذه صفات متميزة متغايرة ومن قال انها صفة واحدة فهو بالمجانين اشبه منه بالعقلاء وقد قال اعلم الخلق به اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك والمستعاذ به غير المستعاذ منه واما استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم به منه فباعتبارين مختلفين فان الصفة المستعاذ بها والصفة المستعاذ منها صفتان لموصوف واحد ورب واحد والمستعيذ باحدى الصفتين من الاخرى مستعيذ بالموصوف بهما منه وان اردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الاعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي اطلقها على نفسه المقدسة او اطلقها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وان اردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده

مستو على عرشه وكذلك ان اردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل فنفيكم لها بهذه الالقاب المنكرة خطأ في اللفظ والمعنى وجناية على الفاظ الوحي اما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك جسما مركبا مؤلفا مشبها بغيره وتسميتكم هذه الصفات تجسيما وتركيبا وتشبيها فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته الفاظا منكم بدأت واليكم تعود واما خطأكم في المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والالقاب فنفيتم المعنى الحق وسميتموه بالاسم المنكر وكنتم في ذلك بمنزلة من سمع ان في العسل شفاء ولم يره فسأل عنه فقيل له مائع رقيق اصفر يشبه القذرة يتقيؤها الزنابير ومن لم يعرف العسل ينفر منه بهذا التعريف ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف عنده الا محبة له ورغبة فيه ولله در القائل ؎

تقول هذا جنى النحل تمدحه	وان تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما	والحق قد يعتريه سوء تعبير

واشد ما جادل به اعداء الرسول من التنفير عنه هو سوء التعبير عما جاء به وضرب الامثال القبيحة له والتعبير عن تلك المعاني التي لا احسن منها بالفاظ منكرة القوها في مسامع المغترين المخدوعين توصلت الى قلوبهم فنفرت عنه واكثر العقول كما عهدت يقبل القول بعبارة ويرده بعبارة اخرى وكذلك اذا قال الفرعوني لو كان فوق السموات رب وعلى العرش اله لكان مركبا قيل له لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبه غيره في محله كقوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك وقولهم ركبت الخشبة والباب او ما يركب من اخلاط واجزاء بحيث كانت اجزاؤه متفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئا واحدا كقولهم ركبت الدواء من كذا وكذا فان اردتم بقولكم لو كان فوق العرش كان مركبا هذا التركيب المعهود وانه كان متفرقا فاجتمع فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل وان اردتم انه لو كان فوق العرش لكان عاليا على خلقه بائنا عن مخلوقاته مستويا على عرشه ليس فوقه شيء فهذا المعنى حق فكأنك قلت لو كان فوق العرش لكان فوق العرش فنفيت الشيء بنفسه بتغيير العبارة عنه وقلبها الى عبارة اخرى وهذا شأنكم في اكثر مطالبكم وان اردت بقولك كان مركبا انه يتميز منه شيء عن شيء فقد وصفته انت بصفات يتميز بعضها عن بعض فهل كان عندك هذا تركيبا فان قلت هذا لا يقال لي وانما يقال لمن اثبت شيئا من الصفات واما انا فلا اثبت له صفة واحدة فرارا من التركيب قيل لك العقل لم يدل

على نفى للمعنى الذى سميته انت مركبا وقد دل الوحى والعقل والنظر على ثبوته انتفيه لمجرد تسميتك الباطلة فان التركيب يطلق ويراد به خمسة معان الاول تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائدا على ماهيتها فاذا نفيت هذا التركيب جعلته وجودا مطلقا انما هو فى الاذهان و لا وجود له فى الخارج والاعيان الثانى تركيب الماهية من الذات والصفات فاذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتا مجردة من كل وصف لا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد ولا حياة له ولا مشيئة ولا صفة له اصلا فكل ذات فى المخلوقات اولى من هذه الذات فاستفدت بنفى هذا التركيب كفرك بالله وجحدك لذاته وصفاته وافعاله الثالث تركيب الماهية الجسمية من الهيولى والصورة كما يقوله الفلاسفة الرابع تركيبها من الجواهر الفردة كما يقوله كثير من اهل الكلام الخامس تركيب الماهية من اجزاء متفرقة اجتمعت وركبت فان اردت بقولك لو كان فوق العرش لكان مركبا كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون قيل لك جمهور العقلاء عندهم ان الاجسام المحدثة المخلوقة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا فلو كان فوق العرش جسم مخلوق محدث لم يلزم ان يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف يلزم ذلك فى حق خالق المركب الذى يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء والعقل انما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولم يدل على ان ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شئ ولا ينزل منه شئ فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هى كذب صريح على الوحى وكذلك تنزيهه عن الجهة ان اردتم انه منزه من جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره احاطة الظرف المظروف فنعم هو اعظم من ذلك واكبر واعلى ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى وان اردتم بالجهة امرا يوجب مباينة الخالق للمخلوق و علوه على خلقه واستواءه على عرشه فنفيكم لهذا المعنى باطل وتسميته جهة اصطلاح منكم توسلتم به الى نفى ما دل عليه العقل والنقل والفطرة فسميتم ما فوق العالم جهة وقلتم منزه عن الجهات وسميتم العرش حيزا وقلتم ليس بمتحيز وسميتم الصفات اعراضا وقلتم الرب منزه عن قيام الاعراض به وسميتم حكمته غرضا وقلتم منزه عن الاغراض وسميتم كلامه بمشيئته ونزوله الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء وارادته المقارنة لمرادها وادراكه المقارن لوجود المدرك وغضبه اذا عصى ورضاه اذا اطيع وفرحه اذا تاب اليه العباد وندائه لموسى حين اتى الشجرة وندائه للابوين حين اكلا من الشجرة ونداءه

لعباده يوم القيامة ومحبته لمن كان يبغضه حال كفره ثم صار يحبه بعد ايمانه وربوبيته التي شملت كل مخلوق وكل يوم هو في شان حوادث وقلتم هو منزه عن حلول الحوادث وحقيقة هذا التنزيه انه منزه عن الوجود ومن الماهية ومن الربوبية ومن الملك وعن كونه فعالا لما يريد بل عن الحياة والقيومية فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ولا تقوم به الاعراض ولا يوصف بالابعاض ولا يفعل بالاغراض ولا تحله الحوادث ولا تحيط به الجهات ولا يقال في حقه اين وليس بمتحيز كيف كسوا حقائق اسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالابصار في دار كرامته نحو هذه الالفاظ ثم توسلوا الى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من اثبتها واستحلوا منه مالم يستحلوه من اعداء الله اليهود والنصارى فالله للموعد واليه التحاكم وبين يديه التخاصم ۞ نحن واياهم نموت ولا افلح يوم الحساب من ندما ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون هذا اخر كلام سيف السنة وما احقه بان يكتب بماء ذهب الايمان على صفحات قلوب الانسان واذا وزنته مع ادلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة الكثيرة الطيبة التي لا يسع لذكرها هذا المقام وجدته في ميزان العدل والانصاف ثقيلا ومتى تجنبت في الايمان به والتعويل عليه خفايا العصبية ورزايا الاعتساف صرت موحدا في الدنيا والاخرة وكان الله لك ناصرا ودليلا ۞

باب في بيان ان من حقق التوحيد دخل الجنة والدعاء الى كلمة الشهادة

قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الى قوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا دلت الآية الكريمة على ان تحقيق التوحيد في عدم الاشراك في عبادة الرب لما تقدم ان التوحيد قسمان توحيد العبادة لله تعالى وحده وتوحيد الربوبية فمن لم يشرك في عبادة الرب احدا فقد حقق التوحيد وكان له جنة الفردوس نزلا لا يخاف فيه ابدا وانما استحق هذه المنزلة للايمان والعمل الصالح الذي راسه عدم الشرك بالله تعالى لان من اشرك بالله شيئا في ربوبيته او عبادته فهو مشرك وليس له عمل صالح اصلا وان اتى باعمال يظنها صالحات ولا تنفعه تلك الاعمال مع الشرك و صاحب التوحيد وان قصر في الاعمال فقد جاء باكمل العمل وافضل الايمان وهو التوحيد الذي هو راس الطاعات واساس الصالحات قال الجنيد قدس سره التوحيد افراد القديم من المحدث وقال

ابو القاسم التيمي التوحيد مصدر وحد يوحد ومعنى وحدت الله اعتقدته متفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبه وقيل معنى وحدته علمته واحدا وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له وفي صفاته لا شبيه له وفي الهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره ورؤس المبتدعة

رؤس المبتدعة اربع فرق

فرق اربع الجهمية ولم يردوا التوحيد وانما اختلفوا في تفسيره وقد عقد امير المؤمنين في الحديث النبوي محمد بن اسمعيل البخاري في صحيحه كتاب التوحيد وزاد المستملي الرد على الجهمية وغيرهم ولفظ ابن التين كتاب رد الجهمية وغيرهم التوحيد والمراد بقوله وغيرهم الرافضة وظاهره معترض لان الجهمية والقدرية والخوارج والرافضة لم يردوا التوحيد وقد سمى المعتزلة انفسهم اهل العدل والتوحيد وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الالهية لاعتقادهم ان اثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه فقد اشرك وهم في هذا النفي موافقون للجهمية واما اهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل واما الجهمية فلم يختلف احد ممن صنف في المقالات انهم ينفون الصفات حتى نسبوا الى التعطيل وثبت عن ابي حنيفة رح انه قال بالغ جهم في نفي التشبيه حتى قال ان الله ليس بشيء قال الكرماني الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون الى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة ان لا قدرة للعبد اصلا وهم الجبرية بفتح الجيم وسكون الموحدة ومات مقتولا في زمن هشام بن عبد الملك انتهى قال الحافظ في الفتح وليس الذي انكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة وانما الذي اطبق السلف على ذمهم نسبة انكار الصفات حتى قالوا ان القران ليس كلام الله وانه مخلوق قال الاستاذ ابو المنصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتاب الفرق بين الفرق ان رؤس المبتدعة اربعة الى ان قال والجهمية اتباع جهم بن صفوان الذي قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال وقال لا فعل لاحد غير الله تعالى وانما ينسب الفعل الى العبد مجازا غير ان يكون فاعلا ومستطيعا لشيء وزعم ان علم الله حادث وامتنع من وصف الله تعالى بانه شيء او حي او عالم او مريد حتى قال لا اصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره قال واصفه بانه خالق ومحيي ومميت وموحد بفتح الحاء المهملة الثقيلة لان هذه الاوصاف خاصة به وزعم ان كلام الله حادث ولم يسم الله متكلما به قال وكان جهم يحمل السلاح و يقاتل وخرج مع الحارث بن سريج وهو بمهملة وجيم مصغر لما قام على نصر بن سيار عامل بني امية بخراسان فال امره الى ان قتله سلم بن احوز وهو بفتح المهملة وسكون اللام وابوه بمهملة وزاي وزن اعور وكان صاحب شرطة نصر وقال البخاري في كتاب خلق الافعال بلغني ان جهما كان ياخذ عن الجعد بن درهم وكان

خالد القسري وهو امير العراق خطب فقال اني مضح بالجعد بن درهم لانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما قلت وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك فكان الكرماني انتقل ذهنه من الجعد الى الجهم فان قتل جهم كان بعد ذلك بمدة ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال قال عبد الله بن المبارك ولا اقول بقول الجهم انه قول يضادع قول اهل الشرك احيانا وعن ابن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ونستعظم ان نحكي قول جهم وعن عبد الله بن شوذب قال ترك جهم الصلوة اربعين يوما على وجه الشك واخرج ابن ابي حاتم في كتاب الرد على الجهمية من طريق خلف بن سليمان البلخي قال كان جهم من اهل الكوفة وكان فصيحا ولم يكن له نفاذ في العلم فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له صف لنا ربك الذي تعبده فدخل البيت لا يخرج مدة ثم خرج فقال هو هذا الهواء مع كل شئ واخرج ابن خزيمة في التوحيد ومن طريقه البيهقي في الاسماء قال سمعت ابا قدامة يقول سمعت ابا معاذ البلخي يقول كان جهم على معبر ترمذ وكان كوفي الاصل فصيحا ولم يكن له علم ولا مجالسة اهل العلم فقيل له صف لنا ربك فدخل البيت لا يخرج كذا ثم خرج بعد ايام فقال هو هذا الهواء مع كل شئ وفي كل شئ ولا يخلو منه شئ واخرج البخاري من طريق عبد العزيز ابن ابي سلمة قال كلام جهم صفة بلا معنى وبناء بلا اساس ولم يعد قط في اهل العلم وقد سئل عن رجل طلق قبل الدخول فقال تعتد امرأته واورد آثارا كثيرة عن السلف بتكفير جهم وذكر الطبري في تاريخه في حوادث سنة سبع وعشرين ان الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني امية وحاربه والحارث يدعو الى العمل بالكتاب والسنة وكان جهم حينئذ كاتبه ثم تراسلا في الصلح وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم فاتفقا على ان الامر يكون شورى حتى يرضى اهل خراسان على امير يحكم بينهم بالعدل فلم يقبل نصر ذلك واستمر على محاربة الحارث الى ان قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين ومائة في خلافة مروان الحمار فيقال ان الجهم قتل في المعركة ويقال بل اُسِرَ فامر نصر بن سيار سلم بن احوز بقتله فادعى جهم الامان فقال له سلم لو كنت في بطني لشققته حتى اقتلك فقتله واخرج ابن ابي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال قال سلم حين اخذه يا جهم اني لست اقتلك لانك قاتلتني انت عندي احقر من ذلك ولكني سمعتك تتكلم بكلام اعطيت الله عهدا ان لا املكك الا قتلتك فقتله ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي بلغ سلم بن احوز وكان على شرطة خراسان ان جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما فقتله ومن طريق بكير ابن معروف قال رايت سلم بن احوز حين ضرب عنق جهم فاسود وجه جهم واسند ابو القاسم اللالكائي في

كتاب السنة له ان قتل جهم كان فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة والمعتمد ماذكره الطبرى انه كان فى سنة ثمان وعشرين وذكر ابن ابى حاتم من طريق سعيد بن رحمه صاحب ابى اسحق الفزارى ان قصة جهم كانت فى سنة ثلاثين ومائة وهذا يمكن حمله على جبر الكسر او على ان قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج واما قول الكرمانى ان قتل جهم كان فى خلافة هشام بن عبد الملك فوهم لان خروج الحارث بن سريج الذى كان جهم كاتبه كان بعد ذلك ولعل مستند الكرمانى ما اخرجه ابن ابى حاتم من طريق صالح بن احمد بن حنبل قال قرأت فى دواوين هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان اما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فان ظفرت به فاقتله ولكن لا يلزم من ذلك ان يكون قتله وقع فى زمن هشام وان كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله اعلم وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل فرق المقرين بملة الاسلام خمس اهل السنة ثم المعتزلة ومنهم القدرية ثم المرجية ومنهم الجهمية والكرامية ثم الرافضة ومنهم الشيعة ثم الخوارج ومنهم الازارقة والاباضية ثم افترقوا فرقا كثيرة فاكثر افتراق اهل السنة فى الفروع واما فى الاعتقاد ففى نبذة يسيرة واما الباقون ففى مقالاتهم ما يخالف اهل السنة الخلاف البعيد والقريب فاقرب فرق المرجية من قال الايمان التصديق بالقلب واللسان وليست العبادة من الايمان وابعدهم الجهمية القائلون بان الايمان عقد بالقلب فقط وان اظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الوثن من غير تقية والكرامية القائلون بان الايمان قول باللسان فقط وان اعتقد الكفر بقلبه وساق الكلام على بقية الفرق ثم قال فاما المرجية فعمدتهم الكلام فى الايمان والكفر فمن قال ان العبادة من الايمان وانه يزيد وينقص ولا نكفر مؤمنا بذنب ولا نقول بانه يخلد فى النار فليس مرجيا ولو وافقهم فى بقية مقالتهم واما المعتزلة فعمدتهم الكلام فى الوعد والوعيد والقدر فمن قال القرآن ليس بمخلوق واثبت القدر ورؤية الله تعالى فى القيامة واثبت صفاته الواردة فى الكتاب والسنة وان صاحب الكبيرة لا يخرج بذلك من الايمان فليس بمعتزلى وان وافقهم فى سائر مقالاتهم وساق بقية ذلك الى ان قال واما الكلام فيما يوصف الله تعالى به فمشترك بين الفرق الخمسة من مثبت لها ونافٍ فرأس النفاة المعتزلة والجهمية قد بالغوا فى ذلك حتى كادوا يعطلون ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكرامية فانهم بالغوا حتى شبهوا الله تعالى بخلقه تعالى الله سبحانه عن اقوالهم علوا كبيرا ونظير هذا التباين قول الجهمية ان العبد لا قدرة له اصلا وقول القدرية انه يخلق فعل نفسه قلت وقد افرد البخارى خلق افعال العباد فى تصنيف وذكر منه اشياء بعد فراغه مما

فرق المقرين بملة الاسلام خمس

يتعلق بالجهمية انتهى كلام فتح الباري وقد نجم فى هذا العصر رجل جاهل سار فى مقالاته مسير جهم وجعل ديانته الدهرية مع بعد بالكلية من العلم واسبابه وسمى نفسه نيچرا وزادت فتنته بين ساكنى الهند وهو الى الآن حى يسعى ويلبس على عامة المسلمين وقد تصدى للرد عليه جماعة من المؤمنين نصرهم الله تعالى عليه واقماه الله ومن تبعه وطهر هذه الارض من قذرات كلامه واد ناس بيانه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذا من اشراط الساعة لا ريب فى ذلك قال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين قال اهل العلم وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات التى هى الغاية فى تحقيق التوحيد الاول انه كان امة اى قدوة واماما معلما للخير وما ذلك الا لتكميله مقام اليقين والصبر اللذين تنال بهما مرتبة الامامة فى الدين والثانى كونه قانتا قال ابن تيمية رح القنوت دوام الطاعة لله وحده والمصلى اذا طال قيامه وركوعه وسجوده فهو قانت قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه انتهى الثالث كونه حنيفا قال ابن القيم رح الحنيف المقبل على الله وحده والمعرض عن كل ما سواه انتهى الرابع نفى كونه من المشركين وهذه الصفة اخلاصه وكمال صدقه فى عبودية معبوده وبعده عن الشرك المنافى لتحقيق التوحيد ويوضح هذا قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اى على دينه من اخوانه المرسلين اذ قالوا لقومهم انا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وذكر سبحانه عن خليله انه قال لابيه آزر واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى الى قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله فهذا هو تحقيق التوحيد وهو البراءة من الشرك واهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم قال اهل العلم فى هذه الآية ان ابراهيم كان امة لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين قانتا لله لا للملوك ولا للتجار المترفين حنيفا لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء السوء المفتونين بالدنيا الدنية المقلدين للرجال وآرائهم مع مصادمتها لادلة الكتاب والسنة ولم يكن من المشركين بالله شيئا كائنا ما كان ولم يكن مقلدا للآباء والاحبار والرهبان خلافا لمن كثر سوادهم ويزعم انه من المسلمين وهو مشرك فى العبادة مقلد فى الديانة وقد روى ابن ابى حاتم عن ابن عباس رض فى قوله تعالى كان امة اى كان على الاسلام ولم يكن فى زمانه احد على الاسلام غيره قلت ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم من انه كان اماما يقتدى به فى الخير قال تعالى والذين هم بربهم لا يشركون اثنى على المؤمنين السابقين الى الجنة

رج

بالصفات التى اعظمها انهم غير مشركين بربهم والمرء قد يعرض له ما يقدح فى اسلامه من شرك جلى او خفى فنفى ذلك عنه وهذا هو تحقيق التوحيد الذى حسنت به اعمالهم و زكت به نياتهم واقوالهم و كملت به افعالهم و نفعهم وهذا باعتبار سلامتهم من الشرك الاصغر و اما الشرك الاكبر فلا يقال فى تركه ذلك قال ابن كثير فى الآية لا يشركون اى لا يعبدون مع الله غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا هو احد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له انتهى وعن عبادة بن الصامت الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل اخرجه الشيخان والترمذى وفى اخرى لمسلم من شهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله حرم الله تعالى عليه النار فيه دلالة على تحقيق التوحيد وان مصير صاحبه الى الجنة لا محالة بفضل الله تعالى ورحمته وان التوحيد هو الاقرار بالوهيته تعالى من دون شرك شئ به والاعتراف بما ذكر وان التوحيد يهدم الذنوب و يذهب باهله الى الجنة ويبعدهم من النار وان النار حرام على من شهد بالله وحده وبرسالة محمد صلى الله عليه و آله وسلم ويوضحه حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة اخرجه ابو داود فيه بيان تحقيق توحيد الربوبية وورد عن معاذ بن جبل الانصارى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة رواه ابو داود وفيه بيان تحقيق توحيد الالوهية فاذا اجتمعا فى رجل فقد استحق الجنة بلا ريب و شك وعلم من الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه و آله وسلم و يؤيده حديث ابى ذر جندب بن جنادة الغفارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه و آله وسلم قال اتانى جبريل عليه السلام فبشرنى انه من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثم قال فى الرابعة على رغم انف ابى ذر اخرجه الشيخان والترمذى و الرغم الذل والهوان وفيه دلالة واضحة على ان التوحيد اس الطاعات وان الذنوب وان كانت كبائر تضمحل عنده الى ان لا تؤثر فى هلاكه ان شاء الله تعالى بل التوحيد اذا تحقق وثبت ورسخ يوصل اهله الى الجنة ويدل لذلك حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثنتان موجبتان فقال رجل يا رسول الله ما الموجبتان

قال من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة اخرجه مسلم فيه ان الشرك يحبط الاعمال كلها وان كانت صالحة وان التوحيد موجب لدخول الجنة وان كان صاحبه مقصرا فى تكثير الاعمال الصالحات وما ابلغ هذه البشارة لو كانوا يعلمون وما اكثر نعى هذا الحديث على الذين هم بربهم يشركون فى الربوبية او الالوهية وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه يرفعه اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه اخرجه البخارى فيه ان شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون لمن يوحد الله بالاخلاص ولا يشرك به احدا فمن قال الكلمة باللسان ولم يعمل بموجبه مخلصا له الدين فلا تناله شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم بحال من الاحوال لان الشرك لا يغفره الله تعالى ويغفر ما دونه لمن يشاء ويبين ذلك حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه احد اذ رفع لى سواد عظيم فظننت انهم امتى فقيل لى هذا موسى وقومه فنظرت فاذا سواد اعظم فقيل لى هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى اولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبروه فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم قال انت منهم ثم قال رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة اخرجه البخارى مختصرا ومطولا ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وهذا الحديث يعرف بحديث عكاشة وما ادله على خلاص اهل التوحيد من النار بل على سبقهم الى الجنة من دون عذاب ولا حساب وفيه بيان اوصاف الموحدين وان هذه الصفات تجعل صاحبها من اهل التوحيد المستحقين لدخول الجنان بفضل الرحيم الرحمن والرهط الجماعة دون العشرة وفى قوله معه الرجل والرجلان الرد على من احتج بكثرة اهل الضلال لان الاعتبار بالحق قل وكثر لا بالباطل والمراد بالسواد الشخص الذى يرى من بعيد والمراد بقوم موسى اتباعه على دينه من بنى اسرائيل الذين لم يغيروا ولا حرفوا وكانوا على صرافة الايمان واخلاص العمل وصحة العقيدة و انما استحق سبعون الفا من هذه الامة المرحومة المحمدية الجنة بغير حساب ولا كتاب لتحقيقهم التوحيد وزاد فى حديث ابى هريرة فى الصحيحين تضئ وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وروى احمد والبيهقى فى حديث

ابی هريرة فاستزدت ربی فزادنی مع كل الف سبعين الفا قال الحافظ وسنده جيد وهذا مقام الطامع الحريص مثلی وليس على الله بعزيز ان يغفر ذنوبی التی بلغت عنان السماء وطبقت الارض مشارقها ومغاربها فان العبد مقر بتوحيده مخلصا من قلبه وقد سبقت رحمته على غضبه ووعد للموحدين بغفران الذنوب كلها وان اتى بقراب الارض خطايا وفی خوض الصحابة فی هذا اباحة النظر والمناظرة والمباحثة فی نصوص الشرع على وجه الاستفادة وبيان الحق وطلبه وفيه حرصهم على درك الخير وفی هذا الحديث عند الشيخين لا يسترقون وهو كذلك وفی حديث ابن مسعود رضی الله عنه فی مسند احمد وفی رواية لمسلم ولا يرقون قال ابن تيمية رح هذه الزيادة وهم من الراوی لم يقل النبی صلى الله عليه وآله وسلم ولا يرقون وقد قال النبی صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عن الرقى من استطاع منكم ان ينفع اخاه فلينفعه وقال لا باس بالرقى ما لم تكن شركا قال وايضا فقد رقى جبريل النبی صلى الله عليه وآله وسلم ورقى النبی اصحابه قال والفرق بين الراقی والمسترقی ان المسترقی سائل مستعطف ملتفت الى غير الله بقلبه والراقی محسن قال وانما المراد وصف السبعين الفا بتمام التوكل فلا يسئلون غيرهم ان يرقاهم ولا يكويهم وكذا قال ابن القيم رح وهكذا لا يسئلون غيرهم ان يكويهم كما لا يسئلون غيرهم ان يرقاهم استسلاما للقضاء وتلذذا بالبلاء قلت والظاهر ان الاكتواء اعم من ان يسئلوا ذلك او يفعل بهم ذلك باختيار واما الكی عند الضرورة فجائز كما فی الصحيح عن جابر بن عبد الله ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى ابی بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه وفی صحيح البخاری عن انس انه كوی من ذات الجنب والنبی صلى الله عليه وآله وسلم حی وروى الترمذی وغيره عن ابن عباس رض وانا انهى عن الكی وفی لفظ ما احب ان اكتوی قال ابن القيم قد تضمنت احاديث الكی اربعة انواع احدها فعله والثانی عدم محبته والثالث الثناء على من تركه والرابع النهی عنه ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى فان قوله وفعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه واما الثناء على تاركه فيدل على ان تركه اولى وافضل واما النهی فعلى سبيل الاختيار والكراهة انتهى ومعنى لا يتطيرون لا يتشاءمون بالطيور ونحوها وسيأتی بيان الطيرة وما يتعلق بها فی بابها ان شاء الله تعالى والتوكل هو الاصل الجامع الذی تفرعت عنه هذه الخصال الحميدة والافعال المجيدة وهو التعويل على الله وحده وصدق الالتجاء اليه والاعتماد بالقلب عليه الذی هو نهاية تحقيق التوحيد المثمر كل مقام كريم ومنال عظيم من المحبة والرجاء والخوف والرضاء به ربا والها والرضاء بقضائه والتسليم لقدره وليس فی هذا الحديث انهم لا يباشرون الاسباب اصلا فان مباشرة الاسباب ثم تمدن نوع الانسان فی الجملة امر فطری

قوله ولا يرقون وهم من الراوی

التوكل

وشئ ضروری لا یکاد احد ان ینفک عنه بل نفس التوکل مباشرة لاعظم الاسباب کما قال تعالی ومن یتوکل علی الله فهو حسبه ای کافیه وانما المراد انهم یترکون الامور المکروهة مع حاجتهم الیها اعتمادا علیه سبحانه وتفویضا الیه فترکهم مثلا للاکتواء والاسترقاء مباشرة لسبب کاف لکونهما مکروهین لاسیما والمریض یتشبث فیما یظنه سببا لشفائه بخیط العنکبوت واما مباشرة الاسباب التداوی علی وجه لا کراهة فیه فغیر قادح فی التوکل فلا یکون ترکه من هذا الوادی لما فی الصحیحین عن ابی هریرة رضی الله عنه مرفوعا ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء وقد جاءنا بهذا من جاء بحدیث الباب فلا یحسن منا ان نؤمن ببعض ونکفر ببعض وفی یزیده ایضاحا ما روی عن اسامة بن شریک قال کنت عند النبی صلی الله علیه وآله وسلم فجاءت الاعراب فقالوا یا رسول الله انتداوی قال نعم یا عباد الله تداووا فان الله عز وجل لم یضع داء الا ووضع له شفاء غیر داء واحد قالوا وما هو قال الهرم رواه احمد قال ابن القیم رح هذه الاحادیث تضمنت اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول من انکرها والامر بالتداوی ولا ینافی التوکل کما لا ینافی دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد باضدادها بل لا تتم حقیقة التوحید الا بمباشرة الاسباب التی نصبها الله تعالی مقتضیات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطیلها لا یقدح فی نفس التوکل کما لا یقدح فی الامر والحکمة ویضعف من حیث یظن معطلها ان ترکها اقوی من التوکل فان ترکها عجزا ینافی التوکل الذی حقیقته اعتماد القلب علی الله فی حصول ما ینفع العبد فی دینه ودنیاه ودفع ما یضره فیهما ولا بد مع الاعتماد من مباشرة الاسباب والا کان معطلا للحکمة والشرع فلا یجعل العبد عجزه توکلا ولا توکله عجزا وقد اختلف العلماء فی التداوی هل هو مباح وترکه افضل او مستحب او واجب والمشهور عن احمد الاول لهذا الحدیث وما فی معناه والمشهور عند الشافعی الثانی حتی ذکر النووی فی شرح مسلم انه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلق واختاره الوزیر ابو المظفر قال ومذهب ابی حنیفة انه مؤکد حتی یدانی به الوجوب قال ومذهب مالک انه یستوی فعله وترکه فانه قال لا باس بالتداوی ولا باس بترکه وقال شیخ الاسلام ابن تیمیة لیس بواجب عند جماهیر الائمة وانما اوجبه طائفة قلیلة من اصحاب الشافعی واحمد انتهی قلت والذی ترجح عندی بالنظر فی الاحادیث الواردة فی هذا الباب انه سنة یثاب فاعله ان نوی اتباع السنة ولا یلام تارکه ابدا ان قوی علی ترکه وطب النبی صلی الله علیه وآله وسلم باب مستقل من ابواب الشرع واما عکاشة بن محصن فبضم العین وتشدید الکاف ومحصن بکسر المیم وسکون الحاء وفتح الصاد ابن حرثان الاسدی من بنی اسد بن خزیمة وفی حدیثه هذا طلب الدعاء من الفاضل وفی روایة للبخاری

التداوی لا ینافی التوکل

حکم التداوی

الى الجهاد ان امكن انتهى قال الحافظ فى فتح البارى تحت قول البخارى باب ما جاء فى دعاء النبى صلى
الله عليه وآله وسلم امته الى توحيد الله تعالى المراد بتوحيد الله الشهادة بانه اله واحد وهذا الذى يسميه
بعض غلاة الصوفية توحيد العامة وقد ادعى طائفتان فى تفسير التوحيد امرين اخترعوهما احدهما
تفسير المعتزلة كما تقدم ثانيهما تفسير غلاة الصوفية فان اكابرهم لما تكلموا فى مسئلة المحو والفناء وكان مرادهم
بذلك المبالغة فى الرضاء والتسليم وتفويض الامر بالغ بعضهم حتى ضاهى المرجئة فى نفى نسبة الفعل
الى العبد وجر ذلك الخصم الى معذرة العصاة ثم غلا بعضهم فعذر الكفار ثم غلا بعضهم فزعم ان المراد
بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود وعظم الخطب حتى ساء ظن كثير من اهل العلم بمتقدميهم وحاشاهم من ذلك
وقد قدمت كلام شيخ الطائفة الجنيد وهو فى غاية الحسن والايجاز وقد رد عليه بعض من قال بالوحدة
المطلقة فقال وهل من غير ولهم فى ذلك كلام طويل ينبو عنه سمع كل من كان على فطرة الاسلام والله المستعان
انتهى كلام الفتح قلت مذهب الصوفية فى مسئلة التوحيد مذهبان الاول وحدة الشهود وعليه
درج سلفهم وائمتهم وهو الذى بحثه جم من السلف والخلف وعليه تنطبق ادلة الكتاب والسنة جميعا
وان كانت على طريقة اشارة النص دون دلالته ويشمله قوله سبحانه وتعالى فاعتبروا يا اولى الابصار
واياه عنى من خاض فى هذه المسئلة بعد العلم باقوال اهل الباطن من الصوفية والعلماء الجامعين
بين الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة وهو الحق البحت والصواب المحض الذى لا محيص عنه لمن يؤمن
بالله واليوم الآخر ويخاف الله ويرجوه ويشح بدينه وايمانه والمذهب الثانى وحدة الوجود الذى احدثه
المغلوبون السكارى والمجوبون الحيارى وقال به جماعة من متاخرى المشائخ الذين هم على مراحل من
مدارك الشرع ومفاهيمه ومعاطفه وهو الذى اشار اليه الحافظ فيما سبق قريبا وقال فيه ينبو عنه سمع كل
من كان على فطرة الاسلام وتقدم على ذلك الكلام منا نقلا عن سيف السنة الرفيعة فاياك ان تغتر باقوالهم
وتصير مشركا خالصا بالتمسك بمقالاتهم المضادة لكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم وبالاعتقاد بها و
الجمود عليها والذى سماه بعضهم توحيد العامة فهو الذى دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امته
وندب اليه وحث عليه وليس وراء بيان الله ورسوله بيان ولا فرية بعد عبادان فمن اعتقد
ان ما دل عليه الكتاب والسنة من بيان التوحيد المجمع عليه بين الانبياء والرسل هو توحيد العامة
وتوحيد الخاصة هو وحدة الوجود وما ذهب اليه الفلاسفة والملاحدة من الجهمية ومن اشبههم

ف وحدة الوجود والشهود

فقال اللهم اجعله منهم واما الرجل الاخر فقال القرطبي لم يكن عنده من الاحوال ما كان عند عكاشة فلذلك لم يجبه اذ لو اجابه لجاز ان يطلب ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل الامر فسد الباب بقوله ذلك انتهى يعني سبقك بها عكاشة وفيه استعمال المعاريض وحسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وبالجملة هذه الادلة التي سيقت هنا من الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على ان من حقق التوحيد تحقيقا كاملا وانصبغ به انصباغا صادقا يدخله الله تعالى في جنته برحمته بغير حساب ولا كتاب ولا عذاب ولا عتاب ومن تحقق به وقصر في العمل واتى بالذنوب وارتكب الخطايا التي لم تبلغ به الى حد الكفر والشرك فالعفو في حقه مرجو ونجاته من النار متقرر ولو بعد حين ولا يخلد في النار ابدا مع المشركين ان شاء الله تعالى واما الدعاء الى التوحيد الذي هو عبارة عن الشهادتين فقد دل الكتاب والسنة واقوال الائمة عليه دلالة هي اوضح من شمس النهار

قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين قال ابن جرير الطبري يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعو اليها والطريقة التي انا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الالهة والاوثان والانتهاء الى طاعة الله وترك معصيته سبيلي اي طريقي ودعوتي الى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين وعلم مني انا ويدعو اليه على بصيرة ايضا من اتبعني وصدقني وآمن بي وقل تنزيها لله وتعظيما له من ان يكون له شريك في ملكه او معبود سواه في سلطانه وانا بريء من اهل الشرك به ولست منهم ولا هم مني انتهى وفي الاية التنبيه على الاخلاص لان كثيرا ممن يدعو الى الحق فهو يدعو الى نفسه وفيها ان البصيرة من اعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها كنسبة المرئي الى البصر وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة على سائر الامة وهي اعلى درجات العلماء فالاية تدل على ان اتباعه الداعين الى الله تعالى اهل البصائر ومن ليس منهم فليس من اتباعه على الحقيقة والموافقة وان كان من اتباعه على الانتساب والدعوى ويوضحه قوله تعالى

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن قال ابن القيم رح في معنى هذه الاية ذكر سبحانه مراتب الدعوة فجعلها ثلثة اقسام بحسب حال المدعو فانه اما ان يكون طالبا للحق محبا له مؤثرا له على غيره اذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج الى موعظة وجدال واما ان يكون مشتغلا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج الى الموعظة بالترغيب والترهيب واما ان يكون معاندا معارضا فهذا يجادل بالتي هي احسن فان رجع فيها والا ينتقل معه

الدعاء الى التوحيد

الدعوة ثلثة اقسام

فى ذلك فقد خلع ربقة الاسلام عن رقبته وعادى الله ورسوله وصار يصدق عليه ما اخبر الله تعالىٰ به فى كتابه ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد ذكر البخارى فى الباب المشار اليه اربعة احاديث فى المعنى منها حديث معاذ بن جبل فى بعثه الى اليمن وفيه فليكن اول ما تدعوهم اليه ان يوحد والله فاذا عرفوا ذلك الخ وفى رواية فليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله فاذا عرفوا الله الخ وكذا اخرجه مسلم عن الشيخ الذى اخرجه عنه البخارى قال الحافظ فى الفتح وقد تمسك به من قال اول واجب المعرفة كامام الحرمين واستدل بانه لا يتاتى الاتيان بشئ من المامورات على قصد الامتثال ولا الانكفاف عن شئ من المنهيات على قصد الانزجار الا بعد معرفة الآمر الناهى واعترض عليه بان المعرفة لا تتاتى الا بالنظر والاستدلال وهو مقدمة الواجب فيجب فيكون اول واجب النظر وذهب الى هذا طائفة كابن فورك وتعقب بان النظر ذو اجزاء يترتب بعضها على بعض فيكون اول واجب جزء من النظر وهو محكى عن القاضى ابى بكر بن الطيب وعن الاستاذ ابى اسحق الاسفرائنى اول واجب القصد الى النظر وجمع بعضهم بين هذه الاقوال بان من قال اول واجب المعرفة اراد طلبا او تكليفا ومن قال النظر او القصد اراد امتثالا لانه يسلم انه وسيلة الى تحصيل المعرفة فيدل ذلك على سبق وجوب المعرفة وقد ذكرت فى باب كفارة الايمان من اعرض عن هذا من اصله وتمسك بقوله تعالىٰ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها وبحديث كل مولود يولد على الفطرة فان ظاهر الآية والحديث ان المعرفة حاصلة باصل الفطرة وان الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فابواه يهودانه وينصرانه وقد وافق ابو جعفر السمنانى وهو من رؤس الاشاعرة هذا وقال ان هذه المسئلة بقيت فى مقالة الاشعرى من مسائل المعتزلة وتفرع عليها ان الواجب على كل احد معرفة الله بالادلة الدالة عليه وانه لا يكفى التقليد فى ذلك انتهى وقرأت فى جزء من كلام شيخ شيوخنا صلاح الدين العلائى ما ملخصه ان هذه المسئلة مما تناقضت فيه المذاهب وتباينت بين مفرط ومفرط ومتوسط فالطرف الاول قول من قال يكفى التقليد المحض فى اثبات وجود الله تعالىٰ ونفى الشريك منه وممن نسب اليه اطلاق ذلك عبيد الله بن الحسن العنبرى وجماعة من الحنابلة والظاهرية ومنهم من بالغ فحرم النظر فى الادلة واسند الى ما ثبت عن الائمة الكبار فى ذم الكلام كما سياتى والطرف الثانى قول من وقف صحة ايمان كل احد على معرفة الادلة من علم الكلام ونسب ذلك

لابی اسحق الاسفرائنی وقال الغزالی اسرفت طائفة فكفر واعوام المسلمين وزعموا ان من لم يعرف العقائد الشرعية بالادلة التی حرروها فهو كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين وذكر نحوه ابو المظفر السمعانی واطال فی الرد علی قائله ونقل عن اكثر ائمة الفتوی انهم قالوا لا يجوز ان يكلف العوام اعتقاد الاصول بدلائلها لان فی ذلك من المشقة اشد من المشقة فی تعلم الفروع الفقهية واما المذهب المتوسط فذكره وساذكره ملخصا بعد هذا وقال القرطبی فی المفهم فی شرح حديث ابغض الرجال الی الله الالد الخصم الذی تقدم شرحه فی اثناء كتاب الاحكام وهو فی اوائل كتاب العلم من صحيح مسلم هذا الشخص الذی يبغضه الله هو الذی يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالاوجه الفاسدة والشبه الموهمة واشد ذلك الخصومة فی اصول الدين كما يقع لاكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التی ارشد اليها كتاب الله وسنة رسوله صلی الله عليه وآله وسلم وسلف امته الی طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وامور صناعية مدار اكثرها علی آراء سوفسطائية او مناقضات لفظية تنشأ بسببها علی الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الايمان معها واحسنهم انفصالا عنها اجدلهم لا اعلمهم فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوی علی حلها وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها ثم ان هؤلاء قد ارتكبوا انواعا من المحال لا يرتضيها البله ولا الاطفال لما بحثوا من تحيز الجواهر والالوان والاحوال فاخذوا فيما امسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالی وتعديدها واتحادها فی نفسها وهل هی الذات او غيرها وفی الكلام هل هو متحد او منقسم وعلی الثانی هل ينقسم بالنوع او بالوصف وكيف تعلق فی الازل بالمامور مع كونه حادثا ثم اذا انعدم المامور هل يبقی التعلق وهل الامر لزيد بالصلوة مثلا هو نفس الامر لعمرو بالزكاة الی غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يامر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بانه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل لكون العقول لها حد تقف عنده ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات ومن توقف فی هذا فليعلم انه اذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها وعن كيفية ادراك ما يدرك به فهو عن ادراك غيره اعجز وغاية علم العالم ان يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزه عن التشبيه مقدس عن النظير متصف بصفات الكمال ثم متی ثبت النقل بشیء من اوصافه واسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه كما هو طريق السلف وما عداه لا يامن صاحبه من الزلل وكفی فی الردع عن الخوض فی

طرق المتكلمين ما ثبت عن الائمة المتقدمين كعمر بن عبد العزيز ومالك بن انس والشافعي وقد قطع بعض الائمة بان الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين فمن رغب عن طريقتهم فكفاه ضلالا قال وافضى الكلام بكثير من اهله الى الشك وببعضهم الى الالحاد وببعضهم الى التهاون بوظائف العبادات وسبب ذلك اعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم حقائق الامور من غيره وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استاثر بها وقد رجع كثير من ائمتهم عن طريقهم حتى جاء عن امام الحرمين انه قال ركبت البحر الاعظم وغصت في كل شيء نهى عنه اهل العلم في طلب الحق فرارا من التقليد والان فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف هذا كلامه او معناه وعنه انه قال عند موته يا اصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت انه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به الى ان قال القرطبي ولو لم يكن في الكلام الا مسئلتان هما من مباديه لكان حقيقا بالذم احداهما قول بعضهم ان اول واجب الشك اذ هو اللازم عن وجوب النظر او القصد الى النظر واليه اشار الامام بقوله ركبت البحر الاعظم ثانيتهما قول جماعة منهم ان من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والابحاث التي حرروها لم يصح ايمانه حتى لقد اورد على بعضهم ان هذا يلزم منه تكفير ابيك واسلافك وجيرانك فقال لا تشنع علي بكثرة اهل النار قال وقد رد بعض من لم يقل بهما على من قال بهما بطريق من الرد النظري وهو خطأ منه فان القائل بالمسئلتين كافر شرعا لجعله الشك في الله واجبا ومعظم المسلمين كفارا حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وهذا معلوم الفساد من الدين بالضرورة والا فلا يوجد في الشرعيات ضروري وختم القرطبي كلامه بالاعتذار عن اطالة النفس في هذا الموضع لما شاع بين الناس من هذه البدعة حتى اغتر بها كثير من الاغمار فوجب بذل النصيحة والله يهدي من يشاء انتهى وقال الامدي في ابكار الافكار ذهب ابو هاشم من المعتزلة الى ان من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر لان ضد المعرفة النكرة والنكرة كفر قال واصحابنا مجمعون على خلافه وانما اختلفوا فيما اذا كان الاعتقاد موافقا لكن عن غير دليل فمنهم من قال ان صاحبه مؤمن عاص بترك النظر الواجب ومنهم من اكتفى بمجرد الاعتقاد الموافق وان لم يكن عن دليل وسماه علما وعلى هذا فلا يلزم من حصول المعرفة بهذا الطريق وجوب النظر وقال غيره من منع التقليد واوجب الاستدلال لم يرد التعمق في طرق المتكلمين بل اكتفى بما لا يخلو عنه من نشأ بين المسلمين من الاستدلال بالمصنوع على الصانع وغايته ان يحصل في الذهن مقدمات ضرورية

تتألف تآلفاً صحيحاً وتنتج العلم لكنه لو سئل كيف حصل له ذلك ما اهتدى للتعبير به وقيل الاصل في هذا كله المنع من التقليد في اصول الدين وقد انفصل بعض الائمة عن ذلك بأن المراد بالتقليد اخذ قول الغير بغير حجة ومن قامت عليه حجة بثبوت النبوة حتى حصل له القطع بها فمهما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مقطوعاً عنده بصدقه فاذا اعتقده لم يكن مقلداً لانه لم يأخذ بقول غيره بغير حجة وهذا مستند السلف قاطبة في الاخذ بما ثبت عندهم من آيات القرآن واحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بهذا الباب فآمنوا بالمحكم من ذلك وفوضوا امر المتشابه منه الى ربهم وانما قال من قال ان مذهب الخلف احكم بالنسبة الى الرد على من لم يثبت النبوة فيحتاج من يريد رجوعه الى الحق ان يقيم عليه الادلة الى ان يذعن فيسلم او يعاند فيهلك بخلاف المؤمن فانه لا يحتاج في اصل ايمانه الى ذلك وليس سبب الاول الا جعل الاصل عدم الايمان فلزم ايجاب النظر المؤدي الى المعرفة والا فطريق السلف اسهل من هذا كما تقدم ايضاحه من الرجوع الى ما دلت عليه النصوص حتى يحتاج الى ما ذكر من اقامة الحجة على من ليس بمؤمن فاختلط الامر على من اشترط ذلك والله المستعان واحتج بعض من اوجب الاستدلال باتفاقهم على ذم التقليد وذكروا الآيات والاحاديث الواردة في ذم التقليد وبان كل احد قبل الاستدلال لا يدري اي الامرين هو الهدى وبان كل ما لا يصح الا بالدليل فهو دعوى لا يعمل بها وبان العلم اعتقاد الشيء على ما هو عليه من ضرورة او استدلال وكل ما لم يكن علماً فهو جهل ومن لم يكن عالماً فهو ضال والجواب عن الاول ان المذموم من التقليد اخذ قول الغير بغير حجة وليس من هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الله عز وجل وجب اتباعه في كل ما يقول وليس العمل بما امر به او نهى عنه داخلاً تحت التقليد المذموم اتفاقاً واما من دونه ممن اتبعه في قول قاله واعتقد انه لو لم يقله لم يقل هو به فهو المقلد المذموم بخلاف ما لو اعتقد ذلك في خبر الله ورسوله فانه يكون ممدوحاً واما احتجاجهم بان احدا لا يدري قبل الاستدلال اي الامرين هو الهدى فليس بمسلم بل من الناس من تطمئن نفسه وينشرح صدره للاسلام من اول وهلة ومنهم من يتوقف على الاستدلال فالذي ذكروه هم اهل الشق الثاني فيجب عليه النظر ليقي نفسه النار لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم ناراً ويجب على كل من استرشده ان يرشده ويبرهن له الحق وعلى هذا مضى السلف الصالح من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده واما من استقرت نفسه الى تصديق الرسول ولم تنازعه نفسه الى طلب دليل توفيقاً من الله وتيسيراً فهم الذين قال الله تعالى

فی حقهم ولکن الله حبب الیکم الایمان وزینه فی قلوبکم الایة **وقال** فمن یرد الله ان یهدیه یشرح صدره للاسلام الایة وليس هؤلاء مقلدين لاباۂهم ولا لرؤسائهم لانهم لو كفر اباؤهم ورؤساؤهم لم يتابعوهم بل يجدون النفرة عن كل من سمعوا عنه ما يخالف الشريعة واما الايات والاحاديث فانما وردت فی حق الكفار الذين اتبعوا من نهوا عن اتباعه وتركوا اتباع من امروا باتباعه وانما كلفهم الله تعالى الاتيان بالبرهان على دعواهم بخلاف المؤمنين فلم يرد قط انه اسقط اتباعهم حتى ياتوا بالبرهان وكل من خالف الله ورسوله فلا برهان له اصلا وانما كلف الاتيان بالبرهان تبكيتا وتعجيزا واما من اتبع الرسول فيما جاء به فقد اتبع الحق الذى امر به وقامت البراهين على صحته سواء علم هو بتوجيه ذلك البرهان ام لا وقول من قال منهم ان الله ذكر الاستدلال وامر به مسلم لكن هو فعل حسن مندوب لكل من اطاقه وواجب على كل من لم تسكن نفسه الى التصديق كما تقدم تقريره وبالله التوفيق وقال غيره قول من قال طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف احكم ليس بمستقيم لانه ظن ان طريقة السلف مجرد الايمان بالفاظ القران والحديث من غير فقه فی ذلك وان طريقة الخلف هی استخراج معانی النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى فی طريقة الخلف وليس الامر كما ظن بل السلف فی غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى وفی غاية التعظيم له والخضوع لامره والتسليم لمراده وليس من سلك طريق الخلف واثقا بان الذى يتاوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تاويله واما قولهم فی العلم فزادوا فی التعريف عن ضرورة او استدلال وتعريف العلم انتهى عند قوله عليه فان ابوا الا الزيادة فليزدادوا عن تيسير الله له ذلك وخلقه ذلك المعتقد فی قلبه والا فالذى زادوه هو محل النزاع فلا دلالة فيه وبالله التوفيق وقال ابو المظفر السمعانی تعقب بعض اهل العلم قول من قال ان السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بايراد دلائل العقل فی التوحيد بانهم لم يشتغلوا بالتفريعات فی احكام الحوادث وقد قبل ذلك الفقهاء واستحسنوه فدونوه فی كتبهم فكذلك علم الكلام ويمتاز علم الكلام بانه يتضمن الرد على الملحدين واهل الاهواء وبه تزول الشبهة عن اهل الزيغ ويثبت اليقين لاهل الحق وقد علم الكل ان الكتاب لم تعلم حقيته والنبی صلى الله عليه واله وسلم لم يثبت صدقه الا بادلة العقل واجاب اما اولا فان الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وامروا بالاتباع وصح عن السلف انهم نهوا عن الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب واما الفروع فلم يثبت عن احد منهم النهى عنها الا لمن ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس واما من اتبع النص وقاس عليه فلا يحفظ لاحد من ائمة السلف

بكار ذلك لان الحوادث فى المعاملات لا تنقضى وبالناس حاجة الى معرفة الحكم فمن ثم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام وأما ثانيا فان الدين كمل لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فاذا كان اكمله واتمه وتلقاه الصحابة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم فاى حاجة بهم الى تحكيم العقول والرجوع الى قضاياها وجعلها اصلا والنصوص الصحيحة الصريحة يعترض عليها فتارة يهمل بمضمونها وتارة تحرف عن مواضعها واذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه الا انقصانا فى المعنى مثل زيادة اصبع فى اليد فانها تنقص قيمة العبد الذى يقع به ذلك وقد توسط بعض المتكلمين فقال لا يكفى التقليد بل لا بد من دليل ينشرح به الصدر ويحصل به الطمأنينة العلمية ولا يشترط ان يكون بطريق الصناعة الكلامية بل يكتفى فى حق كل احد بحسب ما يقتضيه فهمه انتهى والذى تقدم ذكره من تقليد النصوص كاف فى هذا القدر وقال بعضهم المطلوب من كل احد التصديق الجزمى الذى لا ريب معه بوجود الله تعالى والايمان برسله وبما جاؤا به كيفما يحصل وباى طريق اليه يوصل ولو كان عن تقليد محض اذا سلم من التزلزل قال القرطبى هذا الذى عليه ائمة الفتوى ومن قبلهم من ائمة السلف واحتج بعضهم بما تقدم من القول فى اصل الفطرة وبما تواتر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم الصحابة انهم حكموا باسلام من اسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الاوثان فقبلوا منهم الاقرار بالشهادتين والتزام احكام الاسلام من غير الزام بتعليم الادلة وان كان كثير منهم انما اسلم لوجود دليل ما بسبب وضوحه له فالكثير منهم قد اسلموا طوعا من غير تقدم استدلال بل بمجرد ما كان عندهم من اخبار اهل الكتاب بان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم سيبعث وينتصر على من خالفه فلما ظهرت لهم العلامات فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم بادروا الى الاسلام وصدقوه فى كل شئ قاله ودعاهم اليه من الصلوة والزكوة وغيرهما وكثير منهم كان يؤذن له فى الرجوع الى معاشه من رعاية الغنم وغيرها وكانت انوار النبوة وبركاتها تشملهم فلا يزالون يزدادون ايمانا ويقينا وقال ابو المظفر السمعانى ايضا ما ملخصه ان العقل لا يوجب شيئا ولا يحرم شيئا ولا حظ له فى شئ من ذلك ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على احد شئ لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله سبحانه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ونحو ذلك من الآيات فمن زعم ان دعوة رسل الله عليهم الصلوة والسلام انما كانت لبيان الفروع لزمه ان يجعل العقل هو الداعى الى الله

دون الرسول ويلزمه ان وجود الرسول وعدمه بالنسبة الى الدعاء الى الله سواء وكفى بهذا ضلالا ونحن لا ننكر ان العقل يرشد الى التوحيد وانما ننكر انه يستقل بايجاب ذلك حتى لا يصح اسلام الا بطريقه مع قطع النظر عن السمعيات لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب والاحاديث الصحيحة التي تواترت ولو بالطريق المعنوي ولو كان كما يقول اولئك لبطلت السمعيات التي لا مجال للعقل فيها او اكثرها بل يجب الايمان بما ثبت من السمعيات فان عقلناه فبتوفيق الله تعالى والا اكتفينا باعتقاد حقيته على وفق مراد الله تعالى انتهى ويؤيد كلامه ما اخرجه ابو داؤد عن ابن عباس ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك الله آلله ارسلك ان نشهد ان لا اله الا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم فاسلم واصله في الصحيحين في قصة ضمام بن ثعلبة وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما انت قال نبي الله قلت آلله ارسلك قال نعم قلت باي شيء قال وحد الله لا اشرك به شيئا الحديث وفي حديث اسامة بن زيد في قصة قتيله الذي قال لا اله الا الله فانكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحديث المقداد في معناه وفي كتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم الى التوحيد الى غير ذلك من الاخبار المتواترة التواتر المعنوي الدالة على انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يزد في دعاء المشركين على ان يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه فمن فعل ذلك قبل منه سواء كان اذعانه عن تقدم نظر ام لا ومن توقف منهم نبهه حينئذ على النظر او اقام عليه الحجة الى ان يذعن او يستمر على عناده وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد سلك بعض ائمتنا في اثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمعجزات الرسالة فانها اصل في وجوب قبول ما دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا الوجه وقع ايمان الذين استجابوا للرسل ثم ذكر قصة النجاشي وقول جعفر بن ابي طالب له بعث الله الينا رسولا نعرف صدقه فدعانا الى الله وتلا علينا تنزيلا من الله لا يشبهه شيء فصدقناه وعرفنا ان الذي جاء به الحق الحديث بطوله وقد اخرجه ابن خزيمة في كتاب الزكوة من صحيحه من رواية ابن اسحق وحاله معروفة وحديثه في درجة الحسن قال البيهقي فاستدلوا باعجاز القرآن على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا بما جاء به من اثبات الصانع ووحدانيته وحدث العالم وغير ذلك مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وغيره واكتفاء غالب من اسلم بمثل ذلك مشهور في الاخبار فوجب تصديقه في كل

شئ ثبت عنه بطريق السمع ولا يكون ذلك تقليدا بل هو اتباع انتهى وقد استدل من شرط النظر
بالآيات والاحاديث الواردة فى ذلك ولا حجة فيها لان من لم يشترط النظر لم ينكر اصل النظر وانما انكر
توقف الايمان على وجود النظر بالطرق الكلامية اذ لا يلزم من الترغيب فى النظر جعله شرطا واستدل
بعضهم بان التقليد لا يفيد العلم اذ لو افاده لكان العلم حاصلا لمن قلد فى قدم العالم ولمن قلد فى
حدثه وهو محال لافضائه الى الجمع بين النقيضين وهذا انما يتاتى فى تقليد غير النبى صلى الله عليه وآله
وسلم واما تقليده صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخبر به عن ربه فلا يتناقض اصلا واعتذر بعضهم
عن اكتفاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه باسلام من اسلم من الاعراب من غير نظر
بان ذلك كان لضرورة المبادى واما بعد تقرير الاسلام وشهرته فيجب العمل بالادلة ولا يخفى
ضعف هذا الاعتذار والعجب ان من اشترط ذلك من اهل الكلام ينكرون التقليد وهم اول داع
اليه حتى استقر فى الاذهان ان من انكر قاعدة من القواعد التى اصلوها فهو مبتدع ولو لم يفهمها
ولم يعرف ماخذها وهذا هو محض التقليد فآل امرهم الى تكفير من قلد الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم فى معرفة الله والقول بايمان من قلدهم وكفى بهذا ضلالا وما مثلهم الا كما قال بعض
السلف انهم كمثل قوم كانوا سفرا فوقعوا فى فلاة ليس فيها ما يقوم به البدن من الماكول والمشروب
وراوا فيها طرقا شتى فانقسموا قسمين فقسم وجدوا من قال لهم انا عارف بهذه الطرق وطريق النجاة
منها واحدة فاتبعونى فيها تنجوا فتبعوه وتخلفت عنه طائفة فاقاموا الى ان وقفوا على امارة وظهر لهم
ان فى العمل بها النجاة فعملوا بها فنجوا وقسم هجموا بغير مرشد ولا امارة فهلكوا فليست نجاة من اتبع المرشد
ادون من نجاة من اخذ بالامارة ان لم يكن اولى منها ونقلت من جزء الحافظ صلاح الدين العلائى
يمكن ان يفصل فيقال من لا له اهلية لفهم شئ من الادلة اصلا وحصل له اليقين التام بالمطلوب اما
بنشأته على ذلك او لنور يقذفه الله تعالى فى قلبه فانه يكتفى منه بذلك ومن فيه اهلية لفهم الادلة لم
يكتف منه الا بالايمان عن دليل ومع ذلك فدليل كل احد بحسبه وتكفى الادلة المجملة التى تحصل بادنى
نظر ومن حصلت عنده شبهة وجب عليه التعلم الى ان تزول عنه قال فبهذا يحصل الجمع بين كلام
الطائفة المتوسطة واما من غلا فقال لا يكفى ايمان المقلد فلا يلتفت اليه لما يلزم منه القول بعدم
ايمان اكثر المسلمين وكذا من غلا ايضا فقال لا يجوز النظر فى الادلة لما يلزم منه من ان اكابر السلف

لم يكونوا من اهل النظر انتهى ملخصاً واستدل بقوله فاذا عرفوا الله بان معرفة الله بحقيقة كنهه ممكنة للبشر فان كان ذلك مقيداً بما عرف به نفسه من وجوده وصفاته اللائقة من العلم والقدرة والارادة مثلاً وتنزيهه عن كل نقيصة كالحدوث فلا باس به فاما ما عدا ذلك فانه غير معلوم للبشر واليه الاشارة بقوله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا احمل قوله فاذا عرفوا الله على ذلك كان واضحاً مع ان الاحتجاج به يتوقف على الجزم بانه صلى الله عليه وآله وسلم نطق بهذه اللفظة وفيه نظر لان القصة واحدة ورواة هذا الحديث اختلفوا هل ورد الحديث بهذا اللفظ او بغيره فلم يقل صلى الله عليه وآله وسلم الا بلفظ منها ومع احتمال ان يكون هذا اللفظ من تصرف الرواة لا يتم الاستدلال وقد بينت في اواخر كتاب الزكوة ان الاكثرين رووه بلفظ فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك ومنهم من رواه فادعهم الى ان يوحدوا الله فاذا عرفوا ذلك ومنهم من رواه بلفظ فادعهم الى عبادة الله فاذا عرفوا الله ووجه الجمع بينها ان المراد بالعبادة التوحيد والمراد بالتوحيد الاقرار بالشهادتين والاشارة بقوله ذلك الى التوحيد وقوله فاذا عرفوا الله اى عرفوا توحيد الله والمراد بالمعرفة الاقرار والطواعية فبذلك يجمع بين هذه الالفاظ المختلفة في القصة الواحدة وبالله التوفيق وفي حديث ابن عباس من الفوائد غير ما تقدم الاقتصار في الحكم باسلام الكافر اذا اقر بالشهادتين فان من لازم الايمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين واما ما وقع من بعض المبتدعة من انكار شئ من ذلك فلا يقدح في صحة الحكم الظاهر لانه ان كان مع تاويل فظاهر وان كان عناداً اقدح في صحة الاسلام فيعامل بما يترتب عليه من ذلك كاجراء احكام المرتد وغير ذلك وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به وتعقب بان مثل خبر معاذ حفته قرينة انه في زمن نزول الوحي فلا يستوي مع سائر اخبار الآحاد وقد مضى في باب اجازة خبر الواحد ما يغني عن اعادته وفيه ان الكافر اذا صدق بشئ من اركان الاسلام كالصلوة مثلاً يصير بذلك مسلماً وبالغ من قال كل شئ يكفر به المسلم اذا جحده يصير به الكافر مسلماً اذا اعتقده والاول ارجح كما جزم به الجمهور وهذا في الاعتقاد اما الفعل كما لو صلى فلا يحكم باسلامه وهو اولى بالمنع لان الفعل لا عموم له فيدخله احتمال العبث والاستهزاء هذا آخر كلام الحافظ رح في فتح الباري مطولاً بلفظه والحاصل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس الى توحيد الالوهية والتوحيد عبارة عن القول بالشهادتين والشهادتان تدعوان الى اخلاص العبادة لله تعالى ويكفي في ذلك اتباع الدعاة من الرسل واتباعهم قدوة بهم ولا يجب النظر ولا الاستدلال على ثبوت الصانع القديم الواحد الواجب الوجود ذي الصفات العليا والاسماء الحسنى

وان كان ولابد فهذه ادلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة تغنى عن غيرها قال الغزالى فى فطرة الانسان و
شواهد القرآن ما يغنى عن اقامة برهان وقد ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف ان فى القرآن قدر
خمسمائة اية تدل عليه وقد اجمع اهل الملل الدينية وسائر الفرق الاسلامية على ان الطريق الى معرفة
الله تعالى واضح والآيات الدالة على الصانع ووحدانيته وصفاته اكثر من ان تحصى ومن ابلغ من الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم فى الاستدلال والنظر واصدق من الله قيلا فيما هدى الناس اليه من الاعتبار
بخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما بينهن واما نصب الادلة التى احدثها الطائفة المتكلمة
فى الاسلام وجاؤا بها على نهج الفلاسفة الطغام وزادوا عليها من عند انفسهم ما نهوا عن الخوض فيه
والاتيان به ودعوا الناس اليه والزموه العلم والاعتقاد به فليس من الشرعة الحقة فى صدر ولا ورد
وليس عليه اثارة من علم وانما هو من الجهل البسيط والمركب بمكان لا يخفى على من له ادنى المام بالقرآن والحديث
وطريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ويا لله العجب من قوم اذا سألت عنهم عن فضائل السلف اقروا
بمزيتهم فى العلم والعمل عليهم وعلى غيرهم من كل احد واذا طالبتهم الى القول بما قالوا والعمل بما عملوا
والاعتقاد بمثل اعتقادهم الساذج عن اهواء المتكلمين وآراء المجادلين اشمأزت قلوبهم ونفرت طبائعهم
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وبالجملة فالحق الحقيق بالقبول الذى انزل الله تعالى لاجله كتبه و
دعا اليه كل رسول هو التوحيد الخالص من شوب الاكدار المصفى من قذرات الافكار وهو الاقرار باللسان
والتصديق بالجنان بوجود الصانع لهذا العالم بالفطرة التى فطر الله الخلق عليها من غير استدلال
بادلة نظرية مبنية على شفا جرف هار ومعرفته سبحانه بالصفات الواردة فى كتابه وفى احاديث رسوله
والاكتفاء بمجمل الايمان على طريق السلف هذا صحيح البخارى تلو القرآن فيه كتاب التوحيد المشتمل على
بيان صفات الله تعالى التى ورد بها القرآن وصحت بها السنة المطهرة على لسان سيد ولد عدنان راجعه
تجد فيه من هذا الباب كثيرا طيبا قال الحافظ فى الفتح تنبيهان احدهما الذى يظهر من تصرف البخارى
فى كتاب التوحيد انه يسوق الاحاديث التى وردت فى الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها
فى باب ويؤيده بآية من القرآن للاشارة الى خروجها عن اخبار الآحاد على طريق التنزل فى ترك الاحتجاج
بها فى الاعتقادات وان من انكرها خالف الكتاب والسنة جميعا وقد اخرج ابن ابى حاتم فى كتاب
الرد على الجهمية بسند صحيح عن سلام بن ابى مطيع وهو شيخ شيوخ البخارى انه ذكر المبتدعة

فقال ويلهم ماذا ينكرون من هذه الاحاديث والله ما فى الحديث شئ الا وفى القرآن مثله يقول الله ان الله سميع بصير ويحذركم الله نفسه والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى وكلم الله موسى تكليما الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك فلم يزل من العصر الى غروب الشمس انتهى ولم يذكر الحافظ تنبيها ثانيا فى النسخة التى عندنا ولا ادرى هو سهو منه او من الكاتب وعلى كل حال فالذى قال ابن ابى مطيع هو الحق الصريح والصدق الصحيح وان كنت فى ريب مما قلنا فهل الكتاب الجوائز والصلات فى بيان الاسامى والصفات لبعض اهل العلم انظر فيه ترى لكل صفة مقدسة من صفات البارى جل مجده بابا مستقلا وكل باب مصدر بآيات من الكتاب العزيز الناطقة بالصفة التى عقد لها الباب وهذا يرشدك ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والسنة المطهرة تصدق الكتاب العزيز وكذلك الكتاب الكريم يصدق سنة النبى الرؤف الرحيم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وتلك الصفات الثابتة للرحمن الذى استوى على العرش وتقدس عن المماثلة والتشبيه والتعطيل والتكييف مجراة على ظاهرها من غير تاويل ويعالج التشبيه اللازم فى بادى الامر منها بكلمة اجمالية ليس كمثله شئ وهكذا بقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ولو ذهبنا الى تاويل كل صفة وكل لفظة منها وقعنا فى حيص بيص وكنا على مراحل شاسعة من اصل التوحيد المطلوب ولا وجه لقبول تاويل من عالم من علماء الاسلام ورد تاويل غيره منهم مع ان الله تعالى لم يوجب على احد ان يأول كلامه وكلام رسوله ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم اوجب على الامة ان يذهبوا فى تاويل صفاته العليا الى مكان بعيد وقريب بل الذى ندب اليه الشارع وحث عليه جميع الناس هو الاخذ بظاهر النصوص والايمان بالفاظها مع تفويض علم المتشابهات اليه سبحانه ولهذا لا تجد احدا من سلف الامة وائمتها اول شيئا من صفات الرحمن بل صرحوا بان ذلك من اتباع خطوات الشيطان وان التاويل فرع التكذيب وان صرف الكلام بلا برهان شرعى ودليل سمعى ضرب من التحريف والخوض فى ذلك قسم من البدعة والهذيان عصمنا الله تعالى عن ذلك والمسير الى توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته العليا واسمائه الحسنى بالصعود على سلالم اهل الكلام نقيصة واضحة فى الدين وثلمة بادرة فى حصن اليقين بل دل للتوحيد الذى دعا اليه الرسول وندب اليه سبحانه كل جيل من الناس وقبيل من سفهاء الخلق والاكياس فمن زعم ان الحق فى كلام علماء الكلام والتوحيد هو الذى جاء به هؤلاء الطغام والملاحدة والفلاسفة اللئام والقرآن لا يكفى فى ذلك والحديث لا يغنى عما هنالك فقد خرج عن دائرة

الاسلام وعليه دائرة السوء من الله العزيز العلام و الكلام على هذا المقام طويل جدا يستدعى مؤلفا بسيطا وليس من مقصودنا فى هذا الكتاب انما الغرض بيان التوحيد الخالص واعتقاد الالٰه الموصوف بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال والجمال دون الكلام على كل صفة صفة ودون بيان جميع العقائد التى حررها ثم فى كتب اصول الدين لانها قد قضى الوطر منها فى كتب مستقلة ممتعة منتفعة بها من مؤلفات بعض الفحول الاعلام ومؤلفات غيره من علماء التوحيد وفضلاء الحق السديد فعليك بها ان كنت من اهلها والآفات وصنيعك كما قيل لكل نفس دينها وكل حزب بما لديهم فرحون وانما الموعد غدا والخصومة بين يدى الله سبحانه قال تعالى ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وسيعلم الذين ظلموا اى اشركوا بالله ولم يوحدوه ولم يعبدوه خالصا مخلصا له الدين اى منقلب ينقلبون ؎

ستعلم ليلى اى دين تداينت		واى غريم فى التقاضى غريمها	

باب فى الكلام على معنى كلمة التوحيد والتحقق به وما يتصل بذلك

عن انس رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعاذ رديفه فقال يا معاذ قال لبيك وسعديك يا رسول الله قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تأثما اخرجه الشيخان وعن عتبان بن مالك ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله اخرجه البخارى ومسلم وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة او ابى سعيد فى قصة غزوة تبوك وفضل زوادهم بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عنه الجنة وفى الصحيحين عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قالها ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم انف ابى ذر فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابى ذر وفى مسلم ايضا عن عبادة بن الصامت انه قال عند موته سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وفى الصحيحين عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية رح وفي هذا المعنى احاديث كثيرة يطول ذكرها واحاديث هذا الباب نوعان احدهما ما فيه ان من اتى بالشهادتين دخل الجنة او لم يحجب عنها وهذا ظاهر فان النار لا يخلد فيها احد من اهل التوحيد الخالص وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها اذا طهر من ذنوبه بالنار وحديث ابي ذر معناه ان الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد وهذا حق لا مرية فيه ليس فيه انه لا يعذب عليهما مع التوحيد وفي مسند البزار عن ابي هريرة مرفوعا من قال لا اله الا الله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما اصابه والثاني ما فيه انه يحرم على النار وهذا حمله بعضهم على الخلود فيها او على نار يخلد فيها اهلها وهي ما عدا الدرك الاعلى فان الدرك الاعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة ارحم الراحمين وفي الصحيحين ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله قالت طائفة من العلماء المراد من هذه الاحاديث ان لا اله الا الله سبب دخول الجنة والنجاة من النار والمقتضى لذلك ولكن المقتضى لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه او لوجود مانع وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الاظهر قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله منذ سبعين سنة قال الحسن نعم العدة ان للا اله الا الله شروطا فاياك وقذف المحصنات وروى عنه انه قال للفرزدق هذا العمود فاين الطنب وقيل للحسن ان ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال من قال لا اله الا الله فادى حقها وفرضها دخل الجنة وقال وهب بن منبه لمن سأل اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال ولكن ما من مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك وهذا الحديث ان مفتاح الجنة لا اله الا الله اخرجه احمد باسناد منقطع عن معاذ قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سألك اهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل شهادة ان لا اله الا الله ويدل على صحة هذا القول ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رتب دخول الجنة على الاعمال الصالحة في كثير من النصوص كما في الصحيحين عن ابي ايوب ان رجلا قال يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصل الرحم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل ان عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به

توقف الصحابة في قتال مانعي الزكوة

شيئا وتقيم الصلوة المكتوبة وتؤتى الزكوة المفروضة وتصوم رمضان فقال الرجل والذى نفسى بيده لا ازيد على هذا شيئا ولا انقص منه فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا وفى المسند عن بشير بن الخصاصية قال اتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابايعه فاشترط على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان اقيم الصلوة واوتى الزكوة وان احج حجة الاسلام وان اصوم رمضان وان اجاهد فى سبيل الله فقلت يا رسول الله اما اثنتين فو الله ما اطيقهما الجهاد والصدقة فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم حركها وقال لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذا قلت يا رسول الله ابايعك فبايعته عليهن كلهن ففى هذا الحديث ان الجهاد والصدقة شرط فى دخول الجنة مع حصول التوحيد وكذا الصلوة والصيام والحج ونظير هذا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ففهم عمر وجماعة من الصحابة ان من اتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا فى قتال مانعى الزكوة وفهم الصديق رضى الله عنه انه لا يمتنع قتاله الا باداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وقال الزكوة حق المال وهذا الذى فهمه الصديق قد رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وانس وغيرهما وانه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وقد دل على ذلك قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين يعنى على ان الاخوة فى الدين لا تثبت الا باداء الفرائض فان التوبة من الشرك لا تحصل الا بالتوحيد ولا يتم التوحيد الا بالعمل الصالح وعليه رتب دخول الجنة ولما قرر ابو بكر رضى الله عنه هذا للصحابة رجعوا الى قوله ورأوه صوابا فاذا علم ان عقوبة الدنيا لا ترفع عمن ادى الشهادتين مطلقا بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق الاسلام فكذلك عقوبة الاخرة وقد ذهب طائفة الى هذه الاحاديث المذكورة اولا وما فى معناها وقالوا كانت قبل نزول الفرائض والحدود منهم الزهرى والثورى وغيرهما وهذا بعيد جدا فان كثيرا منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود وفى بعضها انه كان فى غزوة تبوك وهو فى اخر حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء منهم من يقول فى هذه الاحاديث انها منسوخة ومنهم من يقول هى محكمة ولكن ضم اليها شرائط ويلتفت هذا الى ان الزيادة على النص هل هى نسخ ام لا والخلاف فى ذلك بين الاصوليين مشهور وقد صرح الثورى وغيره بانها منسوخة وانه نسخها الفرائض والحدود

وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والايضاح فان السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيرا ويكون
مقصودهم ان آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض
واجتناب المحارم فصارت تلك النصوص منسوخة اى مبينة مفسرة ونصوص الفرائض والحدود
ناسخة اى مفسرة لمعنى تلك موضحة لها وقال طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة
فى احاديث اخر ففى بعضها من قال لا اله الا الله مخلصا وفى بعضها مستيقنا وفى بعضها يصدق قلبه
لسانه وفى بعضها يقولها حقا من قلبه وفى بعضها قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه وهذا كله اشارة
الى عمل القلب وتحقيقه بمعنى الشهادتين وتحقيقه بقوله لا اله الا الله ان لا يأله القلب غير الله حبا
ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا وتحقيقه بان محمدا رسول الله ان لا يعبد الله بغير
ما شرعه الله على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاء هذا المعنى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وآله
وسلم صريحا انه من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل ما اخلاصها يا رسول الله قال ان تحجزك
عما حرم الله عليك وهذا يروى من حديث انس بن مالك وزيد بن ارقم ولكن اسنادهما لا يصح وجاء ايضا
من مراسيل الحسن نحوه وتحقيق هذا المعنى وايضاحه ان قول العبد لا اله الا الله يقتضى ان لا اله غير
الله والاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه
ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن اشرك مخلوقا فى شئ من هذه الامور التى هى من خصائص
الالهية كان ذلك قدحا فى اخلاصه فى قول لا اله الا الله ونقصا فى توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق
بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك ولهذا ورد اطلاق الكفر على كثير من المعاصى التى منشأها
من طاعة غير الله وخوفه او رجائه او التوكل عليه او العمل لاجله كما ورد اطلاق الشرك على الرياء
وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق فى
المشيئة مثل ان يقول ما شاء الله وشاء فلان وكذا قوله ما لى الا الله وانت. وكذلك ما يقدح فى التوحيد و
فى تفرد الله سبحانه وتعالى بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون
وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه وقادح فى تمام التوحيد وكماله ولهذا اطلق الشرع على كثير من
الذنوب التى منشأها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حائضا فى دبرها ومن
شرب الخمر فى المرة الرابعة وان كان ذلك لا يخرج عن الملة بالكلية ولهذا قال السلف كفر دون كفر

اطلاق الكفر على المعاصى

اطلاق الشرك على الرياء

اطلاق الاله على الهوى

وشرك دون شرك وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه قال الحسن هو الذى لا يهوى شيئا الا ركبه وقال قتادة هو الذى كلما هوى شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا اتاه لا يحجزه عن ذلك شرع ولا تقوى قال الشاعر ؎ من كل شئ لذيذا حتسى قدحا * وكل ناطقة فى الكون يطربنى * وقال اخر ؎ من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسود * ونعوذ بالله من جميع ما كرهه الله وروى من حديث ابى امامة مرفوعا باسناد ضعيف ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع وفى حديث اخر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن اصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك ردت عليهم وقيل لهم كذبتم ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه واله وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فدل هذا على ان كل من احب شيئا واطاعه وكان من غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله وعادى لاجله فهو عبده وذلك الشئ معبوده والهه ويدل عليه ايضا ان الله سمى طاعة الشيطان معصية وعبادة كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقال تعالى حاكيا عن خليله ابراهيم عليه السلام انه قال لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ولم يخلص من عبادة الشيطان الا من اخلص عبودية الرحمن وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله واخلصوا فى قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا الى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا وهم الذين صدقوا فى قول لا اله الا الله وهم عباد الله لان من قال لا اله الا الله بلسانه ثم اطاع الشيطان وهواه فى معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله فى طاعة الشيطان والهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى فان الهوى يهوى بصاحبه فى النار ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار والله ما نجى غدا من عذاب الله الا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شئ من الاغيار

	غیر حق هرچه دلت را بربود		ست راه تو همان خواهش بود	

من علم ان الله تعالى معبوده فرد فليفرده بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه احدا كان بعض العارفين يتكلم على بعض اصحابه على راس جبل فقال فى كلامه لا ينال احد مراده حتى ينفرد فردا بفرد فانزعج واضطرب

حتى رأى اصحابه ان الصخر قد تدكدكت وبقى على ذلك ساعة فلما افاق فكانه نشر من قبره فان قول لا اله الا الله يقتضى ان لا يحب سواه فان الله هو الذى يطاع محبة وخوفا ورجاء ومن تمام التوحيد محبة ما يحبه و كراهة ما يكرهه فمن احب شيئا مما يكرهه الله او كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه فى قوله لا اله الا الله وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحبه الله او ما احبه مما يكرهه قال الله تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم قال الليث عن مجاهد فى قوله تعالى لا يشركون بى شيئا اى لا يحبون غيرى وفى صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الشرك فى هذه الامة اخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وادناه ان تحب على شئ من الجور او تبغض على شئ من العدل وهل الدين الا الحب والبغض فى الله قال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله واخرجه ايضا ابن ابى حاتم وابو نعيم فى الحلية وهذا نص على ان محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه الله متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفى وقال الحسن اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته وسئل ذو النون متى احب ربى قال اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر وقال بشر بن السرى ليس من اعلام الحب ان تحب ما يبغضه حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجورى كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله فى امره فدعواه باطلة وقال يحيى ابن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده وقال رويم المحبة الموافقة فى جميع الاحوال وانشد

و لو قلت لى مت مت سمعا وطاعة + وقلت لداعى الموت اهلا ومرحبا +

ويشهد لهذا المعنى ايضا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال الحسن قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا نحب ربنا حبا شديدا فنحب ان يجعل الله لحبه علما فانزل الله هذه الآية ومن ههنا يعلم انه لا تتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة ان محمدا رسول الله فانه اذا علم انه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ولا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله فى قوله قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله كما قرن بين طاعته وطاعة رسوله فى مواضع كثيرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار هذه حال السحرة لما سكنت المحبة فى قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لفرعون فاقض

ما انت قاض ومتى تمكنت المحبة فى القلب لم تنبعث الجوارح الا الى طاعة الله رب العالمين ﴿ هذا هو معنى الحديث الالهى الذى خرجه البخارى فى صحيحه وفيه لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وقد قيل ان فى بعض الروايات فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى والمعنى ان محبة الله اذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح الا الى مراضى الرب صارت النفس حينئذ مطمئنة بارادة مولاها عن مرادها وهواها يا هذا اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها الا ما يريد مولاه وفى بعض الكتب السالفة من احب الله لم يكن عنده شئ احب من رضاه ومن احب الدنيا لم يكن شئ عنده آثر من هوى نفسه وروى ابن ابى الدنيا باسناده عن الحسن قال ما نظرت ببصرى ولا نطقت بلسانى ولا بطشت بيدى ولا نهضت على قدمى حتى انظر على طاعة او على معصية فان كانت طاعة تقدمت وان كانت معصية تاخرت هذه خواص المحبين الصادقين فافهموا رحمكم الله هذا فانه من دقائق اسرار التوحيد الغامضة والى هذا المقام اشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبته لما قدم المدينة حيث قال احبوا الله من كل قلوبكم وقد ذكرها ابن اسحق وغيره فان من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشئ من ارادة النفس والهوى والى ذلك اشار القائل بقوله ؎

اروح وقد ختمت على فؤادى	بحبك ان يحل به سواكا
فلو انى استطعت غضضت طرفى	فلم انظر به حتى اراكا
احبك لا ببعضى بل بكلى	وان لم يبق حبك لى حراكا
وفى الاحباب مخصوص بوجد	وآخر يدعى معه اشتراكا
اذا انسكبت دموع فى خدود	تبين من بكا ممن تباكى
فاما من بكى فيذوب وجدا	وينطق بالهوى من قد تباكى

متى بقى للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى انما المحب من يفنى عن هوى كله ويبقى بحبيبه فبى يسمع وبى يبصر القلب بيت الرب فى الاسرائيليات يقول الله ما وسعنى سمائى ولا ارضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فمتى كان القلب فيه غير الله فالله اغنى الاغنياء عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة اصنام الهوى

الحق غيور يغار على عبده المؤمن ان يسكن فى قلبه سواه وان يكون فيه شئ لا يرضاه ؎

اردناكم صرفا فلما مزجتم ... بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ... فاسكنتم الاغيار ما انتم منا

لا ينجو غدا الا من لقى الله بقلب سليم ليس فيه سواه قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم هو الطاهر من ادناس المخالفات فاما المتلطخ بشئ من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس الا بعد ان يطهر فى كير العذاب فاذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة ان الله طيب لا يقبل الا طيبا فاما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من اول الامر سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة من لم يحرق اليوم قلبه بنار الاسف على ما سلف او بنار الشوق الى لقاء الحبيب فنار جهنم اشد حرا ما يحتاج الى التطهير بنار جهنم الا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه واول من تسعر به النار من الموحدين العباد المراؤن باعمالهم واولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء لان يسير الرياء شرك ما نظر المرائى بعمله الا بجهله بعظمة الخالق والمرائى يزور التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم انه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية نقش المرائى على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج وليبهرج والبهرج ما يجوز الا على غير الناقد وبعد اهل الرياء يدخل النار اصحاب الشهوات وعبيد الهوى الذين اطاعوا هواهم وعصوا مولاهم فاما عبيد الله حقا فيقال لهم يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى جهنم تنطفى بنور ايمان الموحدين وفى الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وفى المسند عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام نار المحبة فى قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم قال الجنيد قالت النار يا رب لو لم اطعك هل كنت تعذبنى بشئ اشد منى قال نعم كنت اسلط عليك نارى الكبرى قالت وهل نار اعظم منى واشد قال نعم نار محبتى اسكنها قلوب اوليائى المؤمنين وكان بعض العارفين يقول اليس عجبا ان اكون حيا بين اظهركم وفى قلبى من الاشتياق الى ربى مثل شعل النار التى لا تطفى ولم ارسوى نار الحب نارا تزيد ببعد موقدها ايقادا اما للعارفين شغل بغير مولاهم ولا لهم غيره وفى الحديث من اصبح وهمه غير الله فليس من الله قال بعضهم من اخبرك ان وليه له هم فى غيره فلا تصدقه

وكان داود الطائی یقول فی اللیل همك عطل علی الهموم وخالف بینی وبین السهاد وشوقی الی النظر الیك اوبق منی اللذات وحال بینی بین الشهوات فانا فی سجنك ایها الکریم اذا فهمتم هذا المعنی فهمتم معنی قوله صلی الله علیه وآله وسلم من شهد ان لا اله الا الله صادقا من قلبه حرمه الله علی النار فاما من دخل النار من اهل هذه الکلمة فلقلة صدقهم فی قولها ان هذه الکلمة اذا صدقت طهرت القلب من کل ما سوی الله ومتی بقی فی القلب اثر لسوی الله فمن قلة الصدق فی قولها من صدق فی قول لا اله الا الله لم یحب سواه ولم یرج الا ایاه ولم یخش احدا الا الله ولم یتوکل الا علی الله ولم یبق له بقیة من آثار نفسه وهواه وان لله عز وجل له عنایة بمن یحبه من عباده فکلما زلق ذلك العبد فی هفوات الهوی اخذ بیده الی النجا فیسبب له اسباب التوبة وینبهه علی قبح زلته فیفزع الی الاعتذار او یبتلیه بمصائب مکفرة لما جنی وفی الصحیح عن جابر عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال الحمی تذهب الخطایا کما یذهب الکیر خبث الحدید وفی المسند وصحیح ابن حبان عن عبد الله بن مغفل ان رجلا لقی امرأة کانت بغیا فی الجاهلیة فجعل یلاعبها حتی بسط یده الیها فقالت مه ان الله قد ذهب الشرك وجاء بالاسلام فترکها وولی فجعل یلتفت خلفه وینظر الیها حتی غابت فاتی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فاخبره بالامر فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم انت عبد اراد الله بك خیرا ثم قال ان الله اذا اراد بعبده خیرا امسك عنه بذنبه حتی یوافی به یوم القیامة فیا قوم قلوبکم علی اصل الطهارة وانما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا علیها قلیلا من دموع العیون وقد طهرت اعزموا علی فطام النفوس عن رضاع الهوی فالحمیة راس الدواء متی طابت نفوسکم بما لو فقتموها فقولوا کما قالت تلك المرأة لذلك الرجل قد ذهب الله الشرك وجاء بالاسلام والاسلام یقتضی الاستسلام والانقیاد للطاعة وذکروها قوله تعالی ان الذین قالوا ربنا الله ثم استقاموا لعلها تحن الی الاستقامة وعرفوها اطلاع من هو اقرب الیها من حبل الورید لعلها تستحیی من قربه ونظره الم تعلم بان الله یری ان ربك لبالمرصاد راود رجل امرأة فی فلاة فابت فقال لها ما یرانا الا الکواکب فقالت فاین مکوکبها اکره رجل امرأة علی نفسها وامرها بغلق الابواب ففعلت فقال لها هل بقی باب لم تغلقیه قالت نعم الباب الذی بیننا وبین الله تعالی فلم یتعرض لها رأی بعض العارفین رجلا یکلم امرأة فقال ان الله یراکما سترنا الله وایاکما سئل الجنید بما یستعان علی غض البصر قال بعلمك ان نظر الله الیك ابقی من نظرك الی ما تنظره قال المحاسبی المراقبة علم القلب بقرب الرب کلما قویت المعرفة قوی الحیاء من قربه ونظره سبحانه وتعالی قال بعضهم استحی من الله علی قدر قربه منك و

فا من دخل النار من اهل الکلمة فلقلة صدقه فیها

فا مراودة رجل

فا المراقبة

ساعة ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم امرتنی بهذه الكلمة وبعثتنی بها ووعدتنی الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم وهی احسن الحسنات قال ابو ذر قلت يا رسول الله علمنی بعمل يقربنی من الجنة ويباعدنی من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر امثالها قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات قال هی احسن الحسنات وهی تمحو الذنوب والخطايا وفی سنن ابن ماجه عن ام هانئ عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل ومن هنا قيل التوحيد راس الطاعات والاخلاص افضل العبادات رؤی بعض السلف بعد موته فی المنام فسئل عن حاله فقال ما ابقت لا اله الا الله شيئا وهی تجدد ما درس من الاعمال فی القلب وفی المسند ان النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال قولوا لا اله الا الله وهی التی لا يعدلها شئ فی الوزن فلو وزنت بالسموات والارض لرجحت بهن كما فی المسند عن عبد الله بن عمر عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم ان نوحا قال لابنه عند موته امرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت فی كفة ووضعت لا اله الا الله فی كفة لرجحت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة لفصمتهن لا اله الا الله وفيه ايضا عنه عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم ان موسى قال يا رب علمنی شيئا اذكرك وادعوك به قال يا موسى قل لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيری والارضين السبع فی كفة ولا اله الا الله فی كفة لمالت بهن لا اله الا الله وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما فی حديث السجلات والبطاقة وقد خرجه احمد والنسائی والترمذی ايضا من حديث ابن عمر عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم

	مهما تفكرت فی ذنوبی		خفت على قلبی احتراقه	
	لكنه ينطفی لهيبی		بذكر ما جاء فی البطاقة	

اللهم عبدك هذا ليس له من الحسنات والخيرات شئ غير لا اله الا الله فتقبلها منه واغفر له برحمتك وارحمه عن معاصيك ظاهرها وباطنها فانك على ما تشاء قدير واما انا فان النفس لامارة بالسوء وان الشيطان وحزبه انما يدعون الى النار واليأس من عفوك وحنانك وانت اكرم من كل شئ وانت تقضی ولا يقضى عليك فاصنع بنا ما نحن نرجوه ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اللهم آمين وهی التی تخرق الحجب كلها حتى تصل الى الله عز وجل وفی الترمذی عن ابن عمر يرفعه قال لا اله الا الله ليس يحجبها دون الله حجاب حتى تصل اليه وفيه ايضا عن ابی هريرة عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له ابواب السماء حتى يفضی الى العرش

ذكر حديث البطاقة

خف الله على قدر قدرته عليك وكان بعضهم يقول لى منذ اربعين سنة ماخطوت خطوة لغير الله ولا نظرت الى شئ لغير الله حياء من الله عز وجل ؎

كان رقيبا منك يرعى خواطري — وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما ابصرت عيناى بعدك منظرا — لغيرك الا قلت قد رمقانى
ولا بدرت من فى بعدك لفظة — لغيرك الا قلت قد سمعانى
ولا خطرت من غير ذكرك خطرة — على القلب الا عرجا بعنانى

فضائل كلمة التوحيد

وبالجملة فالتوحيد الالهى عبارة عن ذل العبودية وعز المحبوبية ومن استبدل ذلك بعبادة غير الله تعالى ومحبته فقد اشرك ولم يعرف قدر الله ولا قدر ربوبيته وعبادته وسياتى بيان شرك المحبة فى اخر هذا الكتاب فى بيان افاته وانواعه هذا وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة وفواضل كريمة لايمكن هنا استقصاؤها فلنذكر بعضها ورد فيها قال عمر وغيره من الصحابة هى كلمة التقوى وهى كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة الصدق وهى براءة من الشرك ونجاة من النار ولاجلها خلقت الخلائق قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى يوحدون ويعرفون ولاجلها ارسلت الرسل وانزلت الكتب كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ينزل الملائكة والروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وهذه الاية اول ما عدد الله على عباده من النعم فى سورة النحل قال بن عيينة ما انعم الله على عباده نعمة اعظم من ان عرفهم لا اله الا الله وان هذه الكلمة الطيبة لاهل الجنة كالماء البارد لاهل الدنيا ولاجلها اعدت دار الثواب ودار العقاب ولاجلها امرت الرسل بالجهاد فمن قالها عصم ماله ودمه ومن اباها فماله ودمه هدر وهى مفتاح دعوة الرسل وبها كلم الله موسى كفاحا وفى مسند البزار وغيره عن عياض الانصارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لا اله الا الله كلمة حق على الله كريمة ولها من الله مكان وهى كلمة جمعت وشرعت فمن قالها صادقا ادخله الله الجنة ومن قالها كاذبا احرزت ماله وحقنت دمه ولقى الله سبحانه فحاسبه وهى ثمن الجنة قاله الحسن وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة ومن كانت اخر كلامه ادخل الجنة وهى نجاة من النار وسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مؤذنا يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال خرج من النار خرجه مسلم وهى توجب المغفرة وفى المسند عن شداد بن اوس وعبادة ابن الصامت ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه يوما ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا

ما اجتنب الكبائر وروى عن ابن عباس مرفوعا ما من شئ الا بينه وبين الله حجاب الا قول لا اله الا الله
كما ان شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شئ حتى تنتهى الى الله عز وجل وهى التى ينظر الله الى قائلها ويجيب دعاءه
اخرج النسائى فى كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها
لسانه الا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر الى قائلها من اهل الارض وحق العبد من نظر الله اليه ان يعطيه
سؤله وهى الكلمة التى يصدق قائلها كما اخرجه النسائى والترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة وابى
سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر صدقه ربه وقال لا اله الا انا وحدى
واذ قال لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله لا اله الا انا وحدى لا شريك لى واذا قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد قال الله لا اله الا انا وحدى لا شريك لى لى الملك ولى الحمد واذا قال لا اله
الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال الله لا اله الا انا وحدى لا حول ولا قوة الا بى وكان يقول من
قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار وهى افضل الذكر كما فى حديث جابر المرفوع افضل الذكر لا اله الا الله
وعن ابن عباس قال احب كلمة الى الله لا اله الا الله لا يقبل الله عملا الا بها وهى افضل الاعمال واكثرها تضعيفا
وتعدل عتق الرقاب وتكون حرزا من الشيطان كما فى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر
رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك
وفيهما ايضا عن ابى ايوب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قالها عشر مرات كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل
وفى الترمذى عن ابن عمر مرفوعا من قالها اذا دخل السوق وزاد فيها يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو
على كل شئ قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وفى رواية
وبنى له بيتا فى الجنة ومن فضائلها انها امان من وحشة القبر وهول الحشر كما فى المسند وغيره عن النبى صلى
الله عليه وآله وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكانى باهل لا اله الا
الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وفى حديث مرسل
من قال لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستجلب
به الغنى واستقرع به باب الجنة وهى شعار المؤمنين اذا قاموا من قبورهم كما قال النضر بن عربى بلغنى ان الناس

افضل الذكر لا اله الا الله

الكلمة امان من عذاب القبر

اذا قاموا من قبورهم كان شعارهم لا اله الا الله وقد خرج الطبراني حديثا مرفوعا ان شعار هذه الامة على الصراط لا اله الا الله ومن فضائلها انها تفتح لقائلها ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء كما في حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء وقد خرجه مسلم وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق وان الله يبعث من في القبور فتحت له ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قصة منامه الطويل قال ورايت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لا بد ان يخرجوا منها كما في الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وخرج الطبراني عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار فيدخلون الجنة ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا ما رضي لا يسوي بين من وحده وان قصر في توحيده وبين من اشرك به وقد كان بعض السلف يقول في دعائه اللهم انك قلت عن اهل النار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ونحن نقسم بالله جهد ايماننا ليبعثن الله من يموت اللهم لا تجمع بين القسمين في دار واحدة وكان يقول ابو سليمان ان طالبني ببخلي طالبته بجوده وان طالبني بذنوبي طالبته بعفوه وان ادخلني النار اخبرت اهل النار اني احبه ما اطيب وصله وما اعذب وده وما اثقل هجره وما اصعبه وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول ان تعذبني فاني لك محب وان ترحمني فاني لك محب العارفون يخافون من الحجاب اكثر مما يخافون من العذاب قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي وكان بعضهم يقول الهي وسيدي ومولاي لو انك تعذبني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك اعظم عندي من العذاب وقيل لبعضهم لو طردك ما كنت تفعل فقال شعر

انا ان لم اجد من الحب وصلا	رمت في النار منزلا ومقيلا
ثم ازعجت اهلها بندائي	بكرة في عرصاتها ومقيلا

معشر المشركين نوحي اعلى من	بل عصى انه يحب الجليلا
لم يكن فى الذى ادعاه بحق	ولذا جوزى العذاب الطويلا

كلمة التوحيد فارقة بين الكفر والاسلام

هذا آخر كلام شيخ الاسلام مع تصرف يسير فيه بالنقص وبعض الزيادة وبالجملة هذه الكلمة هى الفارقة بين الكفر والاسلام وهى كلمة التقوى وهى العروة الوثقى وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى النار مع كونهم يصلون ويصومون ويتصدقون ولكن المراد معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة اهلها وبغض من خالفها ومعاداته قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا اله الا الله مخلصًا وفى رواية خالصًا من قلبه وفى لفظ من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة الى غير ذلك من الادلة الدالة على جهالة اكثر الناس هذه الشهادة وفى هذه الكلمة نفى واثبات نفى الالوهية عما سوى الله تعالى من المرسلين حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة حتى جبريل عليه السلام فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين واثباتها له وحده لا حق فى ذلك لاحد من المقربين اذا فهمت ذلك فتأمل هذه الالوهية التى اثبتها كلها لنفسه المقدسة ونفى عن محمد وجبريل وغيرهما عليهم السلام ان يكون لهم مثقال حبة خردل منها وآن الالوهية التى تسميها العامة فى زماننا الولاية والسر وسر السر ويسموِن اهلها الفقراء والمشائخ والاولياء واصحاب السير والسلوك واولى الباطن واشباه هذا ويظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان العامى يلتجئ اليهم ويرجوهم ويخافهم ويستغيث بهم ويستعين منهم فى قضاء حوائجه واسعاف مرامه وانجاح مقامه ويجعلهم وسائط بينه وبين الله تعالى هى الشرك الجلى الذى لا يغفره الله تعالى ابدًا فالذين يزعم اهل الشرك فى زماننا انهم وسائطهم الذين سماهم الاولون الآلهة وقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فقول الرجل لا اله الا الله فيه ابطال الوسائط المسماة بالآلهة وان اردت ان تعرف هذا واضحا فاعرف امرين تعرف ذلك الاول ان تعرف ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتلهم ونهب اموالهم وسبى ذراريهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله بتوحيد الربوبية وانه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الامر الا هو كما قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الآية الى غير ذلك من الآيات التى تقدمت فى الكتاب فى هذه مسئلة جليلة عظيمة مهمة عرفت منها ان الكفار كانوا مقرين بهذا كله شاهدين به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ولم يخرجهم من الكفر ولم يحرم دماءهم ولا اموالهم وايضا كانوا يتعبدون

الكفار مقرون بتوحيد الربوبية

ويحجون ويعتمرون ويتصدقون ويكفون عن اشياء من المحرمات خوفا من الله تعالى فما اغنى عنهم ذلك شيئا ولكن الامر الثاني الذي كفرهم واحل دماءهم واموالهم انهم لم يشهدوا بتوحيد الالوهية وهي انه لا يدعى ولا يعبد ولا يخاف ولا يرجى ولا يستعان ولا يستغاث الا الله وحده لا شريك له ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا الملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لغيرهما فمن استغاث بغيره في الشدائد ودعا غيره فيهما فقد كفر ومن ذبح لغيره تقربا اليه او نذر لغيره فقد خالف الكلمة وفعل فعل الكفر وكذلك حكم ما اشبه ذلك ويوضحه ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الاولياء فكفروا بهذا مع اقرارهم بان الله الخالق الرازق الرب المدبر اذا تاملت هذا عرفت معنى لا اله الا الله وعرفت ان من دعا نبيا او ملكا او وليا او جنا او شيطانا او احدا من دون الله كائنا من كان من الصلحاء او من الطلحاء او ندر به او استغاث به فقد خرج من الاسلام وهذا هو الكفر والشرك الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس المشركين والخلق الكافرين وعباد الاوثان والاصنام ومعتقدي الاسلاف والآباء الطغام فان قال قائل من المشركين نحن نعرف ان الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة والزلفى والنجاة عند الله من سخطه ولا نقول انهم آلهة او مدبرون لما في السموات والارض او رازقوهم فقل كلامك هذا هو مذهب ابي جهل وابي لهب وامثالهما فان الكفار الذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والاولياء يريدون ذلك كما قال تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا تاملت هذا تاملا صحيحا جيدا عرفت ان الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهي التفرد بالخلق والتدبير وكذلك النصارى منهم من يعبد الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه معتزل في صومعته عن الناس وهو مع هذا عدو لله كافر مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى او غيره من اولياء الله يدعوه ويذبح له وينذر له وكذلك من الناس من يعبد الظلمة والنور ومنهم من يعبد شيئا من الاشياء حتى ان كفار الهند عبدوا كل شئ غير الله ولم يعبدوا الله سبحانه والعابدون لغير الله من مخلوقاته ومكوناته من السموات الى الارض كثيرون لا يحصرهم العد والموحدون بتوحيد الربوبية ايضا اكثر من ان يحصوا بل كلهم مقرون بها الا شرذمة قليلة وهم مع ذلك في توحيد العبودية قاصرون عن صراط الهدى ناكبون فتبين لك بهذا ان التوحيد لا يتم الا باخلاص الربوبية

كفار الهند عبدوا كل شئ غير الله

والعبودية وهي في هذا الزمان الاخير بل من زمن كثير غريب جدا في اكثر الخلق وغالب الناس وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وآله وسلم بدء الاسلام غريبا وسيعود كما بدء ثم قال فطوبى للغرباء وهذا يرشدك الى قلة اهل التوحيد
الذين خلقت لهم الجنة وفيه ايضا بشارة للموحدين على قلة جمعهم وكسر حالهم وذلتهم في الناس فالله الله يا ايها
الناس تمسكوا باصل دينكم الذي ارتضاه الله تعالى لكم ودعا اليه نبيكم وقاتل المشركين عليه وندبنا اليه و
جاهد فيه لله حق جهاده واساس هذا الدين وراسه ونبراسه شهادة ان لا اله اي لا معبود الا الله واعرفوا معناها
واستقيموا عليها وادعوا الناس تبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليها واجعلوها كلمة باقية في ابناء زمانكم اتماما
للحجة وايضاحا للمحجة وكونوا من اهلها واحبوا اهلها واجعلوهم اخوانكم في الدين ولو كانوا بعيدين واكفروا
بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من احبهم او جادل عنهم او من لم يكفرهم او قال ما علي منهم او قال ما
كلفك الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا
اخوانهم واولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وانتم لا تشركون به شيئا واذا احطت بما ذكرنا
علما ادركت ان كفر المشركين من المؤمنين من زمانه رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم في العرب والعجم لاعظم من كفر الذين
قاتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمعت ان الله تعالى ذكر عن الكفار انهم اذا مسهم الضر تركوا غير الله من السادة
والقادة والطواغيت فلم يدعوا احدا منهم ولم يستغيثوا بهم بل خلصوا لله وحده لا شريك له وانت ترى
المشركين المدعين للايمان من المسلمين وفيهم من يدعي انه من اهل العلم والفضل وفيه الصلاح والزهد و
الاجتهاد في العبادة اذا مسه الضر واهمه امر من امور الدنيا قام يستغيث بغير الله من الاولياء كمعروف الكرخي
والشيخ عبد القادر الجيلاني وسالار ومدار ونحوهم واجل من هؤلاء مثل الخلفاء الراشدين والصحابة
المكرمين اجمعين واجل منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشنع وافظع واقبح واعظم جرما واطم
ضلالة انهم يستغيثون بالطواغيت والاجرات واهل القبور والمردة من الجن والشياطين ويذبحون لهم
وينذرون لهم ويسافرون الى انصابهم ويفزعون الى احبارهم ورهبانهم تقليدا في الفروع والاصول المبنية
على شفا جرف هار فانا لله وانا اليه راجعون اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين ولا تشركنا
يوم الدين مع المشركين رحم الله من نصح نفسه وعرف ان وراءه جنة ونارا وان الله تعالى جعل لكل منهما
اهلا واعمالا فان سئل عن ذلك وجد راس اعمال اهل الجنة توحيد الله تعالى فمن اتى به يوم القيامة فهو من
اهل الجنة قطعا لا ريب فيه ولو كان عليه من الذنوب مثل جبل رضوى بل بلغ به الى عنان السماء وراس

بيان اهل التوحيد

اعمال اهل النار الشرك بالله تعالى فى اسمائه وصفاته كائنا ما كان فمن مات عليه جليا كان او خفيا علانية كان او سرا فهو من اهل النار قطعا لا شك ولا شبهة فى ذلك ولو اتى بالعبادة ليلا ونهارا او بالصدقة سرا وجهارا كطوائف اهل الكتاب والمجوس والهنود ومن مثلهم فى شئ من ذلك ولكنه لما خلط هذا بالشرك بالله تعالى لم ينفعه شئ من هذا بل صارت عبادته لغير الله وبالا عليه وموجبة له النار قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال سبحانه وتعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد فرحم الله من انتدب لهذا الامر العظيم قبل ان يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين الى صراطه المستقيم ودينه القويم وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم وهم الاحبار الذين لم يعملوا بما علموا وحرفوا كتاب الله لفظا ومعنى وطريق الضالين وهم الفرقة التى عملت بما لم تعلم واتبعت الهوى وضلت عن صراط الهدى فما اعظم هذا الدعاء الذى نطقت به فاتحة الكتاب فى ما احوج من دعا به ان يحضر قلبه فاذا قرأها بين يدى الله يهديه ويجنبه فان الله ذكر انه يستجيب هذا الدعاء الذى فى سورة الفاتحة اذا دعا به الانسان من قلب حاضر فنقول لا اله الا الله هى العروة الوثقى وكلمة الله العليا وهى الحنيفية السمحة السهلة البيضاء وهى ملة ابينا ابراهيم عليه السلام سيد الموحدين وامام المتقين وخليل رب العالمين وهى التى جعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين وهى التى لاجلها والتاهل بها خلقت المخلوقات وبها قامت الارضون السبع والسموات وبها نطقت الموجودات ولاجلها انزلت الكتب وارسلت الرسل قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت والمراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الالهية والجملة القدسية بالقلب السليم عن الشرك السقيم واما التلفظ بها باللسان مع الجهل بمرادها والعمل بمقتضاها فليس من اخلاص التوحيد فى صدر ولا ورد ولا ينفع ذلك نفعا ولا يغنى من عذاب الله شيئا ولا يكشف ضرا فان المنافقين يقولونها وقد قال تعالى فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار فهم تحت الكفار الساذجين عقوبة على مخالفة لسانهم بجنانهم فاستحقوا من عقاب الله تعالى ما لم يستحقه الكفار ومعنى هذه الكلمة كما تقدم قريبا هو النفى والاثبات نفى اعتقاد الالوهية عما سوى الله تعالى واعتقاد اثباتها لله وحده لا شريك له ليس فى ذلك حظ لملك مقرب ولا لنبى مرسل فكيف بمن عداهما من صالحى عباد الله تعالى واعدائه قال تعالى ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا

ما معنى الكلمة النفي والاثبات

وهذا يدل على ان كل ملك ورسول وولى وصالح وان بلغ ما بلغ فى علو الرتبة وسمو المكانة عبد لله وحده ليس له شرف الا عبودية المعبود المطلق الفرد الاحد ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ولم يقل بعد من عباد الله المخلصين هذا القول ابدا ولم يدع احد منهم الى عبادته واشراكه بالله فى شئ من ذاته وصفاته العليا وانما اتخذهم آلهة هؤلاء المشركون الظالمون وعبدوهم واعتقدوا فيهم مالم يندبوهم اليه بل نصوا فى كتبهم ومقالاتهم ومواعظهم على كون هذه الافعال شركا بحتا وكفرا بواحا وصرحوا بان فاعلها مشرك بالله خارج عن الايمان واقع فى سعير النيران قال تعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قيل لا خالق الا الله ولا رازق ولا مدبر الا هو فهذا معروف لانه لا يخلق الخلق ولا يرزقهم ولا يدبرهم الا الله ولا يشاركه فى ذلك احد لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد آخر مقبول ومحبوب له سبحانه فاسئل يا هذا عن معنى الكلمة الطيبة كما تسئل عن معنى الخالق الرازق المدبر واعلم ان معنى الاله هو المعبود هذا تفسير هذه اللفظة المباركة باجماع اهل العلم سلفا وخلفا ومعناها ان من عبد شيئا فقد اتخذه الها من دون الله وجميع ذلك باطل فاسد مخالف للدين الحنيف الذى بعث لاجله الرسل وانزل له الكتب وقوتل عليه الا الله الاحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والعبادة انواع كثيرة ياتى ذكرها فى هذا الكتاب فى مواضعها فى ابواب مستقلة كالسجود لغير الله والذبح له ودعاء غيره تعالى الى غير ذلك مما يطول ذكره فتفكر رحمك الله وايانا فيما احدثه الناس المشركون القاسطون من عبادة غير الله فى البر والبحر فيستمدون ويستغيثون بالشيخ عبد القادر الجيلانى والسيد معين الدين الچشتى ونظام الاولياء وقطب الكاكى وامثالهم من الصلحاء الاتقياء ان ينجوهم من شدائد هذه الدار الفانية فيقال لهذا الجاهل اذا كنت تعرف ان الاله هو المعبود وتعرف ان الدعاء مثلا هو العبادة فكيف تدعو مخلوقا غائبا ميتا لا يعلم متى يبعث وماذا يفعل به وتتخذه الها حاضرا ناظرا قديرا نافعا ضارا فيقول هذا المشرك ان الامر بيد الله ولكن هذا الصالح يشفع لى وتنفعنى شفاعته وجاهه ويظن ان هذا يسلمه من الشرك فيقال له المشركون الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستحل دماءهم واموالهم كلهم يقرون بذلك ويعتقدون ان الله هو الذى يدبر الامر ويرب الخلق وانما ارادوا بهؤلاء ما اراده وا من القربة والشفاعة كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما بعد هذا البيان من الله بيان ولا فرية وراء عبادان واذا كان الله قد حكى عن الكفار انهم يقرون

معنى الاله

الاستغاثة بغيره تعالى

بذلك وانما ارادوا التقرب الى الله والشفاعة وما ضاهاها فاذا احتجوا بان اولئك يعتقدون فى الاصنام
والاوثان وهى حجارة او خشب ونحوها ونحن انما اعتقدنا فى الصلحاء فقل لهم ان الكفار الاولين ايضاً
منهم من كان يعتقد فى الملائكة ومنهم من يعتقد فى عيسى وعزير ومنهم من يعتقد فى الجن ومنهم من
يعبد الاصنام والكفر ملة واحدة وقد قال تعالى فيمن اعتقد فى الملائكة ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون وقال
فيمن اعتقد فى عيسى عليه السلام يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
مريم وقال فيمن عبد الاصنام واعتقدها قل تعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع
العليم ولفظة من دون تشمل كل شئ من حيوان وجماد ونبات وصالح وطالح فاذا كان عيسى من اولى العزم
من الرسل قيل فيه هذا فكيف باحاد الاولياء من هذه الامة الاسلامية ان يملكوا العابديه ضراً او نفعاً وقد حكى
الله تعالى عن مثل هؤلاء الذين اعتقدوا فى الاولياء بما تقدم فى كتابه وقال اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه قالت طائفة من السلف كان قوم يدعون الملائكة
وعزيراً فافصح سبحانه بان هؤلاء عبيدى كما انتم عبيدى يرجون رحمتى كما انتم ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما
انتم تخافون عذابى وما احق هذه الآية بالتفكر فيها والتدبر لها وما فى معناها من الآيات الاخرى الكثيرة
الطيبة ولما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفرق بين الذين يعتقدون فى الاحجار والاشجار والقبور
ونحوها وبين من يعتقدون فى الملائكة والانبياء والصلحاء بل ساقهم مساقاً واحداً وسلكهم من مسلك واحد
نص عليهم بالكفر والشرك من غير فرق بينهم وهذا واضح بين بحمد الله تعالى يعرفه كل من له ادنى دراية وايسر
عقل وانزر فهم وذلك شئ كثير ومن انواع الشرك اشياء ما عرفها الصحابة الا بعد سنين فمن انت حتى تعرف
بغير تعلم وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وقال تعالى
ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فاذا كان هذا فى
حق سيد الرسل وخاتمهم فما ظنك بغيره من الناس وفيه دلالة واضحة على ان الشرك محبط للاعمال
الصالحة كلها ولا ينفع صاحبه منها شئ ولو كان نبياً بل افضل الانبياء اعاذنا الله منه وما بال الخليل
ابراهيم عليه السلام يوصى بنيه وهم انبياء الله يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال ابراهيم الخليل ايضاً رب اجعل

الشرك محبط للاعمال

هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فاذا كان ابو الانبياء يخاف على نفسه وعلى بنيه الانبياء فما ترجو في غيره وغيرهم من آحاد الناس الذين ليسوا بانبياء فسبحان من طبع على قلوب كثير من عباده فاصمهم واعمى ابصارهم وانت يا هذا قد من الله عليك بالاسلام وسماك ابراهيم مسلما وعرفت انه ما من اله الا الله الواحد القهار فاعتقد ما اعتقده الانبياء والرسل واجمعوا عليه من آخرهم من توحيد الالهية ودع عنك القيل والقال وسخيف السؤال والاشكال وكن عبد الله وحده الذي لا شريك له كما قال تعالى مخبرا عن خليله ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وهكذا ينبغي لكل من يعتقد الله ويرجوه ويخافه ويدعي الاسلام ان يتبرأ من اهل الشرك والطغيان ولا يودهم حتى يؤمنوا بالله الواحد القهار العزيز الجبار فان الايمان هو الحب لله والبغض فيه ومن احب غير الله فقد اشرك واتخذ ندا واما جهال العلماء والمشائخ الذين يسكتون على هذه الاعمال والعقائد فهم من جهلة الخلق وعامة الناس الذين قال تعالى فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الاية فهم ليسوا في الحقيقة بعلماء ولا مشائخ بل هم من اجهل خلق الله بالله وما مرادهم بذلك الا الاكل بالباطل وهم شياطين في جثمان الانس وقد افصح القرآن عنهم افصاحا واضحا لا يرتاب فيه الا من اعمى الله بصره بصيرته قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمراد بالاحبار العلماء وبالرهبان المشائخ والفقراء وهذا بين واضح مكشوف لا حجاب عليه ولا غبار ويؤيده الحديث الصحيح لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع فاتفق القرآن والسنة الصحيحة على بيان هؤلاء اللصوص في الدين والمفسدين في الارض بافساد ما في الشرع المبين من توحيد رب العالمين ووجود هذا في الملة الاسلامية مما لا يمكن انكاره لاحد ولا يستطيع مشرك ولا مكابر ان يجحده وذكرهم السوالف الكفرية التي كانت لآبائهم شيء معهود يعرفه من يعرف حالهم وقالهم كما قال تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر تامل في مقلدة المذاهب كيف اقروا على انفسهم بتقليد الاموات من العلماء والاولياء واعترفوا بان فهم الكتاب والسنة كان خاصا بهم واستدلوا لاشراكهم في الصلحاء بعبارات القوم ومكاشفات الشيوخ في النوم ورجحوا كلام الائمة والائمة على كلام الله تعالى ورسوله على بصيرة منهم وعلى علم فما تدري ما عذرهم عن ذلك غدا يوم الحساب والكتاب وما ينجيهم من ذلك العذاب والعقاب وقد ذكر تعالى

جهال العلماء والمشائخ

تامل في مقلدة المذاهب

عن الكفار انهم يخلصون الدين لله تارة ويشركون تارة واهل زماننا اليوم اذا جاءتهم شدة تركوا الله ودعوا فلانا وفلانا واستغاثوا بهم في البر والبحر فهم اخف شركا وايسر كفرا من اهل زماننا هذا رحم الله من تفكر في قوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ففي هذه الاية الكريمة عبرة عظيمة لمن اعتبر وفكرة واضحة لمن فكر وذكر ومثل هذه في الكتاب كثيرة ولكن الرجل اذا لم يرفع رأسه الى القرآن ولم يتل يوما من الدهر اية من الفرقان فلا معالجة ومن صار اسير التقليد وعبد العبيد وقنع من الاسلام بالاسم ومن الدين بالرسم واعتقد ان الايمان هو الذي في كتب المقلدة المتكلمة وملفوظات الصوفية وصحائف الفروع الفقهية المختلقة التي لا سند لها من ادلة الحديث والكتاب فعلى نفسها براقش تجني نعم لا مهدي الا من هداه الله ومن من الله عليه بالعقل المستقيم والقلب السليم فليحمد الله على هدايته له الى الاسلام وان اشكل عليه شئ في الدين فليسأل اهل الذكر وهم العارفون بمعاني كتاب الله والشارحون لحديث رسوله كما قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والذكر اسم من اسماء القرآن والسنة تلوه فشملت الاية علماء الحديث والتنزيل وينبغي ان لا يبادر بالانكار بل يعلم ان جحده ورده انما هو رد على الله وعلى رسوله المختار قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وحيث ان الشرك اخفى من دبيب النمل ابتلى به بعض من لم يتفطن له وافصح به في مقالته على جهل منه كما وقع من صاحب البردة في قوله يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به * سواك عند حدوث الحادث العمم * وفي الهمزية من هذا الجنس شئ كثير وتبعهما جمع جم من الشعراء بالعربية والفارسية في دواوينهم وقصائدهم وغزلياتهم ونظمهم ونثرهم فغالوا في بيان مدائح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما تقشعر منه الجلود ويميع عنده صم الصخور وهو صلى الله عليه وآله وسلم بابي هو وامي لا يحتاج في كمالاته وثبوت اوصافه الشريفة التي لا تقبل حصرا ولا تحصى عدا الى مثل هذا القول من الزور والفجور بل يكفيه ثناء الله تعالى عليه في كتابه عن مثل جميع هذا الاطراء والامور قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهو سيد ولد ادم واول شافع ومشفع باليقين كما ورد بذلك الحديث فاذا جاء بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه فقل له ان اصحاب موسى عليه السلام الذين اختارهم الله على العالمين كانوا اعلم منه واجل وقد قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاذا دخل هذا المنكر على بني اسرائيل فما ظنك بمن ليس في مرتبتهم من

احاد هذه الامة وكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا اعلم واصلح من الجميع ولما مروا بالشجرة قالوا اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط وهذا فيه عبرتان الاولى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صرح ان من اعتقد في شجرة او تبرك بها فقد اتخذها الها وقد كان الصحابة يعرفون انه لا ينفع ولا يضر الا الله وانما ظنوا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا امرهم بها تصير فيها بركة والثانية ان الشرك قد يقع لمن هو اعلم الناس وافضلهم وهو لا يدرى فان الشرك اخفى من دبيب النمل والله اعلم وبالجملة فافرض ما على العبد معرفة توحيد الله تعالى ودرجاته وهو الحاجز بين العبد وبين النار وقد اخرج مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معى فيه غيرى تركته وشركه قال البيهقى في كتاب الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد اول ما يجب على العبد معرفة الله والاقرار به قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وقال له ولامته فاعلموا ان الله مولاكم وقال فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا فوجب بالآيات قبلها معرفة الله وعلمه ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي حديث طويل عنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا ابا هريرة واعطانى نعليه اذهب بنعلىّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله وجبت له الجنة هذه الاحاديث ساقها البيهقى بسنده وقال في الحديث الاول بيان ما يجب على السدعوان يا تى به حتى يحقن به دمه وفي الحديث الثانى بيان ما يجب عليه من الجمع بين معرفة القلب والاقرار باللسان مع الامكان حتى يصح ايمانه وفي الخبر الثالث والرابع شرط الوفاة على الايمان حتى يستحق دخول الجنان بوعد الله تعالى انتهى وقال العلامة ابن القيم رح في كتابه الذى سماه اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرق المعطلة والجهمية ملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله رسله واليهما دعت الرسل

من اولهم الى اخرهم احدهما التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى المتضمن اثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص والثانى عبادته وحده لاشريك له وتجريد محبته والاخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضاء به ربا والها ووليا وان لايجعل عدلا له فى شئ من الاشياء وقد جمع الله هذين النوعين من التوحيد فى سورتى الاخلاص وهما سورة قل يايها الكافرون المتضمنة للتوحيد العملى الارادى وسورة قل هو الله احد المتضمنة للتوحيد العلمى الخبرى فسورة قل هو الله احد فيها بيان مايجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان مايجب تنزيهه عنه من النقائص والامثال وسورة قل يايها الكافرون فيها ايجاب عبادته وحده لاشريك له والتبرى من عبادة كل ماسواه ولا يتم احد التوحيدين الا بالاخر ولهذا كان النبى صلى الله عليه واله وسلم يقرأ بهاتين السورتين فى سنة الفجر وصلوة المغرب اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا فالتوحيد العلمى الخبرى له ضدان التعطيل والتشبيه والتمثيل فمن نفى صفات الرب وعطلها كذب تعطيله توحيده ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده والتوحيد الارادى العملى له ضدان الاعراض عن محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشراك به فى ذلك واتخاذ اوليائه شفعاء من دونه وقد جمع الله تعالى بين التوحيدين فى غير موضع من القرآن منها قوله تعالى يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى قوله فلاتجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومنها قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فانى تؤفكون الى قوله هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ومنها قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم تامل ما فى هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقوله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام يتضمن ابطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وانه لم يزل وان الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ومن اثبت منهم وجود الرب جعله لازما لذاته ازلا وابدا غير مخلوق كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسى واتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلوة والسلام والكتب وشهدت به العقول والفطر وقوله تعالى ثم استوى على العرش يتضمن ابطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون ليس على العرش شئ سوى العدم وان الله ليس

مستویا علی عرشه ولا ترفع الیه الایدی ولا یصعد الیه الکلم الطیب و لا رفع المسیح الیه ولا عرج برسوله صلی الله علیه وآله وسلم الیه ولا تعرج الملائکة والروح الیه ولا ینزل من عنده جبریل علیه السلام ولا غیره ولا ینزل کل لیلة الی السماء الدنیا ولا یخافه عباده من الملائکة وغیرهم من فوقهم ولا یراه المؤمنون فی الدار الاخرة عیانا بابصارهم من فوقهم ولا یجوز الاشارة الیه بالاصابع الی فوق کما اشار النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی اعظم مجامعه فی حجة الوداع الیه وجعل یرفع اصبعه الی السماء وینکبها الی الناس و یقول اللهم اشهد انتهی کلام ابن القیم رحمه الله تعالی الذی یلوح علیه من انوار الایمان وقوته ما لا یخفی علی انسان قال الامام العلامة محمد بن الحاج احمد السفارینی فی کتابه لوامع الانوار البهیة وسواطع الاسرار الاثریة لشرح الدرة المضیئة عقیدة الفرقة المرضیة التوحید تفعیل للنسبة کالتصدیق و التکذیب لا للجعل فمعنی وحدت الله نسبت الوحدانیة الیه لا جعلته واحدا فان وحدانیته تعالی ذاتیة له لیست بجعل جاعل قال فی القاموس التوحید ایمان بالله وحده انتهی ای التصدیق بما جاء به النبی صلی الله علیه وآله وسلم من الخبر الدال علی ان الله تعالی واحد فی الوهیته لا شریك له والتصدیق بذلك الخبر ان ینسبه الی الصدق ومطابقة الواقع بالقلب و اللسان معا لانا نعنی بالتوحید هنا الشرعی وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وافعالا فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه و لا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا یدخل افعاله الاشتراك فهو الخالق دون من سواه انتهی۔

التوحید تفعیل للنسبة

باب فی بیان درجات الصاعدین الی مقامات الموحدین

قال بعض العلماء هذه ثمانیة درجات یرقی بها المستفید الی معارج علم التوحید و یصعد بها السالك علی مدارج حکم التفرید و یجاوز بها درکات الشرك و التقلید الاولی ان اصل البعثة ورأس الدعوة هو توحید الالوهیة الذی هو افراد الله بالعبادة ونفی الشریك منها والدلیل علی ذلك قوله تعالی والرجز فاهجر قال المفسرون الرجز هو الاوثان والهجر هو الترك و فی الحدیث ما یدل علی ان عبادة الشئ تصیره وثنا قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم اللهم لا تجعل قبری وثنا یعبد وقال تعالی سبحانه وتعالی عما یشرکون ینزل الملائکة بالروح من امره علی من یشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قال البغوی ای مروهم بلا اله الا الله وقال تعالی ولقد بعثنا فی کل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدی الله ومنهم من حقت علیه الضلالة قال اهل العلم الطاغوت اسم عام لما یعبد من دون الله و طاغوت کل قوم معبودهم من دون الله

الدرجة الاولی

اومتبوعهم علی غیر بصیرة من الله اوحاکمهم بغیر ما انزل الله وقال تعالیٰ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحی الیه انه لا اله الا انا فاعبدون وهذه الادلة فی دعوة کل رسول امته الی التوحید مجملة واما مفصلة
فهذه آیات القرآن المتفرقة فی الباب الاول من هذا الکتاب فیها ذکر الانبیاء علیهم السلام اسما باسم و
فیها الامر لهم بانذار قومهم وفیها ان اعبدوا الله واتقوه والمراد بالانذار الامر بالعبادة التی هی التوحید
والتقوی والطاعة وذکر الله تعالیٰ فی سورة نوح ما قال نوح وما قال له قومه حتی ذکر وقالوا لا تذرن آلهتکم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا یغوث ویعوق ونسرا وهذه اسماء قوم صالحین ماتوا جمیعا فحزنوا علیهم و
نصبوا صورهم وکانوا یعکفون علیها ویعبدونهم بعد طول المدة وکان ذلك اول شرك بنی آدم وقع فی الارض
وسببه هو الغلو فی الصلحاء وتلك الصور هی اصول اصنام قریش ایضا وفی سورة العنکبوت ذکر دعوة ابراهیم
علیه السلام وکذلك ذکرها فی سورة الشعراء وفیها ذکر عبادة الاصنام وهو عکوفهم علیها وفی سورة الممتحنة فی
قصته علیه السلام ایضا ما یدل علی وجوب البراءة منهم والکفر بهم وظهور العداوة والبغضاء حتی یؤمنوا بالله
وحده فالغایة التی ینتهی عندها هذه الامور هی الاخلاص فی العبادة والتصدیق والاذعان له وفی سورة
الزخرف واذ قال ابراهیم لابیه وقومه اننی براء مما تعبدون الا الذی فطرنی فانه سیهدین فهذه الکلمة هی الباقیة
فی عقبه وهی معنی لا اله الا الله اذ قوله اننی براء منکم معناه النفی وقوله الا الذی فطرنی معناه الاثبات ذکر
هذا البیهقی فی کتاب الاسماء والصفات وفی سورة النحل ثم اوحینا الیك ان اتبع ملة ابراهیم حنیفا وما کان
من المشرکین والحنیف هو الموحد والخطاب یقتضی العموم فهذه ملته علیه السلام ایها السالکون وهذه
سنة رسولنا صلی الله علیه وآله وسلم ایها المتبعون ووصی ابراهیم بنیه ویعقوب بذلك کما حکاه
سبحانه وتعالیٰ عنه فی الکتاب ومن اصدق من الله قیلا وفی سورة الانعام وتلك حجتنا آتیناها ابراهیم
علی قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حکیم علیم ووهبنا له اسحق ویعقوب کلا هدینا ونوحا هدینا
من قبل ومن ذریته داؤد وسلیمان وایوب ویوسف وموسی وهارون وکذلك نجزی المحسنین وزکریا
ویحیی وعیسی والیاس کل من الصالحین واسمعیل والیسع ویونس ولوطا وکلا فضلنا علی العالمین ومن
آبائهم وذریاتهم واخوانهم واجتبیناهم وهدیناهم الی صراط مستقیم ذلك هدی الله یهدی به من یشاء من
عباده ولو اشرکوا لحبط عنهم ما کانوا یعملون هذا مقام سکوب العبرات ان کنت یا هذا من اهل الاعتبار
لمعانی العبارات والحجة التی اوتیها ابراهیم الخلیل علی قومه هی قوله تعالی الذین آمنوا ولم یلبسوا ایمانهم بظلم

اولئك لهم الامن وهم مهتدون قاله مجاهد كما ذكر البغوی فی تفسیره والظلم هنا هو الشرك كما ذكره البخاری
فی صحیحه فی كتاب التفسیر وقیل هی التی احتج بها ابراهیم علی قومه من افول الكواكب وغیرها وقال اصدق القائلین
فی اصدق الكتب ولقد اوحی الیك والی الذین من قبلك لئن اشركت لیحبطن عملك ولتكونن من الخاسرین بل
الله فاعبد وكن من الشاكرین والخطاب للنبی صلی الله علیه وآله وسلم والمراد هو وامته جمیعا وما اخوف هذا
الكلام لمن له بالدین الحق المام فان الله تعالیٰ اذا كان خاطب سید الرسل بهذا الخطاب فما ظنك بغیره من الناس و
ان بلغوا ای مبلغ فی الشرف والمكان ثم حكی سبحانه فی سورة الاعراف دعوة نوح قومه الی عبادة الله تعالیٰ
وكذا عن صالح وهود وشعیب ولوط وموسیٰ الی اخر ما قصه عن الرسل العظام فی بیان هذا المرام من دعوتهم
اقوامهم الیٰ توحید الالوهیة واخلاص العبادة له سبحانه وتعالیٰ وختم ذلك بنبینا صلی الله علیه وآله وسلم
فقال سبحانه قل یا ایها الناس انی رسول الله الیكم جمیعا الذی له ملك السموات والارض لا اله الا هو یحیی و
یمیت فآمنوا بالله ورسوله النبی الامی الذی یؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالیٰ الا تعبدوا
الا الله اننی لكم منه نذیر وبشیر فتفكر فی هذه الدعوة من الرسل ما هی فقد قص الله علینا فی كتابه العزیز
دعوة الرسل من اولهم الیٰ اخرهم والله تعالیٰ قال فی سورة هود كلا نقص علیك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وجاءك فی هذه الحق وموعظة وذكری للمؤمنین قیل الحكایة جند من جنود الله ای لا ترد ولا
تقاوم فانظر ما فی انباء الرسل من الفوائد العظیمة والله یدعو الیٰ دار السلام ویهدی من یشاء الیٰ صراط مستقیم
وفی البخاری عن ابن عباس رضی الله عنه اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شیئا واتركوا ما یقول آباؤكم وفی
صحیح مسلم عن حدیث عمرو بن عنبسة فی قوله ما ارسلك الله به قال ارسلنی بصلة الارحام وكسر الاوثان
وان یوحد الله ولا یشركوا به شیئا فانظر الیٰ ما ذكر فیهما من معنی الدعوة والرسالة وانه توحید الالوهیة
وترك الشرك ورفض ما علیه الآباء المشركون وتفكر فیما كان علیه النبی واصحابه بعد الهجرة وقبلها وما كانوا
یدعون الناس الیه وینهونهم عنه والقران ینزل علیه عشر سنین ما بین مقبل ومدبر والموالاة والمعاداة
قائمة بین المقر والمنكر ومكث علیٰ ذلك عشر سنین فمن لم یتبعه ولم یطعه فهو المشرك الهالك ولیس اذ ذاك
صلوة ولا صیام فضلا عن غیرهما من شرائع الاسلام ولا هناك نهی عن شیٔ من الكبائر تقام فیه الحدود والاحكام
ومات علی ذلك كثیر من الفریقین فریق فی الجنة وفریق فی السعیر فاذا تفكرت ظهرت لك الفائدة وعاد علیك
النظر باحسن عائدة وتبین لك ان الذی طلبه منهم توحید الالوهیة وافراد الله تعالیٰ بالعبادة

من الذبح والاعتقاد والعكوف ونحوها وانهم مشركون بذلك يعاديهم عليه ويحاربهم فيه من غير
نظر الى بقية المعاصي من الكبائر والصغائر وان اصحابه هم الموحدون بترك ذلك وصرفه لله دون غيره
يواليهم عليه ويدعوهم اليه من غير نظر الى غيره من الطاعات الواجبات والمندوبات وبهذا التقرير يحصل
التاثير وتنقشع ظلمة الجهل بهذا التنوير يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون الدرجة الثانية ان
المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وهو الاقرار بافعال الله تعالى وصفاته واتصافه سبحانه بذلك دون
غيره كالخالقية والرازقية والمالكية وغيرها من صفات الربوبية وان غيره مربوب له ومخلوق ومرزوق
ومتصرف فيه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقد اقروا بذلك ولكن ذلك
لم يدخلهم في الاسلام ولم يخرجهم من الكفر ولم يحرم دماءهم واموالهم لانتفاء شرطه وشطره من توحيد
الالوهية والدليل على ذلك آيات كريمات من القرآن منها قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن
يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل
افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ويفهم من الآية تفريقهم
بين الالوهية والربوبية وانهما حيث اجتمعا افترقا وعلى هذا يكون سؤال القبر في قوله من ربك اي الهك
لان توحيد الربوبية لا يمتحن بها وكذلك قوله تعالى قل غير الله ابغي ربا اي الها واما افتراقهما فقوله تعالى
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس فاعرف هذا وقال تعالى في سورة المؤمنين قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون وهذا الاستفهام للتقرير وقد اخبرنا
سبحانه بما يقولون فقال في سورة العنكبوت ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون و
تفسير هذه الآية ايمانهم بتوحيد الربوبية وشركهم في توحيد الالوهية وههنا اجتمع الشرك

والایمان اللغوی وقال تعالی فی سورة الزخرف ولئن سألتهم من خلقهم لیقولن الله قل فانی تؤفکون
وقال تعالی ولئن سألتهم من خلق السموات والارض لیقولن خلقهن العزیز العلیم وکان دعوی فرعون
اقبح دعوی ومع ذلک قال الله تعالی فیه حاکیا عن موسی علیه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر وقال ابلیس اللعین انی اخاف الله رب العالمین فبعث الله النبی محمدا
صلی الله علیه وآله وسلم یدعو الناس الی الله تعالی بان یفردوه بالعبادة کما افردوه بالربوبیة وان یوحدوه
بکلمة لا اله الا الله معتقدین معناها عاملین بمقتضاها لا یدعون مع الله احدا ولم ینکر المشرکون علی
الرسول الا طلبه افراد العبادة لله ولم ینکروا الله ولا انه یعبد بل انکروا کونه یفرد وقالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ونذر ما کان یعبد آباؤنا وکانت عبادتهم العکوف عند معابدهم والهتف بها عند شدائدهم
والذبح لها مع اعتقادهم ان صفات الربوبیة لله وحده لیس لشرکائهم منها شیء وانهم انما یریدون بذلک
التقرب والشفاعة منهم عند الله فبین شرکهم وشرک اهل زماننا هذا فروق اربعة الاول انهم کانوا
لا یشرکون فی توحید الربوبیة الثانی انهم کانوا لا یشرکون بالله فی حالة الشدائد الثالث کانوا ارادوا بذلک
الشفاعة والقربة الرابع انهم کانوا یطلبون ذلک بواسطتهم من الله ومشرکوا هذا الزمان یفارقونهم فی
هذه الاربع یعنی انهم یقولون یا شیخ فلان اعطنی کذا وکذا لمن زار قبرک او نذر لک ویهتفون بالمخلوقین
عند الشدة کقولهم عند تموج البحر وتلاطمه یا فلان نجنا من الغرق ولک کذا وکذا من النذور وفیه ارادة
الفعل منهم من العطا والنجاة بلا واسطة والدلیل علی الاول ای علی انهم لا یشرکون فی الربوبیة ما مر
من قوله تعالی ولئن سألتهم من خلق السموات والارض الخ والدلیل علی الثانی ای علی انهم لا یشرکون فی
الشدة قوله تعالی وما بکم من نعمة فمن الله ثم اذا مسکم الضر فالیه تجأرون ثم اذا کشف الضر عنکم اذا فریق
منکم بربهم یشرکون لیکفروا بما آتیناهم فتمتعوا فسوف تعلمون وقال تعالی واذا مسکم الضر فی
البحر ضل من تدعون الا ایاه فلما نجاکم الی البر اعرضتم وکان الانسان کفورا وقال تعالی واذا رکبوا فی
الفلک دعوا الله مخلصین له الدین فلما نجاهم الی البر اذا هم یشرکون لیکفروا بما آتیناهم ولیتمتعوا فسوف
یعلمون وهذه لام العاقبة عند النجاة ای عاقبة شرکهم الکفر والتمتع والدلیل علی الثالث ای علی انهم یطلبون
الشفاعة ویریدون القربة قوله تعالی والذین اتخذوا من دونه اولیاء ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی
ان الله یحکم بینهم فیما هم فیه یختلفون ان الله لا یهدی من هو کاذب کفار وقال تعالی

الفرق بین المشرکین الاولین وبین مشرکی هذا الزمان

ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل تنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وهذه الادلة هى دليل المسئلة الرابعة انهم يريدون ذلك من الله سبحانه لا منهم بل رادوا الواسطة واتخاذها هو الشرك واذا وازنت بينهم وبين مشركى هذا العصر فى هذه الاربع عرفت انهم انما اشركوا فى صفات الالوهية دون الربوبية فان الفطرة السليمة والعقول المستقيمة تدل عليها واكثر اهل الزمان ظنهم ان الله بعيد عنهم وان المخلوق كالنبى والولى قريب اليه من الله تعالى وهذا عين الشرك بنص الكتاب والسنة واجماع ائمة الامة بالضرورة الشرعية والعقلية لولا ان الشياطين اجتالت قلوب المشركين والطواغيت غيرت الفطرة وهذا هو الواقع فى الخارج والمشاهد لاهل البصائر وقد اشرقت بهذا البيان المطالع واسفر الصبح للقارى والسامع والله يقول وقوله الحق المبين ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر الدرجة الثالثة ان الالوهية هى العبادة وان العبادة معناها التوحيد قال ابن عباس كل ما ورد فى القران من العبادة فمعناها التوحيد قال تعالى فى سورة الذاريات وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى يوحدون وقال تعالى فى فاتحة كتابه العزيز اياك نعبد واياك نستعين اى اياك نوحد ونطيع ونستمد وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر والاختصاص كما صرح بذلك علماء المعانى والبيان ومثله قوله سبحانه واياى فاعبدون اى وحدون وهذا تضمن الامر بالعبادة لله وحده والنهى عن الشرك فيها لان الضمير الظاهر المتقدم افاد النهى عن الاشراك بالله فى عبادته والامر افاد الوجوب ومثله قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال فى سورة البقرة وهو اول اية ذكر فيها كلمة ايها التى هى للنداء يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم اى وحدوه كما قاله المفسرون وقال قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى اخر السورة وهى تسمى سورة الاخلاص كما تسمى سورة قل هو الله احد بذلك والعبادة المذكورة فيها هى التوحيد وهو الدين المرضى وكرر النفى ليعم الماضى والمستقبل والتكرير يفيد التاثير والمراد بها التوحيد العملى ويحتاج الشرك العملى فى نفيه الى مثل ذلك البيان والمراد هنا ان العبادة هى المختصة بالله تعالى وهى فى اللغة غاية التذلل ونهاية الخضوع وفى الشرع ما امر به الشارع من افعال العباد واقوالهم المختصة بجلال الله تعالى وعظمته وهى اسم الجنس يشمل انواعا كثيرة واصل العبودية الخضوع والتذلل فالتعبد هو التذلل والعبادة هى الطاعة ومنها الاستعانة والاستعاذة والذبح والنذر والدعاء والعكوف والطواف ونحوها والطاعة والعبادة

قد يجتمعان وقد يفترقان ولا يقال ان الرد والتكفير والذم والتحقير انما ورد فيمن عبد الاصنام والاحجار وتذلل للاوثان والاشجار او عبد الطواغيت من الكهان او الشيطان وغيرهما من الكفار فكيف يكون ما نزل فيهم محمولا على من عبد الملائكة المقربين والاولياء الصالحين والانبياء والمرسلين لان ما يعبد به الاصنام وغيرها من الدعاء والذبح والاعتقاد هو الذى يفعل للاولياء وغيرهم والذى يطلب منهم هو الذى يطلب من اولئك ففعل المشركين الاولين هو عين فعل المشركين الآخرين واستوت الكفتان وتشابهت الطائفتان ؎

رق الزجاج ورقت الخمر — فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح — وكانما قدح ولا خمر

واذا استوى الاصل والفرع فى العلة استويا فى حكم الملة فكيف اذا وجد النص المتقدم على القياس فانه يرتفع الاشكال والالتباس واذا لم يبق الفرق بين عبادة الصالح والطالح فهاك الدليل لبين الواضح الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان واما الدليل العام على ذلك فقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقال تعالى فى سورة سبا قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وفى هذه نفى كل ما تعلق به المشركون من الملك والشريك والظهير والشفاعة بغير اذنه وقال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقد ذكر السلف ان هذه الآية نزلت فى عابدى عزير والمسيح ونحوهما ولفظة الذين من صيغ العموم والحق انه لا وسيلة الى الله الا الاعتراف بتوحيده والاتصاف بهما خالصا مخلصا من صميم القلب مع اتباع لرسوله فى كل ما امر به ونهى عنه صلى الله عليه وآله وسلم واما الدليل الخاص فقوله تعالى فيمن عبد الملائكة يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فان قيل قد كانوا يعبدون الملائكة فكيف قال يعبدون الجن قيل معنى يعبدون هنا يطيعون اى كانوا طائعى الجن فى عبادة الملائكة وقال تعالى فيمن عبد المسيح يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم وقال واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو

الدليل العام

الدليل الخاص

المسیح بن مریم وقال ولا یامرکم ان تتخذوا الملائکة والنبیین اربابا ایامرکم بالکفر بعد اذ انتم مسلمون
الدرجة الرابعة ان الاله هو المعبود باجماع اهل العلم والدلیل علی ذلک قوله تعالی فی سورة الزخرف
وهو الذی فی السماء اله وفی الارض اله ای معبود واحد یعبد فیهما قاله قتادة وقال اهل العلم لا یصح غیره وقال فی
سورة الانعام وهو الله فی السموات وفی الارض ای الله معبود فیهما وقال فی سورة الجاثیة افرایت من اتخذ
الهه هواه ای معبود النفسه وقال فی سورة ص وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشیء عجاب ذکر
البغوی فی تفسیره انه صلی الله علیه وآله وسلم لما قال القریش اتعطونی کلمة واحدة تملکون بها العرب
وتدین لکم بها العجم قال ابو جهل والله ربک لنعطینکها وعشر امثالها فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم
قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلک وقالوا اجعل الالهة الها واحدا وقال تعالی فی الزخرف وقالوا ءالهتنا
خیر ام هو وقال فی سورة الطور ام لهم اله غیر الله سبحان الله عما یشرکون وقال وجاوزنا ببنی اسرائیل البحر
فاتوا علی قوم یعکفون علی اصنام لهم قالوا یا موسی اجعل لنا الها کما لهم الهة قال انکم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فیه وباطل ما کانوا یعملون قال اغیر الله ابغیکم الها وهو فضلکم علی العالمین وقال
تعالی واذ قال ابراهیم لابیه آزر اتتخذ اصناما الهة انی اراک وقومک فی ضلال مبین وقال فی سورة
طه حکایة عن قول موسی علیه السلام للسامری وانظر الی الهک الذی ظلت علیه عاکفا لنحرقنه ثم لننسفنه
فی الیم نسفا انما الهکم الله الذی لا اله الا هو وسع کل شیء علما والمعنی لما عکف السامری علی العجل صار
الها له بزعمه لان العکوف عبادة لا یستحقها احد غیر الله تعالی وقال سبحانه فی سورة البقرة فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون ای شرکاء فی العبادة والمحبة وقال ابن مسعود رض وابن عباس رض ای اکفاء من الرجال
تطیعونهم فی معصیة الله وقال ومن الناس من یتخذ من دون الله اندادا یحبونهم کحب الله قال مجاهد
فی قوله سبحانه یعبدوننی ولا یشرکون بی شیئا ای لا یحبون غیری وهذا یرشدک الی ان محبة غیر الله من
الشرک وقال فی سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسیح بن مریم وما امروا الا
لیعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما یشرکون وفی تفسیر هذه الآیة عن عدی بن حاتم ان عبادتهم هی طاعتهم
فی معصیة الله قال ابو العالیة ومنه قولهم لا نسبق علماءنا ما حللوه حل وما حرموه حرم وقال
تعالی وان اطعتموهم انکم لمشرکون وهذا لما حللوا لهم المیتة وقال تعالی قل یا اهل الکتاب تعالوا الی
کلمة سواء بیننا وبینکم ان لا نعبد الا الله ولا نشرک به شیئا ولا یتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله قال

ابن جریر معناه لا یطیع بعضنا بعضا فی معصیة الله وقال فی سورة الذاریات ولا تجعلوا مع الله الها اخر
انی لکم منه نذیر مبین وقال فی سورة المائدة لقد کفر الذین قالوا ان الله هو المسیح ابن مریم وقال فیها ایضا
لقد کفر الذین قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وقال فیها ایضا ما المسیح ابن مریم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صدیقة کانا یاکلان الطعام انظر کیف نبین لهم الآیات ثم انظر انی یؤفکون
قل تعبدون من دون الله ما لا یملك لکم ضرا ولا نفعا والله هو السمیع العلیم وقال فی سورة الشعراء حکایة عن
قول فرعون لموسی علیه السلام لئن اتخذت الها غیری لاجعلنك من المسجونین وهذه الدرجة فیها تعریف
الاله وانه هو المعبود بحق وما سواه باطل ع انك حق وهم الباطل ع الا کل شئ ما خلا الله باطل و قیل
الاله هو الذی یطاع محبة وخوفا ورجاء وتوکلا وهو اسم صفة لمن یعبد ومن عظیم انواع العبادة الدعاء
والمحبة کحب الله والطاعة فی المعصیة والعکوف لغیره سبحانه وفیه انه یکفر من سمی غیره تعالی الها وقال
ثالث ثلثة فمن عبد غیر الله تعالی ولم یسمه الها بل سماه نبیا او ملکا او صالحا او ولیا او اماما او شجرا او
حجرا او مدرا فقد اشرك بالله وخرج من دائرة الاسلام لان الاسماء لا تغیر المعانی من حقیقتها کما لو سمی
خمرا کرما او لبنا او نبیذا لم تکن حلالا وکذلك لو سمی الربا منفعة او وثیقة او ربحا وبیعا لم تصر بذلك
حلالا تامل فی قصة ذات انواط فان فیها البیان التام الشافی والدلیل الوافی الکافی فانهم لم یسموها الا ذات
انواط ولم یصرحوا بان اجعل لنا الها فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قلتم کما قال بنو اسرائیل اجعل لنا
الها کما لهم آلهة رواه الترمذی وکذلك من احب شیئا یسمی عابدا له یدل علیه الحدیث الصحیح تعس
عبد الدینار وعبد الدرهم الحدیث وفیه اطلاق اسم العبودیة بسبب التعلق بشئ وتصح الاضافة بادنی ملابسة
قال ابن العربی المالکی ان الاحکام تتعلق بمسمیات الاسماء لا بالقابها ولا بالتسمیة انتهی وهذا واضح بین و
لله الحمد وقال تعالی فی سورة الانبیاء ام اتخذوا آلهة من الارض هم ینشرون لو کان فیهما آلهة الا الله لفسدتا
فسبحان الله رب العرش عما یصفون لا یسئل عما یفعل وهم یسئلون ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانکم
هذا ذکر من معی وذکر من قبلی بل اکثرهم لا یعلمون الحق فهم معرضون اللهم لا تجعلنا من المعرضین وثبت
قلوبنا علی الدین الحق المبین **الدرجة الخامسة** ان الدعاء من العبادة بل هو مخها وراسها و
افضلها واساسها وفی الحدیث اکرم شئ علی الله الدعاء وورد ان افضل العبادة الدعاء اخرجه الحاکم وصححه وورد
الدعاء هو العبادة رواه الترمذی وفیه دلالة علی الحصر ای حصر الخبر فی المبتدا لاجل الفصل فیکون مفیدا

عظیم انواع العبادة الدعاء

للتنبیه بافضلیته وللمبالغة والاهتمام بشانه وقد سبق مرات ان معنی العبادة التوحید فالدعاء هو التوحید
فمن دعا غیر الله فقد اشرك ودعا غیره سبحانه شرك لا شك فیه ومن الادلة علی ذلك قوله تعالی ادعوا ربکم
تضرعا وخفیة وقوله وادعوه خوفا وطمعا جمع ههنا دعاء العبادة ودعاء المسئلة وانهما مختصان بالله
وحده ولا ینبغی لاحد سواه وفی سورة البقرة واذا سألك عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوة الداع
اذا دعان وقد دل سبب نزول هذه الایة علی ان الدعاء هو النداء والمسألة لانهم قالوا اهل ربنا قریب فنناجیه
ام بعید فننادیه فنزلت ذکره فی تفسیر الجلالین وقال سبحانه فی سورة الاسراء قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ایا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی قال ابن عباس رضی الله عنهما سجد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم
بمکة ذات لیلة فجعل یقول یا الله یا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ینهانا عن الهتنا وهو یدعو الهین فانزل
الله هذه الایة وفی سورة نوح رب انی دعوت قومی لیلا ونهارا فلم یزدهم دعائی الا فرارا وانی کلما دعوتهم
لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فی اذانهم واستغشوا ثیابهم واصروا واستکبروا استکبارا فهذه نصوص
صریحة واضحة محکمة المبنی والمعنی فی ان الدعاء عبادة وانه نداء وانما المنهی عنه لغیر الله وان المنادی
اله للمنادی وان ذلك شرك واضح وقد قال تعالی ثم الذین کفروا بربهم یعدلون ای یسوون غیره به تعالی
فی العبادة والدعاء وقال قالوا وهم فیها یختصمون تالله ان کنا لفی ضلال مبین اذ نسویکم برب العالمین
والقران یفسر بعضه بعضا وقال فی سورة الاعراف فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتیتنا صالحا لنکونن من
الشاکرین فلما اتاهما صالحا جعلا له شرکاء فیما اتاهما فتعالی الله عما یشرکون فیه ان الدعاء هو قولهما لئن اتیتنا
صالحا الخ وهنا یقال ان الشرك وقع منهما فی الطاعة لا فی العبادة واقول الصحیح ان الشرك انما وقع من حواء
فقط دون آدم علیه السلام لانه نبی وخلیفة والنبی لا یتاتی منه مثل هذا والعرب تخاطب الواحد بالتثنیة
وذلك شائع ذائع فی لغتهم ومحاوراتهم کما صرح بذلك فی تفسیر فتح البیان فارتفع الاشکال الذی حیر
العلماء فی کل زمان وانما ذکرنا الاستدلال علی ان الدعاء هو النداء لان المفسرین قد حملوا الدعاء علی احد خمسة
معان بحسب المقام فی کل ایة روایة والاصل فی الدعاء فی اللغة الایمان قال فی القاموس الدعاء رغبة الی الله و
عرف بانه رفع الحاجات الی رفیع الدرجات وقد ورد الوعید الشدید والنهی الاکید فیمن سأل الناس من اموالهم
خاصة اذا کان معه ما یکفیه او ما یعشیه او ما یغدیه فکیف من یسأل الاموات قضاء الحوائج ولا یسأل
الله الذی یخلق الارض والسموات [illegible] قال تعالی فی سورة الجن

ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اى لا تعبدوا ولا تنادوا غيره كائنا من كان وايما كان وقال فى
سورة الاحقاف ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وهذا نص فى محل النزاع فقد ثبت بهذه الاية
ان الدعاء هو العبادة والعبادة هى الدعاء وقال فى سورة يونس ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك و
لا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين فيه ايضا ان الدعاء هو العبادة وان عبادة غير الله تعالى هى
الظلم والظلم هى الشرك كما يدل عليه القران الكريم فى غير موضع فمن دعا غير الله ممن لا يقدر على النفع والضر
فقد صار من الظلمة المشركين بالله تعالى وقال فى سورة المؤمنين ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به
فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون فيه ان عبادة غيره تعالى مع عبادته سبحانه من الكفر وللمحاسبة
يوم الحساب ومن نوقش فى الحساب فقد هلك وقال فى سورة العنكبوت فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الاية وقد تقدمت فيفهم منها ان دعاء غير الله تعالى ضلالة وظلم وشرك وكفر وصاحبها
كذلك واللام فى اخر هذه الاية فى قوله ليكفروا وليتمتعوا هى لام العاقبة اى عاقبة شركهم هو الكفر والتمتع
القليل الفانى فان قيل ان الداعى انما اراد التقرب الى الله بدعوته مدعوه والشفاعة اليه سبحانه لا عبادته
فالجواب ان هذا عين ما اراد المشركون الاولون بدليل قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى
اية شريفة اخرى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وختم الاية الاولى بقوله ان الله لا يهدى من هو كاذب
كفار وختم الاية الثانية بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فان قيل انهم يظنون انهم على هدى ولا يظنون
انهم على ضلال فالجواب قال الله تعالى قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين
له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون
الله ويحسبون انهم مهتدون وهذا فيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق هو والجاحد المعاند
سواء وقد فسر ابن عباس الحبر البحر ترجمان القران القسط هنا بلا اله الا الله وفسره الضحاك بالتوحيد وقال سبحانه
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون
وفى تفسير البغوى عند قوله تعالى فى سورة يونس وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين اى اخلصوا
فى دعاء الله ولم يدعوا احدا سواه انتهى وفى هذا ان الدعاء هو الدين والاخلاص فيه هو التوحيد وان دعوة
غير الله شرك ولا يقال ان هذا ان كان شركا فشرك اصغر لا اكبر والجواب ان الدعاء لغير الله على اعتقاد النفع

والضر من المدعو من دون الله فى قضاء الحوائج واغاثة اللهفان وشفاء المرض وقضاء القرض ونحو ذلك هو الذى كان عليه مشركوا العرب وكان هذا عبادتهم وشركهم بالله تعالى والعكوف والذبح ونحوهما فروع لهذه المطالب ونتيجة اشكال دعوتهم الميت والغائب انهم يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله تعالى وهى منتفية ههنا وفيها تشبيه الخالق بالمخلوق وهو شرك محض كما ان التعطيل جهل بحت ولم تكن بعثة الرسل ودعوتهم الا الى توحيد الالوهية التى هى عبارة عن العبادة الخالصة للرب تعالى وتقدس ليكون كلها بحذافيرها ونقيرها وقطميرها لله وحده وهذا هو المراد من قول اهل العلم ان دعاء غير الله شرك اكبر ومن قال لا اله الا الله ودعا غير الله على ما تقدم ذكره فقد هدم مبناه ونقض ما قاله و نفاه ولم تصح بينته على دعواه والدعاوى ما لم تقم عليها بينات فابناؤها ادعياء وهى على شفا جرف هار والله تعالى يقول فى سورة العنكبوت ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وقال فى سورة يونس الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون **الدرجة السادسة** فى بيان ان عبادة غير الله كفر وشرك اكبر يحل الدم والمال ويخلد صاحبه فى النار اذا بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة وعاند مصرا على الشرك فهما معا نابكفره فاما انها كفر وشرك فلان لفظ الشرك معناه ان يعبد غير الله مع الله وهذا هو الواقع ولفظ الكفر معناه الجحود والتكذيب والانكار عما علم مجئ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به ضرورة فهذه الاسماء وهذه المسميات بينهما كما بين الامهات والبنات وقد ذكر ابن هشام فى السيرة انما كانت عبادة المشركين العكوف والدعاء ونحوها من الذبح والطواف وفى زاد المسافرين لابن القيم فى المغازى فى فصل قدوم وفد خولان وهم عشرة انه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل عم انس وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله به ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولئن قدمنا عليه لنهدمنه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه فى غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد رأينا قحطا حتى اكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها لعم انس قربانا غداة واحدة وتركناها ترد ها السباع فجاء ونحن احوج اليها من السباع فنزل الغيث من ساعتها ولقد رأينا الغيث يوارى رجالا ويقول قائلنا انعم علينا عم انس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من انعامهم وحروثهم وانهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له وجزءا لله بزعمهم الى آخر القصة وفيها وكنا نتحاكم اليه وقد ذكر قطرب فى

قوله تعالى وما ذبح على النصب ان على بمعنى اللام اى ما ذبح لاجلها فاذا جادل مجادل وانكر منكرا وكابر
مكابر فى هذا الامر الظاهر فقل له بين لى الشرك ما هو وما الذى حرم الله ونهانا عنه وما الذى كان المشركون
يعبدون من اصنامهم المنقوشة وانصابهم المنصوبة وغيرها من معبوداتهم فانه لا يجد جوابا ابدا الا ان يقول
انه عبادة غير الله وعبادة غيره اما بالدعاء او بالذبح او بغيرهما من العبادات واصح الشهادات ما شهدت به
الاعداء او يقول لا ادرى فقل له فكيف تنكر ما لا تعرف وتجحد ما لا تدرى وكذلك تقول فى العبادة التى فرضها
علينا وامرنا بها وخلقنا لها ومستحقة لدينا ان صرفناها اليه وعبدناه بها كنا من الموحدين وان صرفناها
لغيره وعبدناه بها صرنا من المشركين فان عرفها وبينها والا فبين له ذلك باقسامها من الاعتقادية والقولية و
الفعلية والبدنية والمالية وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدئ الباطل وما يعيد
وقد بين الله سبحانه لنا الاحكام وفصل لنا الحلال والحرام واحاطت الشريعة المحمدية باقسام العلوم واشتملت
على الاصول والفروع بالمنطوق والمفهوم وقد تركنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم على المحجة البيضاء والحنيفية
السمحة السهلة الغراء ليلها كنهارها وما طار طائر فى الجو الا وجعل لامته منه ذكرا وقد افادت السنة بكيفية
الاستجمار بالاحجار كيف يصنعها بل فى سنن ابى داود فى اداب الخلاء قولهم لقد علمكم نبيكم حتى الخراءة
فما لك ايها الانسان بمسئلة عظيمة فخيمة لاجلها اعدت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين كيف لا يبينها
ويوضحها ويشرحها والله لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلاغا مبينا ولم يترك من ذلك ذرة هذه
كتب السير والمغازى تدل على ذلك دلالة واضحة وان هذا الذى قاتل عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم
المشركين وحاربهم عليه ولم تكن عبادتهم الاصنام ونحوها الا الدعاء بهم والتعلق والاعتقاد فيهم والالتجاء
اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والعكوف عندهم واما الدليل على انه يخلد صاحبه فى النار فقوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الى قوله وما هم بخارجين من النار وقوله
تعالى ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار واما الدليل على القتال فقوله تعالى فاذا
انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان
تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم قال الحسين بن الفضل هذه الاية نسخت
كل اية فيها الاعراض والصبر على الاذى من الاعداء والمعنى ان تابوا من الكفر والشرك واتوا بما ذكر فخلوا سبيلهم وقال
تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله اى لا يعبد غيره وقيل اى يكون خالصا لله لا شريك فيه

وفى تفسير الجلالين ان الفتنة هنا هى الشرك بالله تعالى وقال سبحانه وقاتلوا المشركين كافة وفى الصحيح
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فاذا
فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال النووى قال الخطابى معلوم ان
المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف و
ذكر عياض ان اختصاص عصمة النفس لمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة والايمان وهذه فائدة عظيمة
استفدتها وفى الاحاديث النبوية قيود وشروط لكلمة التوحيد وهى لا اله الا الله اذا تاملها الانسان خاف
على نفسه فضلا عن اهل الشرك والكفر والطغيان منها ان لا يشك فيها ولا يرتاب ولا يتكبر ولا يجحد ولا
يستخف بها وان يحجزه ذلك عن المعاصى وان يقولها مخلصا من قلبه وقد قال بعض الائمة احفظوا العلم
بقيوده بل ائمة المذاهب الاربعة قد صرحوا بوجوب قتال من نفى الزكوة او ترك الصلوة بل ترك الاذان و
صلوة العيد لانهما من شعائر الاسلام بل نقل بعضهم الاجماع على قتال طائفة ممتنعة من فريضة من
الفرائض المشهورة وذكر النووى فى شرحه للاربعين ان حكم الواحد كذلك مع انه يدخل فى اسم الطائفة
وفى الحديث الشريف عن بريدة بن الحصيب فى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للغزو اغزوا
باسم الله وقاتلوا من كفر بالله اخرجه ابو داود والله يقول الخير للخلق اجمعين قال سبحانه ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين اللهم انا قد وجدنا كتابك كذلك وقبلنا بشارتك على هذا الله
فاكتبنا مع الشاهدين واحشرنا فى زمرة الصالحين **الدرجة السابعة** اذا قيل ان هذه الايات قد نزلت
ووردت فى حق المشركين عباد الاصنام والكفار العبيد للاوثان والمحاربين الله ورسوله فلا ينبغى ان تكون
فى غيرهم ممن يؤمن ولا تشتمل على من سواهم فالجواب ان الجامع بين المشركين من الاولين والاخرين موجود
ثابت مشهود وهو الشرك بالله فالحكم فى ذلك واحد لا فرق فيه لعدم الفارق ووجود الجامع وقد تقرر فى اصول
الفقه عند العلماء الفحول ان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب وعليه مدار الشرائع والاحكام وفى
الحديث الشريف حكمى على الواحد كحكمى على الجماعة ويلزم من هذا الاعتراض ان يقال كل حكم نزل على
سبب مخصوص فى قصة سالفة فهو لا يتعداها الى غيرها وهذا من ابطل الباطلات واكذب الكذبات وفيه
تعطيل لجريان الاحكام الشرعية على جميع البرية فان ايات الحدود والجنايات والمواريث والديات نزلت
فى قضايا خاصة قد مضت ومضى اهلها الذين نزلت فيهم تلك الايات والنصوص البينات وحكمها

عام الی یوم القیامة لان العام لا یقصر علی السبب فخطابات الشرع تتعلق بالمکلف المعدوم تعلقا معنویًا
وقد قال ابن عباس فی مثل ذلک مما انزل علی بنی اسرائیل انه علینا مثلهم وما اشبه اللیلة بالبارحة
وقال بعضهم نعم الاخوة بنو اسرائیل اذ کان کل حلوة لکم ولهم کل مرة و فی اصول الفقه ان شرائع من قبلنا
شرع لنا عند الثلثة وعند الشافعی انه شرع لنا اذا ورد تقریرہ فی شرعنا ولا ریب ان هٰذہ المسائل قد ورد
شرعنا بتقریرها ونطق الکتاب و السنة بتکریرها وهٰذا انما هو جواب علی السؤال والا فما فی عنده صلی الله
علیه وآله وسلم مشرکی العرب و قاتلهم علیه ونزل فی القرآن فیه آیات محکمات غیر منسوخة فهو للاول
والاخر بل الآیات النازلة فیمن کان قبلنا من الامم نازلة فینا اعتبارا بعموم الالفاظ مع ان شرعتنا و
سنة رسولنا صلی الله علیه وآله وسلم اغنت واقنت وکفت وشفت وابدت واعادت ونصّت واظهرت والصبح
یغنی عن المصباح فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمین وله الکبریاء فی السموات والارض وهو
العزیز الحکیم و فی تفسیر آخر سورة البقرة انهم قالوا کیف کلفنا من العمل ما لا نطیق فقال رسول الله صلی الله علیه
وآله وسلم اترید ون ان تقولوا کما قال من کان قبلکم سمعنا وعصینا فتشبه ما قالوا من الکلام بقول من سلف من
الانام وعن عائشة رضی الله عنها کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اذا رأی مخیلة تغیر وجهه وتلون و
دخل وخرج واقبل وادبر واذا امطرت السماء سری عنه قالت وذکرت الذی رأیت فقال وما یدریك
یا عائشة لعله کما قال قوم فلمّا رأوہ عارضا مستقبل ودیتهم قالوا هٰذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم
به ریح فیها عذاب الیم خرجه البغوی مسندا ومثله فی صحیح البخاری قال الامام الحافظ ابن القیم رحمه الله فی
مبحث الشرك الاکبر الآیة التی فی سورة سبا قل ادعوا الذین زعمتم من دون الله لا یملکون مثقال ذرة فی
السموات ولا فی الارض وما لهم فیهما من شرك وما له منهم من ظهیر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
ان القرآن مملوء من امثالها ولکن اکثر الناس لا یعلمون بدخول الواقع تحته ویجعلون فی قوم خلوا ولم یعقبوا وارثا
وهٰذا الذی یحول بین القلب و بین فهم القرآن کما قال عمر رضی الله عنه انما ینتقض عری الاسلام عروة عروة
اذا نشأ فی الاسلام من لا یعرف الجاهلیة وقال تعالٰی الم یأتکم نبؤا الذین کفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم
ولهم عذاب الیم

الدرجة الثامنة

فی ذکر من قال ان هٰذا شرك یحل الدم والمال ویوجب الحرب و
القتال بعد قیام الحجة و بلوغ الدعوة ووصول العلم وظهور الکفر منه وهٰذہ الاشیاء لها قیود و شروط اطلقناها
فی هٰذا المبحث ولا تکفیر بالظن ایضا فاعلم ان الاستقصاء غیر ممکن ولیس بعد کلام الله سبحانه وکلام

له هو مضمونه ... وهو الظن ومع السعادة الخلیقة بالمطر هو ... وانا تغیر لونه فخاف ان یصیبه ما منه عقوبة ذنب العامة ...

فى كفر تارك الصلوة عمداً

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كلام يطلب الاستدلال به فماذا بعد الحق الا الضلال ومن اصدق من الله
حديثا والسنة النبوية هى الحجة عند النزاع والمراد اذا تنازعت الاشياء فمن استدل بها او اعتمد عليها فقد
افلح ومن استعملها ووزن بها فميزانه الارجح وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد سمعت ما مر من
الآيات البينات والاحاديث واذا لم تغن البينات شيئا فالتماس الهدى بهن عنى واذا ضلت العقول
على علم فماذا تقول له النصحاء ع آن كس كه بقرآن وخبر زونرهى + اين ست جوابش كه جوابش ندهى + لكن
سنذكر من كلام العلماء ما يعلم به انهم ورثة الانبياء ومصابيح الظلام فاولهم صديق هذه الامة ابو بكر
رضى الله عنه فانه قال فى قتال اهل الردة لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة بل لو منعونى عقالا كانوا
يعطونه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاقاتلنهم عليه ولما كفر من كفر من العرب فى خلافته قاتلهم واستحل
دماءهم واموالهم بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم فصار ذلك اجماعا واكبر شىء فى ردتهم على تنوعها قولهم
ان مسيلمة الكذاب نبى فكيف بمن قال ان غير الله يعبد او عبده واعتقد فيه الالوهية وجعله متصفا بها
وان لم يقلها بلسانه ووافقه عمر الفاروق على قتال من فرق بين الصلوة والزكوة بعد ان توقف فيهم ثم
ظهر الدليل فسلكوا سواء السبيل وقال بكفر تارك الصلوة جماعة من الصحابة والتابعين ففى كتاب الترغيب
والترهيب للمنذرى عن عمرو بن حزم انه جاء كفر تارك الصلوة عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل
وابى هريرة قال المنذرى وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى كفر تارك الصلوة متعمدا حتى خرج وقتها
منهم ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومن غير الصحابة احمد بن حنبل واسحق وابن المبارك هذا فى تركها وقد
صنف المحقق فى ذلك مؤلفا وكتاب الصلوة للحافظ ابن القيم فى هذه المسئلة احسن مؤلف جمع فيها وقد
طبع لهذا العصر فى بعض بلاد الهند وفى كتاب هداية السائل الى ادلة المسائل بحث مستقل فى اثبات
كفر من ترك الصلوة متعمدا بلا عذر صحيح سائغ فى الشرع واما جحودها فكون ذلك كفرا مسئلة وفاق بين
العلماء فكيف بمن ترك التوحيد وجحد حق الله تعالى على العبيد وجعل المخلوق فى مرتبة الخالق وسبه بالشرك
والتنديد وقد ورد الوعيد الشديد فيمن تكلم بكلمة من سخط الله لا يرى بها باسا وفى رواية لا يريد بها باسا
اى لا يظن انها تبلغ به ما بلغت فتفطن لها فانها مبينة بل فى قصة تبوك ان الذين تكلموا بالكفر ونزل فيهم قوله
تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم انهم اعتذروا بالمزح واللعب فى الخوض لم يعذروا ونزل قوله سبحانه
قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن وقد حكم الصحابة بكفر من استحل الخمر متأولا لقوله تعالى ليس على الذين

امنوا وعملوا الصالحات فيما طعموا ومن اولئك قدامة بن مظعون لكنهم تابوا ورجعوا عما تأولوه كما وقع لحاطب
ابن ابي بلتعة مما ذكره الله في سورة المائدة وهم عمر رضي الله عنه بقتله لولا ما ذكره من العذر ومن ذلك حكم
ابن مسعود في زمن عثمان بكفر الذين تكلموا في مسجد بني حنيفة في الكوفة بان مسيلمة مصيب في دعواه
وتكلم علي كرم الله وجهه بكفر الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه صفات الالوهية ثم حرقهم بالنار فهذه سنة
الخلفاء الراشدين المهديين فيمن كان يقول لا اله الا الله ثم صدر عنه ما ينافيها وينقض بنيانها منه وان
كانوا ما بين معتذر ومتاول وتائب انما الغرض التكفير وان ذلك كفر وشرك وان لم يكونوا من قبل مشركين
واما ما حصل بعد الخلفاء فمن ذلك حكمهم بقتل الجعد بن درهم وجهم بن صفوان لتعطيلهما رب العالمين
عن الصفات التي نطقت بها الآيات ووردت بها الاحاديث الصحيحات ولقولهم ان القرآن مخلوق وان
الامر انف حتى صار اهل الكلام من فرق الضلال وافتى الشافعي بتحريمه واما اتباع الائمة الاربعة
فاقاويلهم في ذلك كثيرة واسلوب كل مذهب ان يجعلوا بابا مستقلا يسمونه باب الردة او باب حكم المرتد
ويفسرونه بانه المسلم الذي كفر بعد اسلامه ثم يسردون المكفرات ويطيلون فيها المقالات فمن اوسعهم
في ذلك الحنفية واما الحنابلة فحصرها بعضهم في اربع مائة مسئلة كل واحدة تنقض الاسلام وتلحق صاحبها
بعبدة الاصنام والشافعية والمالكية لهم في ذلك مباحث طويلة مثل ذلك ولابن حجر الهيتمي المكي مؤلف
سماه الاعلام بقواطع الاسلام وفي كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر نبذة من هذه وفي مشارق الانوار
من كتب الشافعية باب طويل من ذلك ولابن المقري مؤلفات نحوها وشراح منهاج النووي وضحوا تلك
المهالك ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية والشيخ ابن حجر الاجماع على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم
ويتوكل عليهم وبعض ما ذكروه في باب الردة فهو من مسائل فرعية وليست من القواعد الاسلامية ولا من
اصول السنة الايمانية فما ظنك بمسئلة توحيد الله سبحانه بالعبادة التي هي اصل الاصول ومركز دائرة اهل
المنقول والمعقول والقطب الذي يدور عليه الحاصل والمحصول والاساس الذي عليه بناء مدينة العلم
التي فيها النزول والحلول والصراط المستقيم الذي عليه السير والوصول فان قيل كيف يقاتلون وهم
يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويأتون بكثير من شرائع الاسلام وقد ورد في الصحيح امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث فالجواب انه قد ورد في صحيح البخاري امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم واموالهم الا بحقها فجعل الغاية التي ينتهي عندها القتال الامور الثلثة المذكورة في الحديث لان
القول المجرد عن الاعتقاد والعمل غير مفيد والا فقد قال اليهود ذلك والمراد معناها لا مجرد لفظها وان يقولوها
كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم موقنين بمعناها من النفي والاثبات عاملين بمقتضاها غير فاعلين ما ينافيها
من الشرك والكفران والطغيان فان قيل كيف اذا كانوا ياتون بالامور الثلثة المذكورة لكنهم يصرفون بعض
العبادات لغير الله مثل الاعتقاد في المقبورين ونحو ذلك فالجواب ان القصص المذكورة آنفا فيمن جرى
عليه القتل في زمن الخلفاء هو ممن كان يفعل الامور الثلثة المذكورة ويناقضها بما يوجب قتله فان قيل
ان هؤلاء لم يعلموا ذلك انه ينافي احسن المسالك فالجواب ان المقرر انما هو تكفير من بلغته الدعوة وقامت عليه
الحجة فابى وعاند بعد العلم مصرا على الشرك فمن حين ظهرت هذه الدعوة المحمدية الى توحيد الالوهية وجردت
عليها السيوف فمن ردها واباها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت
والقرآن العظيم اكبر حجة على الخاص والعام فمثل توحيد الله بالعبادة وانه لا شريك له فيها يدل على هذا
القرآن دلالة صريحة للتالي والسامع وفيه هداية للعقل لبه واقامة الحجة عليه واما فهم الحجة فغير لازم
وللعلماء في هذا الموضع اقوال وقد نص الفرقان العظيم على ذم قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما
الاموات فقد افضوا الى ما قدموا وقد ورد النهي عن ايذاء الاحياء بذكر مساوي الاموات وهذا فيمن عمله عمل
المشركين منهم وفعله فعل الكافرين واما من يعلم صلاحه وتوحيده فذلك الناجي سواء تقدم او تاخر واما من لا
يعلم حاله فكف اللسان عنه حسن جدا لان تكفير المعين يحتاج الى ثبوت اقامة الحجة عليه وفي نجاة اهل الفترات
مباحث واختلافات والشان كل الشان في امر اهل هذا الزمان فان علم التوحيد امر مستفاض وشيء معروف
وانه فرض لازم وواجب متحتم وعلم الشرك مذموم وانه حرام محض وضلال بحت ولكنه حصلت فيه غلطات
فاضحة وعادات شنيعة واعمال كفرية واقوال شركية وردة فظيعة وافعال قبيحة تابع فيه الآخر الاول
وابتلى به كثير ممن قلد بعضهم بعضا الا قليلا من الناس ونزاهم الاكياس وكادت آثارها في الشريعة
الحقة تنطمس واحيان معانيها المنيعة الرفيعة تندرس وما اوتي الناس الا من قبل الديانة والامانة وغربة
الاسلام وضعف الايمان ولم يفسد الدين الا الاحبار والرهبان السوء فالى الله المشتكى من نفس اذا ابتلت
وجهل ذا طغى وهوى اذا اعمى اللهم وفقنا للتوحيد الخالص عن شائبة الاهواء واسلك بنا مسلك العمل الصالح
الصواب الذي تحبه وترضاه ونجنا من الشرك وتطوراته في قلوب اهل الآراء وبالله التوفيق وهو المستعان

بَابٌ فِى الآيَاتِ الوَارِدَةِ فِى ذِكْرِ المُشْرِكِيْنَ وَالمُشْرِكَاتِ مِنْ اَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ وَذَمِّ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالىٰ وَبَيَانِ اَنْوَاعِ شِرْكِهِمْ

قال تعالىٰ ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى اليهود ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة هم مشركوا العرب وقيل المجوس وعموم اللفظ هو المعتبر لا خصوص السبب وما هو بمزحزحه من العذاب اى ما التعمير بمبعده عن النار ان يعمر طول عمره والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه خافية من احوالهم وفى الآية دليل على ان حب طول العمر من عادة الكفار والمشركين واما المؤمنون فيحبون لقاء الله تعالىٰ كما فى الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه و

قال تعالىٰ ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون انزال الخير عليهم من الله سبحانه اى خير كان كما يفيده وقوع النكرة فى سياق النفى وتاكيد العموم بدخول من المزيدة عليها وان كان بعض انواع الخير اعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص والله يختص برحمته من يشاء اى رحمة كانت من غير تعيين كما يفيد ذلك الاضافة الى الضمير ه تعالىٰ والله ذو الفضل العظيم وكل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء تفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم بل له الفضل والمنة على خلقه وقال تعالىٰ ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوهن والمراد بالنكاح العقد لا الوطء حتى يؤمن فيه النهى عن نكاح المشركات قيل المراد بها الوثنيات وقيل انها تعم الكتابيات ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم من جهة كونها ذات جمال ومال ونسب اوشرف ولا تنكحوا المشركين اى لا تزوجوا الكفار بالمؤمنات خطاب للاولياء حتى يؤمنوا قال القرطبى اجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه لما فى ذلك من الغضاضة على الاسلام ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الى الاعمال الموجبة لها فكان فى مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين ان يتعرضوا له ويدخلوا فيه والله يدعو الى الجنة والمغفرة اى الاعمال الموجبة للجنة واعظمها اخلاص التوحيد لله تعالىٰ كما ان اعظم الاعمال الموجبة للنار الشرك بالله سبحانه وقال تعالىٰ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق والحكم يعنى الفهم والعلم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى

من دون الله اى هذه المقالة وهو متصف بتلك الصفة وفيه بيان من الله لعباده ان النصارى افتروا
على عيسى عليه السلام ما لا يصح عنه ولا ينبغي ان يقوله ولكن يقول كونوا ربانيين قال المبرد هم ارباب العلم
واحدهم ربانى اى العالم بدين الرب القوى المتمسك بطاعة الله بما كنتم تعلمون الكتاب التشديد يدل
على العلم والتعليم وبما كنتم تدرسون الدراسة مذاكرة العلم دلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة
توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بل ينهى عنه ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون اى لا يقول هذا ولا
يفعله وقد استدل به من قال ان سبب نزول الآية استيذان من استاذن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من
المسلمين فى ان يسجد وله وهذا يرشد الى ان السجود لغير الله نبيا كان او ملكا كفر بعد الاسلام **وقال**
تعالى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اى الخوف والفزع بما اشركوا بالله اى بسبب اشراكهم به تعالى
ما لم ينزل به اى بجعله شريكا له سلطانا حجة وبيانا وبرهانا سميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل
ولوضوحها وانارتها او لحدتها ونفوذها والنفى يتوجه الى القيد والمقيد اى لا حجة ولا انزال والمعنى ان
الاشراك بالله لم يثبت فى شئ من الملل وما وٰهم اى مسكنهم النار بيان لاحوالهم فى الآخرة بعد بيان
احوالهم فى الدنيا وبئس مثوى الظالمين الذى يستقرون فيه وفى جعلها مثويهم بعد جعلها ماوٰهم رمز
الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث والماوى لمكان الذى ياوى اليه الانسان وقدم
الماوى على المثوى لانه على الترتيب الوجودى ياوى ثم يثوى وفى الآية دليل على ان عاقبة الشرك الخلود فى النار
وقال تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم الابتلاء الامتحان والاختبار والمعنى لتمتحن فى اموالكم
بالمصائب وفى الانفاقات الواجبة وسائر التكاليف الشرعية المتعلقة بها والابتلاء فى الانفس بالموت والامراض
وفقد الاحباب وفى القتل فى سبيل الله وفيه تسلية للامة الاسلامية بما سيلقونه من الكفرة الفسقة الفجرة
ليوطنوا انفسهم على الثبات والصبر على المكاره ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هم اليهود والنصارى
وكان المسلمون يسمعون من اليهود عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله وهذه السماعة باقية الى الآن فان
النصارى فى هذا الزمان فى كل مكان يقولون بالوهية المسيح ويهتفون بذلك ويقرعونه فى كتبهم الجديدة التاليف
ويردون على المسلمين توحيدهم لله تعالى وشرائعهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ومن الذين
اشركوا من سائر الطوائف الكفرية من غير اهل الكتاب كالمجوس والهنود والنصيرية والبابية اذى كثيرا

من الطعن فى دينكم واعراضكم وزاد السيوطى والتشبيب بنسائكم قال فى الجمل هو ذكر اوصاف الجمال
وقد استطال المجوس والهنود والنيفرية فى هذا الزمان على المسلمين فحرروا كتبا فى الطعن فى دين الاسلام
والاعراض عن المسلمين ووجد مصداق هذه الآية وان تصبروا وتتقوا الصبر عبارة عن احتمال الاذى و
المكروه والتقوى عن الاحتراز عما لا ينبغى فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور اى معزوماتها لكونها
عزمة من عزمات الله التى اوجب عليهم القيام بها وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا يختص
بكفار اهل الحرب لان اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلثة ولا
خلاف بين المسلمين ان المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التى يفضل الله بها على غير اهل الشرك
حسبما تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء قال ابن جرير قد ابانت هذه الآيات ان صاحب كل كبيرة فى مشيئة الله عز وجل ان
شاء عذبه وان شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرته شركا بالله عز وجل وظاهره ان المغفرة منه سبحانه
تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة وان لم تقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة
بالتوبة وقد قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وهى تدل على انه سبحانه يغفر
سيئات من اجتنب الكبائر فيكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته عن ابن عمر بسند صحيح قال كنا نمسك
عن الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يغفر الآية وقال انى دخرت
دعوتى وشفاعتى لاهل الكبائر من امتى فامسكنا عن كثير مما كان فى انفسنا وعن ابن عباس قال
فى هذه الآية ان الله حرم المغفرة على من مات وهو مشرك كافر وارجى اهل التوحيد الى مشيئته
فلم يؤيسهم عن المغفرة واخرج الترمذى وحسنه عن على رضى الله عنه قال ما فى القرآن احب الى
من هذه الآية وعن جابر قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ومن يشرك
بالله اى يجعل معه شريكا غيره اظهار فى موضع الاضمار لادخال الروع فقد افترى اى اختلق وافتعل
والافتراء كما يطلق على القول حقيقة يطلق على الفعل مجازا صححه التفتازانى اثما عظيما اى ذنبا كبيرا غير مغفور
ان مات عليه فيه دلالة على ان الشرك اعظم من جميع الآثام وانه لا يغفر فى حال من الاحوال اعاذنا الله منه

وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به هذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك لمن يشاء من اهل التوحيد وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من الموحدين فان شاء غفر له وان شاء عذبه وأما من تاب منهم وانقلع عن الذنوب وندم على ما فعله من المعاصى واناب الى الله تعالى فهو مغفور لقوله صلى الله عليه وآله وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالتوبة محاء الذنوب كبيرها وصغيرها ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اى ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه لان الشرك اعظم انواع الضلال وابعدها من الصواب الاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء فى هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه قال السمين ختمت الآية المتقدمة بقوله فقد افترى وهذه بقوله فقد ضل لان الاولى فى شان اهل الكتاب وهم عندهم علم بصحة نبوته وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع ومع ذلك فقد كابروا فى ذلك وافتروا على الله وهذه فى شان قوم مشركين ليس لهم كتاب ولا عندهم علم فناسب وصفهم بالضلال وايضا قد تقدم هنا ذكر الهدى وهو ضد الضلال انتهى وعن الضحاك ان شيخا من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله انى شيخ منهمك فى الذنوب والخطايا الا انى لم اشرك بالله شيئا مذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة على الله ولا مكابرة له وانى لنادم وتائب ومستغفر فما حالى عند الله فانزل الله تعالى هذه الآية اخرجه الترمذى وعن على كرم الله وجهه قال ما فى القرآن آية احب الى من هذه الآية رواه الترمذى وقال حسن غريب **وقال تعالى** ان يدعون من دونه الا اناثا اى اصناما لها اسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة قاله ابى ابن كعب وقيل المراد بالاناث الاموات التى لا روح لها كالخشبة والحجر قاله ابن عباس وقيل المراد الملائكة لقولهم هم بنات الله قلت ولا مانع من الحمل على الجميع والكلام خارج مخرج التوبيخ للمشركين والازراء عليهم والتضعيف لعقولهم لكونهم عبدوا من دون الله نوعا ضعيفا قال الحسن كان لكل حى من احياء العرب صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان فانزل الله هذه الآية وان يدعون الا شيطانا مريدا وهو ابليس لعنة الله لانهم اذا اطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه وتقدم ان الدعاء هو العبادة قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل فى جوفه ويتراأى للسدنة والكهنة ويكلمهم **وقال تعالى** ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها ما فى معنى ذلك قل لا اشهد

اى بها تشهد من به بل اجحد ذلك وانكره وذلك لكون هذه الشهادة باطلة ممتنعة ومثله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل انما هو اله واحد لا شريك له وبذلك اشهد وانى برئ مما تشركون اى من اشراككم بالله تعالى **وقال تعالى** ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الاستفهام للتقريع والتوبيخ للمشركين واضاف الشركاء اليهم لانها لم تكن شركاء لله فى الحقيقة بل لما سموها شركاء اضيفت اليهم وهى ما كانوا يعبدونه من دون الله او مع الله الذين كنتم تزعمون انهم شركاء ووجه التوبيخ ان معبوداتهم غابت عنهم فى تلك الحال وكانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه فكان وجودها كعدمها ثم لم تكن فتنتهم اى معذرتهم قاله ابن عباس او جوابهم وسماه فتنة لانه كذب او حجتهم والفتنة التجربة الا ان قالوا يعنى المنافقين والمشركين قالوا وهم فى النار هلم فلنكذب فلعله ان ينفعنا والله ربنا ما كنا مشركين انتفوا من الشرك وحلفوا على نفيه وجاؤا بالكذب فى تلك الدار ايضا **وقال تعالى** فى قصة ابراهيم عليه السلام فى رؤيته الكواكب فلما افلت اى غابت الشمس وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا قال يا قوم انى برئ مما تشركون اى من الاشياء التى تجعلونها شركاء لله وتعبدونها من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث قال بهذا لما ظهر له ان هذه الاشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر مستدلا على ذلك بافولها الذى هو دليل حدوثها انى وجهت وجهى اى قصدت بعبادتى وتوحيدى الله عز وجل للذى فطر السموات والارض اى خلقهما وابدعهما حنيفا اى مائلا الى الدين الحق وما انا من المشركين به تبرء من الشرك الذى كان عليه قومه وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله اى فى كونه لا شريك له ولا ندا ولا ضدا وقد هدان الى توحيده وانتم تريدون ان اكون مثلكم فى الضلالة والجهالة وعدم الهداية ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى بان يلحقنى شيئا من الضرر بذنب عملته فالامر اليه وذلك منه لا من معبوداتكم الباطلة التى لا تنفع ولا تضر والمعنى على نفى حصول الضرر منهم على كل حال واثبات الضرر والنفع لله سبحانه وسع ربى كل شئ علما افلا تتذكرون ان هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذى خلق السموات والارض وما بينهما وكيف اخاف ما اشركتم به ولا تخافون انكم اشركتم بالله رد عليهم هذا الكلام الالزامى الذى لا يجدون عنه مخلصا ولا متحولا والاستفهام للانكار عليهم والتقريع لهم ما لم ينزل به عليكم سلطانا اى حجة وبرهانا فاى الفريقين احق بالامن من العذاب وعدم الخوف يوم القيامة

الموحد ام المشرك ان كنتم تعلمون بحقيقة الحال وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشبه
الباطلة **وقال تعالى** الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوه به والمراد بالظلم الشرك وقد
فسره بذلك ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسى وابى بن كعب
وابن عباس وجماعة من التابعين رض ويغنى عن الجميع فى تفسير الآية ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث
ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا
اينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان يا بنى
لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم والعجب من صاحب الكشاف حيث يقول فى تفسير هذه الآية وابى
تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدرى ان الصادق المصدوق قد فسرها بهذا واذا جاء نهر الله بطل
نهر معقل وفى زاده على البيضاوى وذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم فى هذه الآية المعصية لا الشرك
بناء على ان خلط احد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان
لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بان يقال كما ان الايمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع
الايمان عندكم لكونه اسما لفعل الطاعات واجتناب المعاصى فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم
انتهى قلت اقول لا استحالة فى اجتماع الشرك بالايمان فى مواضع خاصة الا ترى المشركين من المسلمين عابدى
القبور والهاتفين باهلها الذابحين للاولياء والناذرين لهم فى انجاح الحاجات وقضاء المرادات كيف يشركون
بالله مع اعترافهم بالايمان ونطقهم بكلمة التوحيد وهذا الذى قلت دل عليه قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون اى موحدون فى توحيد الربوبية ومشركون فى توحيد الالوهية اولئك لهم الامن يوم
القيامة من عذاب النار والآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كانت عاقبته الامن من عذاب جهنم وهم مهتدون
الى الحق ثابتون عليه وغيرهم على ضلال **وقال تعالى** وتلك حجتنا اى ما تقدم من الحجج التى اوردها ابراهيم
عليه السلام عليهم آتيناها ابراهيم على قومه اى اعطيناها اياه وارشدناه اليها نرفع درجات من نشاء بالهداية
والعلم والفهم والعقل والفضيلة والارشاد الى الحق وتلقين الحجة او بما هو اعم من ذلك وفيه نقض قول المعتزلة
فى الاصلح قال الضحاك للعلماء درجات كدرجات الشهداء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ابنا لصلبه
ويعقوب ولد الولد كلا هدينا الى سبيل الرشاد وطريق الحق وهو توحيد الله تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن
ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى

وإلياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم
وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا
[illegible] اى لو اشرك هؤلاء المذكورون وهم ثمانية عشر رسولا بعبادة غير الله لحبط عنهم
الحبوط البطلان والذهاب ما كانوا يعملون من الطاعات قبل ذلك لان الله لا يقبل مع الشرك من الاعمال
شيئا وفي هذا تهديد عظيم ونصيحة كريمة لان الشرك اذا احبط اعمال الرسل فما الظن بغيرهم وهذه الآية اخوف
آية لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد ولا بيان بعد بيان الرحمن ولا قرية وراء عبادان وأقول ان المشركين
من المؤمنين فلينظروا الى هذه الآية وليتاملوا فيها وفي سباقها وسياقها كيف سجل الله تعالى على افاضل
عباده بحبط اعمالهم الصالحات وافعالهم الطيبات عند وجود الشرك منهم مع استحالة وقوعه عنهم
فاستدلال بعض الجهلة بان ايراد الآيات الدالة على ذم اهل الشرك في مقابلة المسلمين ليس كما ينبغي
لانها وردت في حق الكفار وهؤلاء مؤمنون مردود عليه بنص هذه الآية الشريفة فان الاخبار فيها عن
رسله سبحانه خاصة دون غيرهم من اهل الكفر والشرك ومن هو افضل منهم في قوة الايمان وصحة الاسلام
ثم القاعدة التي اجمع عليها اهل الاصول من الفحول هي ان العبرة بعموم المباني لا بخصوص المعاني وهذه ترشدك
الى ان الاحتجاج من اهل التوحيد على اهل الشرك بتلك الآيات الناعية على المشركين صحيح واقع في محله لا انتشار
عليه ولا غبار فيه وانما يعرج على مثل هذه الشبه الضعيفة من لا عقل له ولا سمع ولا يستحق الخطاب ولا
الجواب قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن هذا نوع من جهالاتهم وضلالاتهم انهم جعلوا الجن شركاء لله
سبحانه وعبدوهم كما عبدوه وعظموهم كما عظموه قال الحسن اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وقال الزجاج
فيما سولت لهم من شركهم وقيل المراد بالجن هنا الملائكة وقيل نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى
وابليس اخوان ويقرب من هذا قول المجوس ان للعالم صانعين هما الرب والشيطان وهكذا القائلون ان
كل خير من النور وكل شر من الظلمة وهم المانوية اتباع ماني المصور المتنبي وخلقهم وهذا كالدليل القاطع
على ان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شريكا له في ملكه و
خرقوا له بنين وبنات بغير علم اى شقوا له هذه لان المشركين ادعوا ان الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا
ان المسيح ابن الله واليهود ادعوا ان عزيرا ابن الله وكثر ذلك منهم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه من مخلوقاته

خافية وقال تعالى واعرض عن المشركين هذا قبل نزول آية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ولو شاء الله عدم اشراكهم ما اشركوا فيه ان الشرك بمشيئة الله سبحانه خلافا للمعتزلة والكلام في تقرير هذا
على الوجه الذي يتعارف به علماء الكلام والميزان معروف لا فائدة في ايراده ههنا قال ابن عباس يقول الله لو شئت
لجمعتهم على الهدى اجمعين وقال تعالى سيقول الذين اشركوا وقد وقع مقتضاه كما حكى عنهم سبحانه
في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا الخ لو شاء الله عدم شركهم وعدم تحريمهم ما اشركنا
ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ظنوا ان هذا القول يخلصهم عن الحجة التي الزمهم بها رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم وان ما فعلوه حق ولو لم يكن حقا لارسل الله الى ابائهم الذين ماتوا على الشرك وعلى تحريم ما لم يحرمه
الله رسلا يامرونهم بترك الشرك وبترك التحريم كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا وقد تمسك
القدرية والمعتزلة بهذه الآية ولا دليل لهم في ذلك على مذهب الجبر والاعتزال لان امر الله بمعزل عن
مشيئته وارادته ولا يلزم من ثبوت المشيئة دفع دعوة الانبياء عليهم السلام قل هل عندكم من علم اى دليل
صحيح يعد من العلم النافع وحجة وكتاب يوجب اليقين بان الله راض بذلك فتخرجوه لنا للنظر فيه ونتدبره و
المقصود من هذا تبكيتهم لانه قد علم انه لا علم عندهم يصلح للحجة ويقوم به البرهان ثم اوضح لهم انهم ليسوا على
شيء من العلم فقال ان تتبعون الا الظن الذي هو محل الخطاء ومكان الجهل وان انتم الا تخرصون اى تتوهمون
مجرد توهم فقط كما يتوهم الخارص وتقولون على الله الباطل قل فلله الحجة البالغة على الناس اي التي تنقطع
عندها معاذيرهم وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم والمراد بها الكتب المنزلة والرسل المرسلة وما جاؤا
به من المعجزات قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله واشرك به على الله بل له الحجة التامة على عباده فلو شاء
لهداكم اجمعين ولكنه لم يشأ ذلك ومثله قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
ومثله كثير فالمنتفي في الخارج مشيئته هداية الكل والا فقد هدى بعضهم وعن ابن عباس انه قيل له ان
ناسا يقولون ليس الشر بقدر فقال ابن عباس بيننا وبين اهل القدر هذه الآية والعجز والكيس من القدر
وقال علي بن زيد انقطعت حجة القدرية عند هذه الآية قل فلله الحجة الى قوله اجمعين وقال تعالى
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا هذا نص ظاهر على تحريم الشرك وفي آخر هذه الآية
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون وقال تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم هو ملة ابراهيم عليه
السلام دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا مائلا الى الحق وفي القاموس الحنيف كامير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت

علیه وکل من حج اوکان علیٰ دین ابراهیم وماکان من المشرکین قل ان صلاتی ونسکی ومحیای ومماتی لله رب العالمین لاشریک له فی العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله لایشارکه فیها احد من خلقه وبذلک امرت وانا اول المسلمین ای المنقادین من هذه الامة قل غیر الله ابغی ربا وهو رب کل شیٔ فیه توحید الربوبیة **قال تعالیٰ** انما حرم ربی الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغی بغیر الحق وان تشرکوا بالله مالم ینزل به سلطانا ای وان تجعلوا لله شریکا لم ینزل علیکم به حجة وتسووا به فی العبادة والمراد التهکم بالمشرکین لان الله لاینزل برهانا بان یکون غیره شریکا له **وقال تعالیٰ** فلما اتاهما صالحا ای ما طلباه من الولد الصالح واجاب دعاءهما جعلا له شرکاء فیما اتاهما قال کثیر من المفسرین انه جاء ابلیس الیٰ حواء وقال لها ان ولدت ولدا فسمیه باسمی فقالت وما اسمک قال الحارث لو سمی لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث فکان هذا شرکا فی التسمیة ولم یکن شرکا فی العبادة وقد روی هذا بطرق والفاظ عن جماعة من الصحابة ومن بعدهم ویدل له حدیث سمرة عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابلیس وکان لایعیش لها ولد فقال سمیه عبد الحارث فانه یعیش فسمته عبد الحارث فعاش فکان ذلک من وحی الشیطان وامره اخرجه احمد والترمذی وحسنه ابو یعلی وابن جریر وابن ابی حاتم والرویانی وابو الشیخ والحاکم وصححه وابن مردویه وفیه دلیل علیٰ ان الجاعل شرکا فیما اتاهما هو حواء دون آدم علیه السلام وقوله تعالیٰ جعلا بصیغة التثنیة لاینافی ذلک لانه قد یسند فعل الواحد الی اثنین بل الیٰ جماعة وهو شائع فی کلام العرب وفی الکتاب العزیز من ذلک الکثیر الطیب تصدی لبیانه صاحب تفسیر فتح البیان فی مقاصد القرآن فراجعه فتعالی الله عما یشرکون ایشرکون مالایخلق شیئا ولا یقدر علیٰ نفع لهم ولا دفع ضر عنهم وهم یخلقون الضمیر راجع الی الشرکاء ای وهؤلاء الذین جعلوهم شرکاء من الاصنام والشیاطین مخلوقون وجمعهم جمع العقلاء لاعتقاد من جعلهم شرکاء انهم کذلک ولایستطیعون لهم ای لمن جعلهم شرکاء نصرا ان طلبوه منهم ولا انفسهم ینصرون ان حصل علیهم شیٔ من جهة غیرهم ومن عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غیره اعجز وان تدعوهم الی الهدی لایتبعوکم سواء علیکم ادعوتموهم ام انتم صامتون ای دعاءکم لهم عند الشدائد وعدمه سواء لافرق بینهما لانهم لاینفعون ولایضرون ولایسمعون ولایجیبون **وقال تعالیٰ** ان الذین تدعون من دون الله عباد امثالکم اخبرهم سبحانه بان هؤلاء الذین جعلتموهم آلهة هم عباد الله کما انتم عباد له

مع انكم اكمل منهم لانكم احياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون وهذه الاصنام ليست كذلك ولكنها امثالكم في كونها مملوكة لله مسخرة لامره وهذا تقريع لهم بالغ وتوبيخ لهم عظيم قال مقاتل انهم الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدونها والاول اولى وانما وصفها بانها عباد مع انها جمادات تنزيلا لها منزلة العقلاء على وفق معتقدهم ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم وهذا اللفظ ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين ان كنتم صادقين فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضر وانها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها الاستفهام للتقريع والتوبيخ اي هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم فضلا عن ان يكونوا قادرين على ما تطلبونه منهم فانكم كما ترون هذه الاصنام التي تعكفون على عبادتها ليست لهم ارجل يمشون بها الى نفع انفسهم فضلا عن ان يمشوا في نفعكم وليس لهم ايد يبطشون بها كما يبطش غيرهم من الاحياء وليس لهم اعين يبصرون بها كما تبصرون وليس لهم آذان يسمعون بها كما تسمعون فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الادوات وبهذه المنزلة من العجز وما احسن ما قيل ؎

كافران از بت بيجان چه تمتع دارید	بارے آن بت بپرستید كه جانے دارد

قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وليس بعد هذا التحدي لهم والتعجيز لاصنامهم شيء **وقال تعالى** والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون فيه اهانة للمشركين و التنقص بهم واظهار سخف عقولهم وركاكة احلامهم **وقال سبحانه** يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس اي ذوو نجاسة لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجاسة ووصفهم بذلك حتى كانهم عين النجاسة والقذر بخبث باطنهم مبالغة في وصفهم قال ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وقال قتادة ومعمر وغيرهما وصفوا بذلك لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم قيل المراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من اصناف الكفار وقيل بل جميع اصنافهم من اليهود والنصارى وغيرهم قال بعض الظاهرية ان المشرك نجس الذات استدلالا بهذه الآية وروي عن الحسن وابن عباس وابن صالح من مس مشركا فليتوضأ وذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم اهل المذاهب الاربعة الى ان الكافر ليس بنجس الذات لان الله سبحانه احل طعامهم وثبت عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من فعله وقوله ما يفيد عدم نجاسة ذواتهم فاكل في آنيتهم وشرب منها وتوضأ فيها وانزلهم في مسجده وهو الحق فلا يقربوا المسجد الحرام نهوا عن الاقتراب للمبالغة في المنع من دخول الحرم وهذا النهي راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك قاله ابو السعود فهو من باب قولهم لا ارينك ههنا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم او المسجد نفسه واما غيره من المساجد فذهب اهل المدينة الى منع كل مشرك عن كل مسجد وقال الشافعي لا يمنع من دخول غير المسجد الحرام وهذا اولى والحاصل ان بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة انواع احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الآية وبه قال مالك والشافعي واحمد الثاني الحجاز وحده ما بين يمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام للاحاديث صحيحة في هذا الباب منها ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن قدم منهم تاجرا ثلاثة ايام وجزيرة العرب من اقصى عدن الى ريف العراق في الطول واما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام والثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة لكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم لحاجة بعد عامهم هذا اي سنة تسع او سنة عشر **وقال تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي على سائر الاديان وهو ان لا يعبد الله الا به فلا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهره المسلمون وظهروا عليه في بعض المواضع وان لم يكن كذلك في جميع المواضع فقهروا اليهود واخرجوهم من جزيرة العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند وكذلك سائر الاديان فثبت ان الذي اخبر الله عنه في هذه الآية قد وقع وحصل ولله الحمد وبقي الى سنة ستمائة من الهجرة النبوية وكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان معجزا واما اليوم فقد غلب النصارى على المسلمين وعلى كل قوم وملك وهذا من اشراط الساعة الكبرى وهي كلها خبر عن المغيب فكانت معجزة ايضا وسيجعل الله بعد عسر يسرا وقيل ذلك الظهور يكون عند نزول عيسى وخروج المهدي فلا يبقى اهل دين الا دخلوا

بلاد الاسلام في حق الكفار على انواع

حد جزيرة العرب

فى الاسلام ويدل له بعض الاحاديث منها حديث ابى هريرة يرفعه وتهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
والكلام على هذا يطول جداً وفى فتح البيان ما فيه مقنع وبلاغ ولو كره المشركون اى ابى الله الا ان يتم نوره
ويعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله ولو كره ذلك اهل الشرك وجواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه **وقال سبحانه** وقاتلوا المشركين كافة فيه ان عموم الاشخاص يستلزم
عموم الاحوال والازمنة والبقاع كما يقاتلونكم كافة فيه دليل على وجوب قتال المشركين وانه
فرض على الاعيان ان لم يقم به بعضهم واعلموا ان الله مع المتقين اى ينصرهم ويثبتهم ومن كان
الله معه فهو الغالب **وقال تعالى** ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية
الى موضع واحد والمعنى انذرهم يوم نحشرهم لموقف الحساب ثم نقول للذين اشركوا تقريعا لهم على رؤس
الاشهاد وتوبيخا لهم مع حضور من يشاركهم فى العبادة وحضور معبوداتهم مكانكم انتم وشركاؤكم
فزيلنا اى فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود عمن عبده
وقال شركاؤهم الذين عبدوهم وجعلوهم شركاء لله سبحانه ما كنتم ايانا تعبدون فى الحقيقة و
نفس الامر وانما عبدتم هواكم وضلالكم وشياطينكم الذين اغووكم لانها الآمرة لكم بالاشراك على حد قوله
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وهذا الجحد من الشركاء وان كان مخالفا لما قد وقع من المشركين من
عبادتهم معناه انكار عبادتهم اياهم عن امرهم لهم بالعبادة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا
عن عبادتكم لغافلين القائل لهذا الكلام هم المعبودون قالوا لمن عبدهم من المشركين والمراد بالغفلة
هنا عدم الرضاء بما فعله المشركون من العبادة لهم او عدم علمهم بها او كل من الامرين وفى هذا دليل على
ان هؤلاء المعبودين غير الشياطين لانهم يرضون بما فعل المشركون من عبادتهم **وقال تعالى**
قل للمشركين احتجاجا لحقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك من يرزقكم من السماء بالمطر
والارض بالنبات والمعادن فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية امن يملك
السمع والابصار خصهما لما فيهما من الصنعة العجيبة والخلقة الغريبة حتى ينتفعوا بهما هذا الانتفاع
العظيم ويحصلون بهما من الفوائد ما لا يدخل تحت حصر الحاصرين ومن يخرج الحى من الميت اى الانسان
من النطفة والطير من البيضة والنبات من الحبة او المؤمن من الكافر والاول اقرب الى الحقيقة
ويخرج الميت من الحى اى النطفة من الانسان او الكافر من صاحب الايمان او البيضة من الطائر

ومن يدبر الامر بين الخلائق اى يقدره ويقضيه فسيقولون الله اى سيكون قولهم فى جواب هذه الاستفهامات الخمس ان الفاعل لهذه الامور هو الله سبحانه ان انصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم فقل افلا تتقون وتفعلون ما يوجبه هذا العلم من تقوى الله الذى يفعل هذه الافعال وتعبدون هذه الاموات والاصنام التى لا تقدر على شئ من هذه الامور بل ولا تعلم به **وقال تعالى** قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده اى التى تزعمون انها آلهة هل منهم من يقدر على ان ينشئ الخلق من العدم على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت فى القيامة كهيئته اول مرة للجزاء قال ابو السعود هذا احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل عن استحقاق الالوهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق الى قوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ولم يكن ذلك عن بصيرة اى ظن من ظن من سلفهم ان هذه المعبودات تقربهم الى الله وانها تشفع لهم ولم يكن ظنه هذا المستند قط بل مجرد خيال مختل وحدس باطل فقلد وافيه اباءهم ولعل تنكير الظن هنا للتحقير ان الظن لا يغنى من الحق شيئا **وقال تعالى** وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون الخرص التخمين والتقدير ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته فى مثله **وقال تعالى** ولا تكونن من المشركين خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين فيه النهى عن عبادة غير الله وان غيره تعالى لا يقدر على ايصال النفع ودفع الضرر وان الشرك ظلم والمشرك من الظالمين **وقال تعالى** ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله وحده لا شريك له واجتنبوا الطاغوت اى اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم و كل من دعى الى الضلال كان من كان وفى اى مكان وزمان كان وفى هذه الآية التصريح بان الله امر جميع عباده بعبادته واجتناب عبادة الشيطان واطاعة كل من يدعو الى الضلال من نوع الانسان **وقال تعالى** ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين هم قوم يعبدون النجوم وقيل هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع الى ملة من الملل المنتسبة الى الانبياء والنصارى والمجوس هم الذين يعبدون النار ويقولون ان للعالم اصلين النور والظلمة و قيل هم يعبدون الشمس والقمر وقيل هم يستعملون النجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا

ولبسوا المسوح وقيل انهم اخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى والذين اشركوا الذين يعبدون الاصنام ان الله يفصل بينهم يوم القيامة الفصل هو ان يميز المحق من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منها **وقال تعالى** واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقد رفع البيت الى السماء ايام الطوفان فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بى شيئا اى اوحينا اليه ان لا تعبد غيرى قال المبرد كانه قيل له وحدنى فى هذا البيت وقيل خطاب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ضعيف جدا **وقال سبحانه** يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله هم الاصنام التى كانت حول الكعبة وغيرها وقيل المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله لكونهم اهل الحل والعقد فيهم وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله و الاول وفق بالمقام واظهر فى التمثيل ويصح العموم لن يخلقوا ذبابا لن لتاكيد النفى فى المستقبل و تاكيده هنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل وتخصيص الذباب لمهانته واستقذاره مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو اجهل الحيوانات لانه يرمى نفسه فى المهلكات ولو اجتمعوا له اى ان اجتمعت الاصنام فهى لا تقدر على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودة وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اى ان اخذ واختطف منهم هذا الخلق الاقل الارذل شيئا من الاشياء بسرعة لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عجزهم وفرط ضعفهم واذا عجزوا عن هذا فهم عن غيره مما هو اكبر منه جرما واشد منه قوة اعجز واضعف ضعف الطالب والمطلوب الصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب او يطلب استنقاذ ما سلبه منه والمطلوب الذباب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب فى الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم وقال ابن عباس الطالب الهتهم والمطلوب الذباب ثم بين سبحانه ان المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة عاجزة الى هذه الغاية فى العجز ما عرفوا الله حق معرفته فقال ما قدروا الله حق قدره حيث جعلوا هذه الاصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ان الله لقوى عزيز لا يغالبه احد بخلاف آلهة المشركين فانها جماد لا يعقل ولا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شئ **وقال تعالى** الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك يعنى ان الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والزانية لا يرغب فيها الصلحاء قال ابن عباس ليس هذا بالنكاح ولكن

الجماع لايزنى بها حين تزنى الا زان اومشرك وحرم ذلك على المؤمنين اى الزنا اونكاح الزوانى لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والطعن فى النسب وفى التسبب لسوء المقالة وغير ذلك من المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة البغايا والقحاب والمشركات بالله فعلى المؤمن ان لايدخل نفسه تحت هذه الآية ويتصونن عنها وفى الآية اشارة الى ذم الشرك والى ان اهله لاينبغى النكاح بهم والمصاهرة معهم **وقال تعالى** فى حق الصحابة الذين هم سلف هذه الامة وائمتها يعبدوننى لايشركون بى شيئا اى غير مشركين بى فى العبادة شيئا من الاشياء وقيل معناها لايراؤن بعبادتى احدا والرياء شرك وقيل لايخافون احدا غيرى قاله ابن عباس وقيل لايحبون غيرى ولامانع من الحمل على الجميع **وقال تعالى** وادع الى ربك اى الى الله والى توحيده والعمل بفرائضه واجتناب معاصيه ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فى جميع احوالكم فى الدنيا وعند البعث ليجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته لا الى غيره سبحانه وتعالى **وقال تعالى** وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم اى ان طلبا وارادا منك الشرك بالله فى شئ من الاشياء والزماك ان تشرك بى الها ليس لك علم بكونه الها فلا تطعهما فى الاشراك واذا لم يجز طاعة الابوين فى هذا المطلب مع المجاهدة منهما له فعدم جوازها مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما اولى ويلحق بطلب الشرك منهما سائر معاصى الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق **وقال تعالى** ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال الفراء والزجاج المبلس الساكت المنقطع فى حجته اليائس ان يهتدى اليها ولم يكن لهم اى للمشركين من شركائهم الذين عبدوهم من دون الله واشركوهم وهم الاصنام ليشفعوا لهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله وكانوا فى ذلك الوقت بشركائهم اى بآلهتهم الذين جعلوهم شركاء لله كافرين اى جاحدين لكونهم آلهة لانهم علموا اذ ذاك انهم لاينفعون ولايضرون **وقال تعالى** واقيموا الصلوة ولاتكونوا من المشركين بالله اى ممن يشرك به غيره فى العبادة **وقال تعالى** ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون تعجيب من احوالهم وما صاروا اليه من الاعتراف بوحدانية الله سبحانه عند نزول الشدائد والرجوع الى الشرك عند دفع ذلك عنهم **وقال سبحانه وتعالى** واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم نهاه ان يقع منه اشراك فى المستقبل وبدأ فى وعظه بنهيه عن الشرك لانه اهم من غيره وانما كان ظلما عظيما لانه تسوية بين من لانعمة الا

وهو منه وبين من لا نعمة له اصلا **وقال تعالى** وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اى لا علم لك بشركته ولا مفهوم لهذا القيد اذ ليس لله شريك يعلم لانه مستحيل فلا تطعهما وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى فى ركوب كبيرة ولا ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما فى المباحات **وقال تعالى** ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين و المؤمنات فيه تسجيل لعذاب اهل النفاق والشرك وقبول لتوبة اهل الايمان وهذا يرشدك الى ذم الشرك وثناء التوحيد **وقال تعالى** قل ارءيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله وهم الاصنام وغيرها اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا وذلك قولهم ان هذه الالهة تنفعهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده وقيل غير ذلك **وقال سبحانه وتعالى** ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك من الرسل الكرام لئن اشركت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرضا ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين قال مقاتل اى اوحى اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد و التوحيد مقدر ثم قال لئن اشركت وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وفى الاية من التخويف ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه لان هذا الخطاب اذا كان لسيد المرسلين و افضل النبيين ومن ارسله الله رحمة للعالمين فكيف بمن عداه من الناس اجمعين اذا وقع منهم الاشراك بالله رب العالمين قيل هذا خاص بالانبياء عليهم السلام لان الشرك منهم اعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول اولى قال فى فتح البيان هذه الاية مقيدة بالموت على الشرك كما فى الاية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم بل الله فاعبد فى هذا رد على المشركين ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر وكن من الشاكرين لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد و الدعاء الى دينه **وقال تعالى** ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار فيه ان الشرك موجب لدخول النار وان التوحيد موصل الى النجاة **وقال تعالى** ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله وهى الاصنام والاوثان وغيرها قالوا ضلوا عنا اى ذهبوا وغابوا وفقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ليس هذا انكارا منهم لوجود الالهة الباطلة التى كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كذلك يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التى اوصلتهم الى النار **وقال تعالى** ويعذب المنافقين و المنافقات والمشركين والمشركات الظانين

بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا فيه بيان ما على اهل النفاق واهل الشرك من سخط الله وعقابه ولعنه وطرده واعداد النار لهم وسوء مصيرهم وان ذلك مرتب على الاشراك **وقال تعالى** قل انما ادعوا ربى ولا اشرك به فى العبادة احدا قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لان الضار والنافع هو الله وحده لا شريك له ووقوع النكرتين فى سياق النفى يعم كل ضر وكل رشد فى الدنيا والآخرة قل انى لن يجيرنى من الله احد اى لا يدفع عنى احد عذابه ان انزله بى كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عن شؤن غيره ولن اجد من دونه ملتحدا اى ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحترز به وفى هذه الآية دلالة واضحة على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكر كونه نافعا وضارا لاحد وانه لا مجير ولا ملتحد الا الله وحده فما ظنك ايها الانسان بغيره من الاولياء والمقبورين **وقال تعالى** ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية المراد بالخلود الدوام الابدى الذى لا ينقطع دون المكث الطويل كما سبق الى ذلك ذهن بعض السلف والخلف وظاهر الآية العموم وفى الآية ايضا تنبيه على ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد **وقال تعالى** قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين هذه السورة مكية وقيل مدنية وفى الحديث المرفوع انها تعدل ربع القرآن اخرجه الطبرانى عن ابن عمرو وورد انها براءة من الشرك اخرجه احمد واهل السنن عن نوفل بن معاوية مرفوعا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ادلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤن قل يا ايها الكافرون عند منامكم اخرجه ابو يعلى والطبرانى وفى الباب روايات وسبب نزول هذه السورة ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة فامره الله ان يقول لهم ذلك وال للجنس والمعنى لا افعل فى الحال ما تطلبون منى من عبادة ما تعبدون من الاصنام وقال ابن القيم المقصود بقوله لا اعبد ما تعبدون المعبود لا العبادة ومعنى ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى قال ابن القيم فى بدائع الفوائد اشتمال هذه على النفى المحض خاصة هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء فى وصفها فمقصودها الاعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين ولهذا اتى بالنفى فى الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة هذا مع

انها متضمنة للاثبات صريحا فقوله لا اعبد ما تعبدون براءة محضة ولا انتم عابدون ما اعبد
اثبات ان له معبودا يعبده وانهم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والاثبات فطابقت قول امام
الحنفاء انني بريء مما تعبدون الا الذي فطرني وطابقت قول الفئة الموحدين واذا اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بهما وبقل هو الله احد في سنة الفجر وسنة
المغرب فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة لعبد ولا فلاح
الا بهما وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفو والولد والوالد وانه اله
واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والثاني توحيد القصد والارادة وهو ان لا يعبد الا اياه
فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا التوحيد انتهى قلت
وكما قد ختمت باب الآيات الدالة على التوحيد على سورة قل هو الله احد وسورة الناس كما سبق على هذا الباب
المشتمل على الآيات الدالة على بيان الشرك وذمه قد ختمته على سورة قل يا ايها الكافرون فالحمد لله على
تمام الامر على اخلاص توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ونفي الشرك بالله فيهما اللهم احينا مسلمين و
توفنا مسلمين واحشرنا في زمرة الموحدين المتبعين آمين والذي تحصل من هذه الآيات هو ان الايمان
بان العبادة حق الله تعالى على عباده واجب محتم وفرض لازب لانه منعم عليهم مجازي لهم بالارادة قال في
حجة الله البالغة ان من اعظم انواع البر ان يعتقد الانسان بمجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد
عنده ان العبادة حق الله تعالى على عباده وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى بمنزلة سائر ما يطالبه ذوو الحقوق
من حقوقهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على
الله قال معاذ الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا
يعذب من لا يشرك به شيئا وذلك لان من لم يعتقد ذلك اعتقادا جازما واحتمل عنده ان يكون سدى مهملا لا
يطالب بالعبادة ولا يؤاخذ بها من جهة رب مريد مختار كان دهريا لا تقع عبادته وان باشرها بجوارحه موقع
من قلبه ولا تفتح بابا بينه وبين ربه وكانت عادة كسائر عاداته والاصل في ذلك انه قد ثبت في معارف الانبياء
وورثتهم ان موطنا من مواطن الجبروت فيه ارادة وقصد بمعنى الاجماع على فعل مع صحة الفعل والترك بالنظر
الى هذا الموطن وان كانت المصلحة الفوقانية لا تبقى ولا تذر شيئا الا اوجب وجوده او اوجب عدمه لا وجود
للحالة المنتظرة بحسب ذلك ولا عبرة بقوم يسمون الحكماء يزعمون ان الارادة بهذا المعنى فقد حفظوا شيئا

وغابت عنهم اشياء وهم محجوبون عن مشاهدة هذا الموطن محجوجون بادلة الآفاق والانفس اما حجابهم فهو
انهم لم يهتدوا الى موطن بين التجلى الاعظم وبين الملأ الاعلى شبيه بالشبح القائم بالجوهرة ولله المثل الاعلى
ففى هذا الموطن يتمثل اجماع على شئ استوجبه علوم الملأ الاعلى وهيأتهم بعدما كان مستوى الفعل والترك فى هذا
الموطن واما الحجة عليهم فهى ان الواحد منا يعلم بداهة انه يمد يده ويتناول القلم مثلا وهو فى ذلك مريد قاصد
يستوى بالنسبة اليه الفعل والترك بحسب هذا القصد وبحسب هذه القوى المنتشئة فى نفسه وان كان كل شئ بحسب
المصلحة الفوقانية اما واجب الفعل او واجب الترك فكذلك الحال فى كل ما يستوجبه استعداد خاص فينزل من
بارئ الصور ونزول الصور على المواد المستعدة لها كالاستجابة عقيب الدعاء مما فيه دخل لمتجدد حادث بوجه من
الوجوه ولعلك تقول هذا جهل بوجوب الشئ بحسب المصلحة الفوقانية فكيف يكون فى موطن من مواطن الحق
فاقول حاش لله بل هو علم وايفاء لحق هذا الموطن انما الجهل ان يقال ليس بواجب اصلا وقد نفت الشرائع الالهية
هذا الجهل حيث اثبتت الايمان بالقدر وان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك واما اذا
قيل يصح فعله وتركه بحسب هذا الموطن فهو علم حق لا محالة كما انك اذا رأيت الفحل من البهائم يفعل الافعال
الفحلية ورأيت الانثى تفعل افعال الانثوية فان حكمت بان هذه الافعال صادرة جبرا كحركة الحجر فى تدحرجه
كذبت وان حكمت بانها صادرة من غير علة موجبة لها فلا المزاج الفحلى يوجب هذا الباب ولا المزاج الانثوى
يوجب ذلك كذبت وان حكمت بان الارادة المنتشئة فى انفسها تحكى وجوبا فوقانيا وتعتمد عليه وانها لا تفور
فورانا استقلاليا كان ليس وراء ذلك مرمى فقد كذبت بل الحق اليقين امر بين الامرين وهو ان الاختيار
معلول لا يتخلف عن علله والفعل المراد توجبه العلل ولا يمكن ان لا يكون ولكن هذا الاختيار من شانه ان
يبتهج بالنظر الى نفسه ولا ينظر الى ما فوق ذلك فان اديت حق هذا الموطن قلت اجد فى نفسى ان الفعل و
الترك كانا مستويين وانى اخترت الفعل فكان الاختيار علة لفعله صدقت وبررت فاخبرت الشرائع الالهية عن
هذه الارادة المنتشئة فى هذا الموطن وبالجملة فقد ثبتت ارادة يتجدد تعلقها وثبتت المجازاة فى الدنيا
والآخرة وثبت ان مدبر العالم دبر العالم بايجاب شريعة يسلكونها لينتفعوا بها فكان الامر شبيها بان السيد
استخدم عبيده وطلب منهم ذلك ورضى عمن خدم وسخط على من لم يخدم فنزلت الشرائع الالهية بهذه
العبارة لما ذكرنا ان الشرائع تنزل فى الصفات وغيرها بعبارة ليس هنالك افصح ولا ابين للحق منها اكانت
حقيقة لغوية او مجازا متعارفا ثم مكنت الشرائع الالهية هذه المعرفة الغامضة من نفوسهم بشد مقامات

مسلمة عندهم جارية مجرى المشهورات البديهية بينهم احدها انه تعالى منعم وشكر المنعم واجب فى العبادة شكر له على نعمه والثانى انه يجازى المعرضين عنه التاركين لعبادته فى الدنيا اشد الجزاء الثالث انه يجازى فى الآخرة المطيعين والعاصين فانبسطت من هنالك ثلثة علوم علم التذكير بآلاء الله وعلم التذكير بايام الله وعلم التذكير بالمعاد فنزل القرآن العظيم شرحا لهذه العلوم وانما عظمت العناية بشرح هذه العلوم لان الانسان خلق فى اصل فطرته ميل الى بارئه جل مجده وذلك الميل امر دقيق لا يتشبح الا بخليقته ومظنته وخليقته ومظنته على ما اثبته الوجدان الصحيح الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده لانه منعم لهم مجازٍ على اعمالهم فمن انكر الارادة اوثبوت حقه على العباد او انكر المجازاة فهو الدهرى لفاقد سلامة فطرته لانه افسد على نفسه مظنة الميل الفطرى المودع فى جبلته ونائبه وخليفته والمأخوذ مكانه وان شئت ان تعلم حقيقة هذا الميل فاعلم ان فى روح الانسان لطيفة نورانية تميل بطبعها الى الله عز وجل ميل الحديد الى المغناطيس وهذا امر مدرك بالوجدان فكل من امعن فى الفحص عن لطائف نفسه وعرف كل لطيفة بحالها لا بد ان يدرك هذه اللطيفة النورانية ويدرك ميلها بطبعها الى الله تعالى ويسمى ذلك الميل عند اهل الوجدان بالمحبة الذاتية مثله كمثل سائر الوجدانيات لا يقتنص بالبراهين كجوع هذا الجائع وعطش هذا العطشان فاذا كان الانسان فى غاشية من احكام لطائفه السفلية كان بمنزلة من استعمل مخدرا فى جسده فلم يحس بالحرارة والبرودة فاذا اهدأت لطائفه السفلية عن المزاحمة اما بموت اضطرارى يوجب تأثر كثير من اجزاء نسمته ونقصان كثير من خواصها وقواها او بموت اختيارى وتمسك حيل عجيبة من الرياضات النفسانية والبدنية كان كمن زال المخدر عنه فادرك ما كان عنده وهو لا يشعر فاذا مات الانسان وهو غير مقبل على الله تعالى فان كان عدم اقباله جهلا بسيطا وفقدا ساذجا فهو شقى بحسب الكمال النوعى وقد يكشف عليه بعض ما هنالك ولا يتم الانكشاف لفقد استعداده فيبقى حائرا مبهوتا وان كان ذلك مع قيام هيئة مضادة فى قواه العلمية او العملية كان فيه تجاذب فانجذبت النفس الناطقة الى صقع الجبروت والنسمة بما كسبت من الهيئة المضادة الى السفل فكانت فيه وحشة ساطعة من جوهر النفس منبسطة على جوهرها وربما اوجب ذلك تمثل واقعات هى اشباح الوحشة كما يرى الصفراوى فى منامه النيران والشعل وهذا اصل توجيه حكمة معرفة النفس وكان ايضا فيه تحديق غضب من الملأ الاعلى يوجب الهامات فى قلوب الملائكة وغيرها من ذوات الاختيار ان تعذبه وتؤلمه

وهذا الاصل توجيه معرفة اسباب الخطرات والدواعى الناشئة فى نفوس بنى آدم وبالجملة فالميل الى صقع الجبروت ووجوب العمل بما يناسبه وتأثره من مزاحمة اللطائف السفلية والمؤاخذة على ترك هذا العمل بمنزلة احكام الصورة النوعية وقواها وآثارها الفائضة فى كل فرد من افراد النوع من بارى الصور ومفيض الوجود وفق المصلحة الكلية لا باصطلاح البشر والتزامهم على انفسهم وجريان رسومهم بذلك فقط وكل هذه الاعمال فى الحقيقة حق هذه اللطيفة النورانية المنجذبة الى الله تعالى وتوفير مقتضاها واصلاح عوجها ولما كان هذا المعنى دقيقا وهذه اللطيفة لا تدركها الا شرذمة قليلة وجب ان ينسب الحق الى ما اليه مالت واياه قصدت ونحوه انتحت كان ذلك تعيينا لبعض قوى النفس التى مالت منجهة و كان ذلك اختصار قولنا حق هذه اللطيفة من جهة ميلها الى الله فنزلت الشرائع الالهية كاشفة عن هذا السر بعبارة سهلة يفهمها البشر بعلومهم الفطرية ويعطيها سنة الله من انزال المعانى الدقيقة فى صور مناسبة لها بحسب النشأة المثالية كما يتلقى واحد منا فى منامه معنى مجردا فى صورة شئ ملازم له فى العادة او نظيره وشبهه فقيل العبادة حق الله تعالى على عباده وعلى هذا ينبغى ان يقاس حق القرآن و حق الرسول وحق المولى وحق الوالدين وحق الارحام فكذلك حق نفسه على نفسه لتكمل كمالها ولا تقترف على نفسها جورا ولكن ننسب الحق الى من معه هذه المعاملة ومنه المطالبة فلا تكن من الواقفين على الظواهر بل من المحققين للامر على ما هو عليه **واما حقيقة الشرك** فبيانها ان العبادة هو التذلل الاقصى وكون تذلل اقصى من غيره لا يخلو اما ان يكون بالصورة مثل كون هذا قياما وذلك سجودا او بالنية بان نوى بهذا الفعل تعظيم العباد لمولاهم وبذلك تعظيم الرعية للملوك او التلامذة للاستاذ لا ثالث لهما ولما ثبت سجود التحية من الملائكة لآدم عليه السلام ومن اخوة يوسف ليوسف عليه السلام وان السجود على صورة التعظيم وجب ان لا يكون التميز الا بالنية لكن الامر الى الآن غير منقح اذ المولى مثلا يطلق على معان والمراد ههنا المعبود لا محالة فقد اخذ فى حد العبادة فالتنقيح ان التذلل يستدعى ملاحظة ضعف فى الذليل وقوة فى الآخر وخسة فى الذليل وشرف فى الآخر وانقياد واذعان فى الذليل وتسخير ونفاذ حكم للآخر والانسان اذا خلى ونفسه ادرك لا محالة انه يقدر للقوة والشرف والتسخير وما اشبهها مما يعبر به عن الكمال قدرين قدرا لنفسه ولمن يشبهه بنفسه وقدرا لمن هو متعال عن وصمة الحدوث والامكان بالكلية ولمن انتقل اليه شئ من خصوصيات هذا المتعالى فالعلم بالمغيبات يجعله على درجتين علم بروية وترتيب مقامات

اوحدس اومنام اوتلقی الهام مما یجد نفسه لا یبائن ذلك بالکلیة وعلم ذاتی هو مقتضی ذات العالم لا یلقاه
من غیره ولا یتجشم کسبه وکذلك یجعل التاثیر والتدبیر والتسخیر ای لفظ قلت علی درجتین بمعنی المباشرة
واستعمال الجوارح والقوی والاستعانة بالکیفیات المزاجیة کالحرارة والبرودة وما اشبه ذلك مما یجد
نفسه مستعدة له استعدادا قریبا اوبعیدا وبمعنی التکوین من غیر کیفیة جسمانیة ولا مباشرة شئ وهو قوله
انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له کن فیکون وکذلك یجعل العظمة والشرف والقوة علی درجتین احدهما
کعظمة الملك بالنسبة الی رعیته مما یرجع الی کثرة الاعوان وزیادة الطول وعظمة البطش والاستاذ بالنسبة
الی ضعیف البطش والتلمیذ مما یجد نفسه یشارك العظم فی اصل الشئ وثانیتهما ما لا یوجد الا فی المتعالی جده
ولا تری فی تفتیش هذا السر حتی تستیقن ان المعترف بانصرام سلسلة الامکان الی واجب لا یحتاج الی غیره
یضطر الی جعل هذه الصفات التی یتمادحون بها علی درجتین درجة لما هنالك ودرجة لما یشبهه بنفسه ولما
کانت الالفاظ المستعملة فی الدرجتین متقاربة فربما یحمل نصوص الشرائع الالهیة علی غیر محملها وکثیرا ما
یطلع الانسان علی اثر صادر من بعض افراد الانسان او الملائکة او غیرهما یستبعده من ابناء جنسه فیشتبه
علیه الامر فیثبت له شرفا مقدسا وتسخیرا الهیا ولیسوا فی معرفة الدرجة المتعالیة سواء فمنهم من یحیط بقوی
الانوار المحیطة الغالبة علی الموالید یعرفها من جنسه ومنهم من لا یستطیع ذلك وکل انسان مکلف بما عنده
من الاستطاعة وهذا تاویل ما حکاه الصادق المصدوق صلی الله علیه وآله وسلم من نجاة مسرف علی نفسه
امر اهله بحرقه وتذریة رماده حذرا من ان یبعثه الله ویقدر علیه فهذا الرجل ستیقن بان الله متصف
بالقدرة التامة لکن القدرة انما هی فی الممکنات لا فی الممتنعات وکان یظن ان جمع الرماد المتفرق نصفه فی البر
ونصفه فی البحر ممتنع فلم یجعل ذلك نقصا فاخذ بقدر ما عنده من العلم ولم یعد کافرا کان التشبیه والاشراك
بالنجوم وبصالحی العباد الذین ظهر منهم خرق العوائد کالکشف واستجابة الدعاء متوارثا فیهم وکل نبی یبعث
فی قومه فانه لا بد ان یفهمهم حقیقة الاشراك ویمیز کلا من الدرجتین ویحصر الدرجة المقدسة فی الواجب
وان تقاربت الالفاظ کما قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لطبیب انما انت رفیق والطبیب هو الله
وکما قال السید هو الله یشیر الی بعض المعانی دون بعض ثم لما انقرض الحواریون من اصحابه وحملة دینه خلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فحملوا الالفاظ المستعملة للمتشبهة علی غیر محملها کما حملوا المحبوبیة
والشفاعة التی اثبتها الله تعالی فی قاطبة الشرائع لخواص البشر علی غیر محملها او کما حملوا صدور خرق العوائد

والاشراقات علی انتقال العلم والتسخیر الاقصبیین الی هذا الذی یری منه والحق ان ذلك کله یرجع الی قوی ناسوتیة او روحانیة تعد لنزول التدبیر الالهی علی وجه ولیس من الایجاد والامور المختصة بالواجب فی شیء والمرضی بهذا المرض علی اصناف فمنهم من نسی جلال الله تعالیٰ بالکلیة فجعل لا یعبد الا الشرکاء ولا یرفع حاجته الا الیهم ولا یلتفت الی الله اصلا وان کان یعلم بالنظر البرهانی ان سلسلة الوجود تنصرم الی الله ومنهم من اعتقد ان الله هو السید وهو المدبر لکنه قد یخلع علی بعض عبیده لباس الشرف والتاله ویجعله متصرفا فی بعض الامور الخاصة ویقبل شفاعته فی عباده بمنزلة ملك الملوك یبعث علی کل قطر ملکا ویقلده تدبیر تلك المملکة فیما عدا الامور العظام فیتلجلج لسانه ان یسمیهم عباد الله فیسویهم وغیرهم فعدل عن ذلك الی تسمیتهم ابناء الله ومحبوبی الله ویسمی نفسه عبدا لاولئك کعبد المسیح وعبد العزی وهذا مرض جمهور الیهود والنصاری والمشرکین وبعض الغلاة من منافقی دین محمد صلی الله علیه وآله وسلم یومنا هذا ولما کان مبنی التشریع علی اقامة المظنة مقام الاصل عدا اشیاء محسوسة هی مظان الاشراك کفرا کسجدة الاصنام والذبح لها والحلف باسمها وامثال ذلك وکان اول فتح هذا العلم علی ان رفع لی قوم یسجدون لذباب صغیر سمی لا یزال یحرك ذنبه واطرافه فنفث فی قلبی هل تجد فیهم ظلمة الشرك وهل حاطت الخطیئة بانفسهم کما تجدها فی عبدة الاوثان قلت لا اجدها فیهم لانهم جعلوا الذباب قبلة ولم یخلطوا درجة تذلل بالاخری قیل فقد هدیت الی السر فیومئذ ملیٔ قلبی بهذا العلم وصرت علی بصیرة من الامر وعرفت حقیقة التوحید والاشراك وما نصبه الشرع مظان لهما وعرفت ارتباط العبادة بالتدبیر والله اعلم وحقیقة الشرك ان یعتقد انسان فی بعض المعظمین من الناس ان الآثار العجیبة الصادرة منه انما صدرت لکونه متصفا بصفة من صفات الکمال مما لم یعهد فی جنس الانسان بل یختص بالواجب جل مجده لا یوجد فی غیره الا ان یخلع هو خلعة الالوهیة علی غیره او یفنی غیره فی ذاته ویبقی بذاته او نحو ذلك مما یظنه هذا المعتقد من انواع الخرافات کما ورد فی الحدیث ان المشرکین کانوا یلبون بهذه الصیغة لبیك لبیك لا شریك لك الا شریکا هو لك تملکه وما ملك فیتذلل عنده اقصی التذلل ویعامل معه معاملة العباد مع الله تعالیٰ وهذا معنی له اشباح وقوالب والشرع لا یبحث الا عن اشباحه وقوالبه التی باشرها الناس بنیة الشرك حتی صارت مظنة للشرك ولازمة له فی العادة کسنة الشرع فی اقامة العلل المتلازمة للمصالح والمفاسد مقامها ونحن نرید ان ننبهك علی امور جعلها الله تعالیٰ فی الشریعة المحمدیة علی صاحبها الصلوات والتسلیمات

حقیقة الشرك

مظنات للشرك فنهى عنها فمنها انهم كانوا يسجدون للاصنام والنجوم فجاء النهى عن السجدة لغير الله قال
الله تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن والاشراك فى السجدة كان متلازما للاشراك
فى التدبير كما اومأنا اليه وليس الامر كما يظن بعض المتكلمين من ان توحيد العبادة حكم من احكام الله تعالى
مما يختلف باختلاف الاديان لا يطلب بدليل برهانى كيف ولو كان كذلك لم يلزمهم الله تعالى بتفرده
بالتخليق والتدبير كما قال عز من قائل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير الى آخر خمس
آيات بل الحق انهم اعترفوا بتوحيد الخلق وبتوحيد التدبير فى الامور العظام وسلموا ان العبادة متلازمة
معهما لما اشرنا اليه فى تحقيق معنى التوحيد فلذلك الزمهم الله بما الزمهم ولله الحجة البالغة ومنها انهم كانوا
يستعينون بغير الله فى حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم ويتوقعون انجاح مقاصدهم
بتلك النذور ويتلون اسماءهم رجاء بركتها فاوجب الله تعالى عليهم ان يقولوا فى صلواتهم اياك نعبد واياك
نستعين وقال تعالى فلا تدعوا مع الله احدا وليس المراد من الدعاء العبادة كما قال بعض المفسرين بل
هو الاستعانة لقوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون ومنها انهم كانوا يسمون بعض شركائهم بنات
الله وابناء الله فنهوا عن ذلك اشد النهى وقد شرحناه من قبل ومنها انهم كانوا يتخذون احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا بأس به فى نفس الامر
وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به فى نفس الامر ولما نزل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم الآية
سأل عدى بن حاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال كانوا يحلون لهم اشياء فيستحلونها
ويحرمون عليهم اشياء فيحرمونها وسر ذلك ان التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت ان الشئ
الفلانى يؤاخذ به او لا يؤاخذ به فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى واما
نسبة التحليل والتحريم الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فبمعنى ان قوله امارة قطعية لتحليل الله وتحريمه واما نسبتها
الى المجتهدين من امته فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع او استنباط معنى من كلامه واعلم
ان الله تعالى اذا بعث رسولا وثبتت رسالته بالمعجزة واحل على لسانه بعض ما كان حراما عندهم ووجد بعض
الناس فى نفسه انحجاما عنه وبقى فى نفسه ميل الى حرمته لما وجد فى ملته من تحريمه فهذا على وجهين ان
كان لتردد فى ثبوت هذه الشريعة فهو كافر بالنبى وان كان لاعتقاد وقوع التحريم الاول تحريما لا يحتمل النسخ
لاجل انه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الالوهية او صار فانيا فى الله باقيا به فصار نهيه عن فعل او كراهيته

ف: ليس المراد من الدعاء العبادة

ف: نسبة التحليل والتحريم الى النبى صلى الله عليه وسلم والى المجتهدين

له مستوجبا للحرم في ماله واهله فذلك مشرك بالله تعالى مثبت لغيره غضبا وسخطا مقدسين وتحليلا و
تحريما مقدسين ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالذبح لاجلهم اما بالاهلال عند الذبائح باسمائهم
واما بالذبح على الانصاب المخصوصة لهم فنهوا عن ذلك ومنها انهم كانوا يسيبون السوائب والبحائر تقربا الى
شركائهم فقال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الآية ومنها انهم كانوا يعتقدون في اناس ان اسمائهم مباركة معظمة
وكانوا يعتقدون ان الحلف باسمائهم على الكذب يستوجب حرما في ماله واهله فلا يقدمون على ذلك ولذلك
كانوا يستحلفون الخصوم باسماء الشركاء بزعمهم فنهوا عن ذلك وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حلف
بغير الله فقد اشرك وقد فسره بعض المحدثين على معنى التغليظ والتهديد ولا اقول بذلك وانما المراد عندي اليمين
المنعقدة واليمين الغموس باسم غير الله تعالى على اعتقاد ما ذكرنا ومنها الحج لغير الله تعالى وذلك ان يقصد مواضع
متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء فنهى الشرع عن ذلك وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد ومنها انهم كانوا يسمون ابناءهم عبد العزى وعبد شمس
ونحو ذلك فقال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها الآية
وجاء في الحديث ان حواء سمت ولدها عبد الحارث وكان ذلك من وحي الشيطان وقد ثبت في احاديث
لا تحصى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير اسماء اصحابه عبد العزى وعبد شمس ونحوهما الى عبد الله وعبد الرحمن
وما اشبههما فهذه اشباح وقوالب للشرك نهى الشارع عنها لكونها قوالب له والله اعلم هذا آخر كلام الحجة البالغة
وهذا الذي ذكره انما ما للشرك هو اصول الشرك فقط واما فروعه فهي كثيرة وكذلك مظانه التي دلت عليها
ادلة الكتاب والسنة وتنصيص العلماء بالله وسيأتي جميع ذلك في هذا الكتاب بابا بابا واما قول صاحب الحجة
ليس المراد من الدعاء العبادة بل هو الاستعانة فاقول ان الاستعانة ايضا نوع من العبادة وقد ثبت كون الدعاء هي
العبادة بادلة صحيحة واضحة لا تحتمل تاويلا ولا توجيها كما سيأتي في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحاصل كما
قال في رد الاشراك ان الاشراك الذي نزل الكتب الالهية لابطاله وبعث الانبياء لمحقه ليس مقصورا على ان
يعتقد احد ان معبوده مماثل للرب تبارك وتعالى في وجوب الوجود او احاطة العلم بجميع الكائنات او الخالقية
لاصول العالم كالسماء والارض او التصرف في جميع الممكنات فان هذا الاعتقاد ليس من شان الانسان ان يتلوث
به اللهم ان كان ممسوخا كفرعون وامثاله وليس لاحد ان يذعن بان الكتب الالهية انما نزلت والانبياء انما
ارسلت وبعثت لاجل صلاح امثال هؤلاء الممسوخين فقط كيف ومشركو العرب الذين سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مشركين وقاتلهم واراق دماءهم وسبى ذراريهم ونهب اموالهم لم يكونوا من عنين بهذا الاعتقاد بل لما
قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
وامثال هذه الاية الكريمة كثيرة جدا بل معناه ان يشرك احدا من سوى الله معه تعالى فى الالوهية
او الربوبية ومعنى الالوهية ان يعتقد فى حق احد انه بلغ فى الاتصاف بصفات الكمال من العلم المحيط
او التصرف بمجرد القهر والارادة مبلغا جل عن المماثلة والمجانسة مع سائر المخلوقين وذلك بان يعتقد
انه ما من امر يحدث سواء كان من قبيل الجواهر او الاعراض من الاقوال والافعال والاعتقادات والعزائم
والارادات والنيات الا وهو ممتنع ان يغيب عن علمه وهو شاهد عليه او يعتقد انه يتصرف فى الاشياء
بالقهر اى ليس تصرفه فيها من جملة الاسباب بل هو قاهر على الاسباب ومعنى الربوبية انه بلغ فى جوع
الحوائج واستحلال المشكلات واستدفاع البلايا بمجرد الارادة والقهر على الاسباب مبلغا استحق به غاية
الخضوع والاستذلال اى ليس للتذلل لديه والخضوع عنده حد محدود فما من تذلل وخضوع الا وهو
مستحسن بالنسبة اليه وهو مستحق له فتحقق ان الاشراك على نوعين اشراك فى العلم واشراك فى التصرف
ويتفرع منهما الاشراك فى العبادات وذلك بانه اذا اعتقد فى احد ان علمه محيط او تصرفه قاهر فلا بد انه
يتذلل عنده ويفعل لديه افعال التعظيم والخضوع ويعظمه تعظيما لا يكون من جنس التعظيمات المتعارفة
فيما بين الناس وهو المسمى بالعبادة ثم يتفرع عليه الاشراك فى العادات وذلك بانه اذا اعتقد ان معبوده
عالم بالعلم المحيط متصرف بالتصرف القهرى لا جرم انه يعظمه فى اثناء مجارى عاداته بان يميز ما ينتسب اليه
كاسمه وبيته ونذره وامثال ذلك من سائر الامور بتعظيم ما وقد رده الله تعالى فى محكم كتابه اولا وعلى لسان
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم اخرا على جميع انواع الشرك من اصوله وفروعه وذرائعه وابوابه وبجملة مفصلة اما
الرد الاجمالى فهو الآيات والاحاديث الواردة فى الاجتناب عن الاشراك على الاطلاق واما الرد التفصيلى فهو
الادلة الواردة فى رد الاشراك فى العلم وفى التصرف وفى العبادة وفى العادة وفى الاجتناب عن البدعة الى
غير ذلك من الرسوم المخالفة بالايمان بالله وبالقدر وسياتى ذلك كله فى ابواب مستقلة ان شاء الله تعالى

باب فى ما يجب تقديم ذكره اجمالا على بيان رد الاشراك تفصيلا

اعلم ان البشر كلهم عبيد الله تعالى وشان العبد ان يعبد الله فمن لم يعبده لا يكون له عبدا واصل العبادة
تصحيح الايمان وتقوية الايقان وتحقيق الاذعان لان من تطرق الى ايمانه خلل او وقع فيه زلل فلا تقبل منه

عبادة اصلا ومن اتى بالايمان الصحيح فقليل العبادة منه تقبل فعلى كل انسان ان يصحح ايمانه وينقح ايقانه ويجهد فى ذلك امكانه ويقدمه على كل شئ وقد صار الناس فى هذا الزمان فى امر الدين على طرائق شتى ومذاهب لا تحصرها الى حتى فمنهم من اتخذ رسوم اسلافه شرعا ومنهم من اعتقد قصص اكابره واتخذها مشربا ومنهم من استند فى طريقه بالسبيل الذى استنبطه العلماء واحدثه الاحبار من تلقاء نفوسهم بمذاق طبائعهم ومنهم من يستند بعقله ويفتخر بفضله ولا ريب ان الافضل والاحق من جميع هذه ان يجعل كلام الله تعالى وكلام رسوله اصلا وبه يستند وعليه يعتمد ولا يعطى لعقله دخلا فيه وكل ما وافق من قصص الاكابر واقوال العلماء بهما يقبله وما خالفهما فلا يستند به بل يرده كائنا ما كان واينما كان وكذلك كل سمت ودل لهم لا يوافق الاصلين يتركه واما قول العامة ان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يشكل فهمه ويعسر فقهه وينبغى لدركه علم كبير وفضل غزير وانى لنا ان نفهم ذلك اوندركه واهنالك بل السلوك على ذلك الصراط انما هو شان الاكابر الفحول وصنيع العلماء الذين لا يحول علمهم ولا يزول فمن نحن حتى نسلك هذا المسلك او ندخل فى هذا المقام بل يكفينا تقليدهم والتمسك باقوالهم فهذا القول من هؤلاء الجهلة يخالف القرآن العزيز فان الله سبحانه وتعالى قال فى محكم كتابه ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون وهذا يدل على ان آيات الله واضحة وشرائعه باهرة ولا اشكال فى شئ منها انما الاشكال فى السلوك عليها لان النفس يسوءها امتثال الاوامر واطاعة الآمرين فالفاسقون ينكرونها ويخالفونها واما كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلا حاجة فى فهمه الى مزيد علم لان النبى انما جاء لهداية السفهاء وارائة الطريق الحقة للجهلاء وتعليم الذين لم يكن لهم علم اصلا كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين فكان من نعم الله تعالى على عباده ان ارسل اليهم رسولا علمهم العلم واذهب عنهم الجهل وطهرهم من الادناس وجعل السفهاء منهم الاكياس والحمقاء العقلاء والضالين الهداة المهديين فمن سمع آية من الكتاب العزيز او حديثا من السنة المطهرة وقال ان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يفهمهما الا العالمون ولا يسلك مسلكهما الا الكبراء الفاضلون فقد انكر هو هذه الآيات ولم يعرف قدر نعم الله بل الذى ينبغى ان يقال ان الجاهلين يصيرون عالمين بفهم كلامهما والضالين يهتدون بالسلوك على صراطهما مثال ذلك ان يكون طبيب حاذق ويكون رجل كثير المرض شديد السقم فيقول رجل لهذا المريض اذهب الى الطبيب الفلانى

واستعلجه تشفه فيجيب المريض ان الذهاب اليه والتداوى منه انما هو فعل الاصحاء الكاملين وانا مريض
شديد المرض لا يمكنني ذلك فهذا الرجل ما احمقه ينكر حكمة الحكيم ويابى طب الطبيب الحاذق ولم يدر ان الطبيب
انما هو يعالج المرضى خاصة ومن كان لا يعالج الا الاصحاء ولا ينفع علاجه الا لهم ولا يكون للمرضى فائدة
منه فليس هو بطبيب اصلا والحاصل ان الجاهل لشديد الجهل ينبغى له مزيد رغبة فى فقه كلام الله تعالى
وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وان العاصى لشديد العصيان ينبغى له مزيد اجتهاد فى سلوك سبيل الله
وسبيل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى كل عامى وخاص ان يحقق معانى كلامهما ويفهمهما ويسلك على مسلكهما
ويوفق ايمانه بمدلولهما من النصوص والظواهر ولا يخاف فى الله لومة لائم من الاكابر والاصاغر فان الايمان له
جزءان احدهما ان يعتقد الاله الها والآخر ان يعتقد الرسول رسولا ولا يكون الاعتقاد بكون الاله الها
الا بان لا يشرك به شيئا ولا يتحقق الاعتقاد بكون الرسول رسولا الا بان لا يسلك الا سبيله فالامر الاول
يقال له التوحيد وخلافه يسمى شركا والامر الثانى يقال له اتباع السنة ويسمى خلافه بدعة فعلى كل احد ان
يعض على التوحيد واتباع السنة بنواجذه ويجتنب الشرك والبدعة بمجامع قلبه فان هذين الشيئين
يوقعان الخلل فى الايمان وينقصان التصديق والاذعان بخلاف سائر المعاصى والآثام فان الاخلال منها
انما هو فى فروع الاعمال دون اصل الايمان وما احق من كمل فى التوحيد واتباع السنة وفر من الشرك والبدعة
واثرت صحبته فى ذلك ان يتخذ شيخا واستاذا ومعلما كذلك وقد عم الشرك فى الناس وعز التوحيد ولا يفهم
كثير من الناس معنى الشرك والتوحيد وهم يدعون الايمان ويقولون نحن مؤمنون مع انهم واقعون فى شبكة
الاشراك ومصيدة فلا بد من ان يعلم معنى الشرك والتوحيد ويحقق معناهما على وجه التنقيح دون التقليد فاعلم
رحمك الله تعالى ان كثيرا من الناس يدعون الانبياء والائمة والشهداء والملائكة والصلحاء والجنيات
فى الشدائد والمشكلات ويطلبون منهم انجاح المرادات واسعاف الحاجات وينذرون لهم ويوجبون
نذورهم عليهم وينسبون ابناءهم واولادهم اليهم ليدفعوا بهذا التدبير البلايا والرزايا عنهم فمنهم من يسمى ولده
عبد النبى وعلى بخش وحسين بخش وحسن بخش وپير بخش ومدار بخش وسالار بخش وعبد فلان وغلام فلان كغلام محى الدين
وغلام معين الدين وغلام نقشبند ومعنى الغلام هنا عندهم العبد ومنهم من يتخذ فرعا على راسه باسم عظيم من
العظماء ويستعمل خيطا له ويلبس على اسمه ثوبا ويجعل نكل الحديد فى رجله ومنهم من يذبح على اسمهم حيوانا
كالدجاج والبقرة والشاة ومنهم من يستغيث بهم عند الشدائد ويناديهم للاغاثة بقوله واغوثاه ونحوه

الايمان جزءان

ومنهم من يحلف فى اثناء كلامه باسمهم الى غير ذلك من الافعال الشركية والاعمال الكفرية والحاصل
ان كل مايفعله المشركون من الهنود وغيرهم مع آلهتهم الباطلة من الاصنام وغيرها يفعله هؤلاء المسلمون
الكاذبون مع الانبياء والاولياء والائمة والشهداء وللملائكة والجنيات والصلحاء ومع هذا يدعون الايمان
والاسلام فسبحان الله وبحمده ومن ثم قال تعالى فى سورة يوسف عليه السلام وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون يعنى اكثر من يدعى الايمان اسيرون فى الشرك واذا قيل لهم انكم تدعون الايمان وتفعلون
افعال الشرك فكيف تجعلون هذين السبيلين سبيلا واحدا قالوا نحن لانشرك انما نظهر عقيدتنا فى جناب
الانبياء والاولياء نعم لو كنا نسوى الاولياء والانبياء والشهداء والمشائخ بالله تعالى لكنا مشركين ولكنا
لا نعتقد مساواتهم به سبحانه بل اعتقادنا انهم عبيد الله ومخلوقه وقدرة التصرف هذه اعطاها الله
تعالى اياهم فهم يتصرفون فى العالم برضائه ودعائنا اياهم هو عين دعاء الله والاستعانة منهم هى الاستعانة
من الله وهم احباؤه يفعلون مايشاؤن وهم شفعاؤنا ووكلاؤنا عند الله ورضى الله فى رضاهم وسخطه فى
سخطهم ويحصل لنا من دعائهم التقرب الى الله تعالى وكلما دعوناهم قربنا منه سبحانه الى غير ذلك من الخرافات
والهذيانات والسبب فى هذا ان هؤلاء المشركين المدعين للايمان نبذوا كلام الله تعالى وكلام رسوله
وراء ظهورهم وتمسكوا بالعقل وادخلوه فى الدين واقتفوا القصص المختلقة والحكايات المفتعلة على الصالحين
واستندوا بالرسوم الشنيعة والمراسم الفظيعة ولو فهموا كلام الله وكلام رسوله لم يتفوهوا بمثل هذه
الخزعبيلات ولم يأتوا فى الجواب بنحو هذه الاراجيف وقد كان الكافرون يقولون مثل هذه الاقوال
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايضا ولكن الله لم يقبل منهم تلك الاباطيل بل وجد عليهم
وكذبهم فى مقالاتهم كما قال فى سورة يونس عليه السلام ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى
عما يشركون يعنى الذين يعبدونهم هؤلاء لم يعطهم الله قدرة على الفائدة ولا على الضر واما قولهم انهم شفعاؤهم
عند الله فلم يقل الله بهذا قط افهم اعلم من الله فينبئونه بما لا يعلم ومفهوم هذه الآية انه ليس فى السموات
والارض شفيع يستحق العبادة والدعاء ويتمكن على النفع والضر كيف وشفاعة الانبياء والاولياء فى اختيار
الله سبحانه دعوهم اولم يدعوهم لا ينفعون شيئا وفيها ان من دعا احدا على انه يشفع له فهو مشرك وقد قال
تعالى فى سورة الزمر والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم

فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار يعنى كان الامر الحق ان الله اقرب الى عبده
من كل شئ فتركوا هذا الامر واختلقوا انهم حماة لهم ومقربوهم اليه سبحانه وكان من نعم الله انه بمحض
فضله يعطى المرادات ويقضى الحاجات ويدفع البليات فلم يعرفوا هذا الحق لله ولم يشكروا الله على ذلك بل
طلبوا هذا من غير الله وابتغوا قربه فى هذا السبيل العوج فلا يهديهم الله ابدا ولا يحصل لهم قربه متى
سلكوا هذا السبيل بعدوا من الله وفى الاية دلت على ان من اتخذ احدا حاميا له واعتقد انه ينفعه او يضره من
دون ارادة الله سبحانه وعلم ان من حمايته يحصل التقرب منه تعالى فهو مشرك كاذب كفار لنعم الله قال
تعالى فى سورة المؤمنين قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون يعنى اذا سألت عن الكفار لمن التصرف فى العالم على وجه لا يقابله حاكم فانهم يقولون ان
هذا الشان هو لله فمن اين يتخبطون والاية افادت ان الله لم يعط احدا قدرة التصرف فى العالم ولا يقدر
احد على ان يحمى احدا دونه وفيها ان كفار زمن النبى صلى الله عليه واله وسلم لم يكونوا يعتقدون ان اصنامهم
مساوون لله بل يعتقدون ان كل ما سوى الله مخلوق لله وعبيد له ولم يكونوا يثبتون لاحد قوة وتصرفا
وطاقة فى مقابلته سبحانه ولم يكن شركهم الا هذا الدعاء والنذر واعتقاد الوكالة والشفاعة فيهم فكان
ذلك كفرهم وشركهم بالله الذى رده عليهم فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه واله وسلم فمن عامل
احدا هذه المعاملة وان اعتقده عبدا ومخلوقا له تعالى فهو وابو جهل اللعين سواء فى الشرك وليس الشرك موقوفا
على ان يسوى احدا بالله ويجعله مقابلا له تعالى بل معنى الشرك ان الاشياء المختصة بالله تعالى التى جعلها
امارة العبودية وعلامتها على عبيده يفعله لغير الله كالسجدة والذبح والنذر والدعاء عند الشدة وانه
حاضر ناظر وله قدرة وتصرف فمن اعتقد هذا فى غيره تعالى فقد صار مشركا وثبت منه الشرك وان قال ان
هذا الغير اصغر من الله وخلقه وعبده ولا فرق فى هذا الامر يعنى الشرك بين الانبياء والاولياء والجنيات
والشياطين فاى شئ يعامل به هذه المعاملة انبياء كانوا وشيوخا او شهداء او الجنيات والشياطين
يكون شركا ويصير صاحبه مشركا كيف وقد وجد الله على اليهود والنصارى كما وجد على عابدى الاصنام
لانهم كانوا يعاملون هذه المعاملة مع الانبياء والاولياء كما قال سبحانه فى سورة براءة اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
يعنى اعتقدوا ان الله ملك كبير ووراءه مالكون اخرون صغيرون وهم الاحبار والرهبان اى العلماء

والمشائخ مع ان الله لم يحكم لهم بهذا وثبت الشرك عليهم بهذا الاتخاذ وهو سبحانه وحده مالك لا شريك له صغيرا كان او مثيلا بل جميع الاكابر والاصاغر عبيد له عاجزون سواسية في العجز وعدم القدرة والتصرف في العالم كما افصح بذلك في سورة مريم عليها السلام ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا وهذا يدل على ان احدا من الملائكة والبشر لا تزيد رتبته على العبدية والرقية والمملوكية وكلهم عاجزون في قبضته ليس لهم قدرة اصلا وكل واحد من هؤلاء ياتيه فردا فردا لا يكون له احد عنده وكيلا ولا حاميا ولا شفيعا والآيات في هذا الباب في الكتاب العزيز كثيرة طيبة جدا فمن فهم معنى هذه الآيات العديدة التي ذكرناها فهم معنى الشرك وعلم مضمون التوحيد ولا بد في هذا الموضع من العلم بان اي اشياء خصها الله تعالى لنفسه واستاثر بها ولا ينبغي ان يشرك به فيها وهذه الاشياء كثيرة نذكر منها نبذة يسيرة دل عليها الكتاب ونطقت بها الاحاديث فنقول

فالشئ الاول ان يكون حاضرا ناظرا في كل مكان ويكون عالما بكل شئ في كل شان سواء كان ظاهرا او مخفيا محسوسا او باطنا في ظلمة او نور في السموات او في الارض على قلل الجبال وفي قعر البحار وهذا شان الله تعالى ليس لاحد هذا الشان فمن يذكر اسم احد عند القيام او القعود ويدعوه من قرب وبعد ويهتف به عند الشدائد وحلول البلايا وخوف الرزايا ويستعين باسمه في الحرب بالاعداء ويجعل اسمه وظيفة له وشغلا يشتغل به ويتصور صورته في حاسة خياله ويعتقد انه كلما اذكر اسمه بلساني او بقلبي واتصور صورته او صورة قبره يطلع على ذلك ويعلمه ولا يخفى عليه شئ من امري وكل ما يطرء علي من الاحوال كالمرض والعافية والعسر واليسر والحيوة والممات والاتراح والافراح فهو يعلمه ويسمع كل ما يصدر من الكلام من لساني او يخطر بالبال ويمر بالخيال فهو واقف على ذلك كله فهذا الاعتقاد شرك ويصير به صاحبه مشركا ويقال لهذا **الاشراك في العلم** لان في ذلك اثبات العلم لغير الله كثبوته له تعالى فمن اعتقد هذا الاعتقاد لاحد صار مشركا سواء كانت هذه العقيدة في الانبياء او الاولياء او في المشائخ والشهداء او في الائمة او في اخلافهم او في الجن والشياطين وسواء يعتقد ان هذا الامر حاصل لهم من ذواتهم او من اعطاء الله لهم فالشرك ثابت بهذه العقيدة على كل حال

الشئ الثاني ان التصرف في العالم بمحض الارادة اي من دون اسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شئ والاحياء والاماتة وتوسعة الرزق وتقتيره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والاقبال والادبار وانجاح المرام وقضاء الحوائج و

دفع البليات والاعانة فى المشكلات والاغاثة عند حلول الآفات وفى اوقات المكروهات كل ذلك شان الله تعالى ليس هذا الشان لاحد من الاولياء والانبياء والمشائخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة فمن اثبت مثل هذا التصرف لاحد غير الله ويطلب منه المرادات وينذر له على هذا التوقع ويوجه على نفسه النذر ورهم ويدعوهم عند المصائب فى المصاعب فهو مشرك بالله الذى لا اله الا هو ولا حكم الا له وحده لا شريك له ويقال لهذا **الاشراك فى التصرف** اى اثبات التصرف لغير الله كاثباته لله تعالى سواء اعتقد ان قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه او اعطاه الله اياها فالشرك ثابت على كل حال

والشئ الثالث ان الله تعالى خص بعض الامور التعظيمية لذاته المقدسة ويقال لها العبادات كالسجدة والركوع والقيام بضم اليدين بين يديه وانفاق المال على اسمه والصيام له والاتيان الى بيته الحرام من كل فج عميق والسفر اليه على هيئة يعلم منها كل من راهم ان هؤلاء زائرون له يلبون باسمه فى طريق السفر مع الاجتناب فيها عن الرفث والفسوق والجدال والصيد ونحوها فاذا وصلوا مع هذه القيود الى بيته العتيق طافوا به وسجدوا اليه وبعثوا الهدى وسألوا عنده الحاجات والبسوه اللحاف والسرادق وقاموا عند باب الكعبة ودعوا الله والتجأوا اليه وطلبوا منه سبحانه حوائج الدارين وقبلوا الحجر الاسود والتزموا جداره بالوجه والصدر وتمسكوا باسرادقه داعين لله وايقاد السرج حواليه وتقديم الخدمة لديه بالمجاورة والاشتغال بقمة المسجد الحرام وتمهيد الفرش فى فنائه وسقاء الماء واعانة المسلمين على الوضوء والغسل باعداد اسبابه والتبرك بماء زمزم واهدائه لاقاربه واحبابه من الحاضرين والغائبين ورجعة القهقرى عند الانصراف منه والتادب فى صحراواته التى هى حواليه بعدم الاصطياد وعدم عضد الاشجار وقلع الكلاء الذى هناك وقمعه وايحاش الحيوانات منها ونحو ذلك فان هذه الامور كلها جعلها الله تعالى عبادة مختصة به لعباده فى الارض وكلفهم بها فمن فعل شيئا من هذه لاحد غير الله شيوخا كانوا وانبياء او جنيات وشياطين او خبثا وخبائث اوبقبر صادق لاحد من اكابر الدين او ضريح كاذب ومحل ربعين لاحد منهم او مكان له او معلف اويتبرك باثاره اويعلم له اويسجد لمدفع اويركع اويصوم لاحد ويضم يديه بين يديه اويقوم له اويذهب الى امكنة لم ياذن الشرع بالسفر اليها فيقصدها اويلبس قبره ثوبا اوينصب له نصبا اويقبل مرقد ميت صالح او طالح ويسيب له بسوائب ويذبح له حيوانا اويوقد هناك سرجا اويذبح عنه بالمذبح ويلحفه باللحاف ويلقى على قبره بردة اوينصب عليه مظلة اويرجع القهقرى عند الرخصة والانصراف من عنده

تهان ١٢ — مورچهل ١٢ — شاميانه ١٢

اوينرله قضبانا اويقبل مخافه واسكفته اويلتمس حاجته قائما ضاما يديه عنده اويجاوره بالعكوف فى مقبرته اويتادب نحو الى صحرائه وبيدائه وقاعه وفيفائه ونحو ذلك من الامور فالشرك يثبت عليه بهذا ويقال له **الاشراك فى العبادة** لان فيه تعظيم غير الله تعالى كتعظيمه سبحانه سواء اعتقدا نهم لايقوون بهذه العظمة بانفسهم او ان الله تعالى يفرح بهذا التعظيم لهم ويكشف الضر ويدفع البلاء ويسهل المشكل عليهم ببركة هذا الفعل منهم فالشرك ثابت على كل حال **والشئ الرابع** ان الله تعالى امر عباده كلهم بان يذكروه سبحانه فى جميع امورهم الدنياوية ولاينسوه ابدا ويعظموه دائما ليصح ايمانهم ولايدخله الشرك ويحصل البركة فى امورهم وينحل بذلك مشكلهم وتسهل مصاعبهم فى الاوقات المعضلة والحالات الصعبة كالنذر له سبحانه ودعائه عند حلول البلية والبداية باسمه الشريف عند فعل كل فعل والاخذ فى كل امر ذى بال واذا ولد لاحد ذكر او انثى يذبح حيوانا على اسمه تعالى ويسميه عبد الله او عبد الرحمن اوخدا بخش اوالله ديا او امة الله اوالله دى ويجعل من الحرث والبستان شيئا لله وكذا فى قطيعة الغنم ومن الانعام وبعث الهدى الى بيته الحرام والائتمار بامره والانتهاء بنهيه فى الماكل والمشارب والمناكح والمساكن والمراكب فى كل شئ فما امر به ياتى به وما نهى عنه ينتهى عنه ما استطاع وكل ما يحدث من الخصب والجدب والصحة والسقم والعافية والمرض والفتح والهزيمة والاقبال والادبار والراحة والغم والفرح والترح والعسر واليسر والثروة والجاه ونقص الانفس والثمرات وحياة الاولاد ومماتها فهذه كلها من الله تعالى وبارادته ومشيئته وقدره وقضائه ليس شئ من هذه بيد احد غيره كائنا من كان فى اى مكان كان وفى اى رتبة من مراتب الصلاح والتقوى اوالفسق والفجور ظهر واذا اراد ان يفعل شيئا فليقل ان شاء الله تعالى فيقدم ذكر ارادته تعالى على ارادة نفسه كيف وقد قال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله فيقول عند ارادة شئ من الاشياء ان شاء الله افعل كذا واعمل كذا واصنع كذا ويسميه على وجه يظهر منه تعظيم اسمه وذكره تعالى شانه ويفهم منه مالكيته وعبودية هذا القائل بذلك كقوله ان شاء ربنا ومالكنا وخالقنا ورازقنا واذا احلف فليحلف به سبحانه لابغيره لان من حلف بغير الله فقد اشرك فمثل هذه الامور جعلها الله تعالى لتعظيمه واجلاله وتكريمه خاصة له فمن صنع هذا باحد من الانبياء اوالاولياء اوالائمة والشهداء اوالجن والطواغيت والشياطين والخبث والخبائث كما ينذر لهم مثلا عند الاشكال واعضال الحال ويغوث باسمه فى شدائد الامور اويوجب على نفسه

النذر له عند ولادة الاولاد او يسميها بعبد النبى وعبد الرسول وعبد الحسن او عبد الحسين او امام بخش او پیر بخش او يجعل شيئا من حرثه وبستانه لهم ويقدم نصيبهم من الحرث والفواكه عند الحصاد والجنى ثم يبذله فى حاجته او يجعل شركا لهم فى قطائع الاغنام والانعام ويسيبها على اسمائهم ويتادب معها ولا يذودها من الماء والحبوب ولا يضربها لا بالحجر ولا بالمدر ولا بالخشب ولا بالعصا او يستند فى الماكل والمشارب والملابس بالرسوم الواهية المنقولة عن الآباء والاجداد والاقارب والعشائر والشيوخ والاساتذة والعلماء الجامدين على تقليد الاسلاف ويقول لا يجوز لفلان اكل الطعام الفلانى وكذا الثوب الفلانى واللباس الفلانى كما يقال لا ياكل من القصعة التى هى على اسم حضرة الخاتون يعنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها الرجال ولا الاماء ولا المرأة التى نكحت ثانية ولا ياكل زاد شاه عبد الحق من يستعمل القليان وكل ما يعترى من الخير والشر فى هذه الدنيا ينسبه اليهم فيقول جن فلان بلعنة الشيخ الفلانى واحتاج فلان لطرد الشيخ الفلانى وبلغ العلى فلان بعناية الشيخ الفلانى وحصل الفتح وجاء الاقبال بافضال الولى الفلانى وكان القحط من نوء كذا وكذا وكان الامر الفلانى بسبب الكوكب الفلانى وبتاثيره ولم تحصل الحاجة الفلانية لانها شرعت فى ساعة كذا ووقت كذا او يقول ان شاء الله وشاء الرسول يكون كذا او ان شاء الشيخ الفلانى او الولى الفلانى يكون هذا الامر وان لم يشأ لا يكون او يقول فى محاورته يا مالك الملك او يا ملك الملوك او يا رازق او ما فى معنى هذا من الفاظ اللغة الفارسية والهندية كخداوند خدائگان وشاهنشاه وان داتا و مهاراج او يحلف عند الحاجة باسم نبى او ولى او ملك او سلطان او امام او شيخ او استاذ او باسم الوالد والجد او براس احد او بقبره ونحو ذلك فهذا كله شرك ويقال له **الاشراك فى العادات** يعنى يعظم غيره تعالى فى مجارى عاداته ومحاوى حالاته ومطاوى خطاباته كتعظيم الله تعالى فهذه الانواع الاربعة للشرك ورد الكتاب العزيز والسنة المطهرة بردها وسياتى ذكرها فى ابواب مستقلة قال المقريزى فى تجريد التوحيد المفيد المشرك به تعالى فى الافعال كالسجود لغيره سبحانه والطواف بغير بيته المحرم وحلق الراس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود الذى هو يمينه تعالى فى الارض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصلحين مساجد يصلى فيها فكيف من اتخذ القبور اوثانا تعبد من دون الله فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى اياك نعبد وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

الاشراك فى العادات

ج ا

قبور انبيائهم مساجد وفيه ايضا عنه ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد وفيه ايضا عنه ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك وفى مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وآله وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله والناس فى هذا الباب اعنى زيارة القبور ثلاثة اقسام قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هى الزيارة الشرعية وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون فى الالوهية والمحبة وقوم يزورونهم فيدعونهم انفسهم وهؤلاء هم المشركون فى الربوبية وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جانب التوحيد اعظم حماية تحقيقا لقوله تعالى اياك نعبد حتى نهى عن الصلوة فى هذين الوقتين ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين وسد الذريعة بان منع من الصلوة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغى لاحد ان يسجد لاحد الا الله ولفظة لا ينبغى فى كلام الله وكلام رسوله انما تستعمل الذى هو فى غاية الامتناع كقوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وقوله تعالى وما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله سبحانه اياك نعبد الشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك صححه الحاكم وابن حبان قال ابن حبان اخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفى ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعى عن سعد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضى الله عنهما فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ويحك لا تفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله تعالى فقد اشرك ومن الاشراك قول القائل لاحد من الناس ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتنى لله ندا قل ما شاء الله وحده وهذا مع ان الله تعالى قد اثبت للعبد مشيئة كقوله سبحانه لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك او انا فى حسب الله وحسبك او ما لى الا الله وانت او هذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك او الله لى فى السماء

ف زيارة القبور ثلثة اقسام

ف معنى لا ينبغى

ف الشرك فى الحلف

ف الشرك فى المشيئة

وانت لى فى الارض قارن بين هذه الالفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قول ما شاء الله وشئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بالبعد من اياك
نعبد وبالجواب من النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ندا فهذا قد جعل من لا يدانى الله ابدا ندا وبالجملة فالعبادة المذكورة فى قوله اياك
نعبد هى السجود والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتوبة والنذر والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد
والاستغفار وحلق الراس خضوعا وتعبدا والدعاء وكل ذلك حق الله تعالى وفى مسند الامام احمد ان
رجلا اتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم انى اتوب اليك ولا
اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وآله وسلم عرف الحق لاهله واخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الاسود

الشرك فى الارادات والنيات

ابن سريع وقال صحيح واما الشرك فى الارادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقل من ينجو منه
فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله اياك نعبد فان اياك نعبد هى الحنيفية ملة ابراهيم
عليه السلام التى امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهى حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين استمسك بهذا الاصل ورد ما اخرجه المبتدعة والمشركون
اليه يتحقق لك معنى الكلمة الالهية فان قيل ان المشرك انما قصد بذلك تعظيم جناب الله تعالى وانه سبحانه
لعظمته لا ينبغى الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك والرؤساء الاغنياء فالمشرك لم
يقصد الاستهانة بجناب الربوبية بل انما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هؤلاء الوسائط ليقربونى الى الله
ويدخلونى عليه فهو الغاية وهذه هى الوسائل فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه و
مخلدا فى النار وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز فى العقل ان يشرع الله تعالى
لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح فى الشرع
والعقل معا اذ العقل يمتنع ان ياتى بشريعة من الشرائع وما السر فى كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلنا الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه
وصفاته وافعاله وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا
فى صفاته واما الشرك الثانى فهو الذى فرغنا من الكلام فيه واشرنا اليه الآن ونتمم الكلام فيه ان شاء الله
تعالى واما الشرك الاول فهو نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون فى قوله وما

رب العالمين وقوله لهامان فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى انى لاظنه من الكاذبين والشرك
والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون
المشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل
وهو ثلاثة اقسام احدها تعطيل المصنوع من صانعه الثانى تعطيل الصانع عن كماله الثابت له الثالث
تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن اهل هذا الشرك اهل وحدة الوجود ومنه
شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وان الحوادث باسرها مستندة الى اسباب ووسائط اقتضت
ايجادها ويسمونها العقول والنفوس ومنه شرك معطلة الاسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة
المعتزلة والنوع الثانى شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه تعالى الها آخر كالنصارى فى المسيح واليهود
فى عزير والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة وشرك القدرية المجوسية
مختصر منه وهؤلاء اكبر مشركى العالم وهم طوائف جمة منهم من يعبد اجزاء سماوية ومنهم من يعبد اجزاء
ارضية ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده اكبر الالهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الالهة ومنهم من
يزعم انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى
الاعلى الفوقانى وهذا الفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط و
تارة تقل فاذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على من اشرك به
تعالى فى الافعال والاقوال والارادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب على السؤال فنقول اعلم ان حقيقة
الشرك تشبيه المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق اما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق فى خصائص
الالوهية وهى التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى و
سوى بين التراب ورب الارباب فاى فجور اكبر واى ذنب اعظم من هذا ومن خصائص الالوهية الكمال
المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده عقلا
وشرعا وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم اخبر
من كتب على نفسه الرحمة انه لا يغفره ابدا ومن خصائص الالوهية العبودية التى لا تقوم الا على ساقى
الحب والذل فمن اعطاهما لغيره سبحانه فقد شبهه بالله تعالى فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى
العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله

شرك التعطيل

شرك التمثيل

مالم ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله تعالى اعرف الخلق به وبخلقه فعموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسنا
ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به
ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به ومنها الذبح
له سبحانه فمن ذبح لغيره فقد شبهه به ومنها حلق الرأس الى غير ذلك هذا فى جانب التشبيه واما فى جانب
التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه فى ربوبيته
وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام خلقه وفى الصحيح عنه صلى الله عليه
واله وسلم انه قال يقول الله عز وجل العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته واذا
كان المصور الذى يصنع الصورة بيده من اشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله سبحانه فى مجرد
الصنعة فما الظن بالمتشبه بالله فى الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه واله وسلم يقول الله عز وجل
ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منهما
وكذلك من تشبه به تعالى فى الاسم الذى لا ينبغى الا له سبحانه كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة
ونحوها وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل يسمى
بشاهنشاه ملك الملوك لا ملك الا الله وفى لفظ اغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك الاملاك وبالجملة فالتشبه
والتشبيه كلاهما حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن انه اذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير
اليه تعالى فانه يخطئ لكونه شبهه به واخذ ما لا ينبغى ان يكون الا له فالشرك منعه سبحانه حقه فهذا قبيح
عقلا وشرعا ولذلك لم يشرع ولم يغفر فاعله واعلم ان الذى ظن ان الرب سبحانه لا يسمع له ولا يجيب له الا
بواسطة تطلعه على ذلك وتسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فانه ان ظن انه لا يعلم ولا يسمع الا باعلام
غيره له واسماعه ذلك فقد نفى علم الله وسمعه وكمال دراكه وكفى بذلك ذنبا وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج
الى من يلينه ويعطفه عليهم فقد اساء الظن بافضال ربه وبره واحسانه وسعة جوده وبالجملة فاعظم الذنوب
عند الله تعالى اساءة الظن به ولهذا يتوعدهم فى كتابه العزيز على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال تعالى

الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا و

قال سبحانه عن خليله ابراهيم عليه السلام ء افكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اى فما ظنكم
ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه يحتاج فى الاطلاع على ضروريات عباده لمن يكون بابا

فالكبر تشبه من الشرك

فالتشبه والتشبيه كلاهما حقيقة الشرك

ظالماً فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمنا طويلا يقول امرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء اولياء الله واحبابه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الادلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم اليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل اعداءه اكثر من ثمان مائة عام فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء وما قدروه حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وبالجملة فهذا باب واسع جدا والمقصود ان كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان فما عبد احد احدا من بني آدم كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد في تعظيمه له واشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة وانه موجب للخلود في العذاب العظيم وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى ان يشرع لعباده عبادة غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وجماله واعلم ان الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به على اربعة اقسام اجلها وافضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه ان يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها غاية قصدهم ولهذا كان افضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل فقال يا معاذ والله اني احبك فلا تدع ان تقول في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى ويقابل هؤلاء القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان سأله تعالى احدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله تعالى يسأله كل من في السموات والارض ويسأله اولياؤه واعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء وابغض خلقه اليه ابليس ومع هذا اجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم يكن عونا على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده وطرده وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عونا له على طاعته كان سؤاله مبعدا له عن الله تعالى فليتدبر العاقل هذا وليعلم ان اجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته

من عبد مع الله فانما عبد شيطانا

للحوائج اليه ونحو ذلك وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم و ضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج المضطرين فاما من لا يشغله سمع عن سمع ولا بصر عن بصر و سبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به اقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل ذلك ممتنع فى العقول والفطر واعلم ان الخضوع والتاله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح فى نفسه كما قررناه لا سيما اذا كان المجعول له ذلك عبد الملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكا له كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اى اذا كان احدكم يانف ان يكون مملوكه شريكه فى رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسوائى فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى ولا عظمنى حق تعظيمى وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن انه يوصل اليه قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الى ان قال ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز وقال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فما قدر القوى العزيز الجليل حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل واعلم انك اذا تاملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت اصل ضلالهم راجعا الى شيئين احدهما ظنهم بالله ظن السوء والثانى انهم لم يقدروا الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره من ظن انه لم يرسل رسولا ولا انزل كتابا بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم واخرجها عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره اضداد هؤلاء الذين قالوا انه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه واذا استحال فى العقول ان يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من اعدل العادلين وقول هؤلاء شر من اشباه المجوس والقدرية الاذلين ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه و حكمته مطلقا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا بل جعل افعاله مفعولات منفصلة عنه ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله يحل فى مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود ولا قدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله واهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله واهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح فى الرب تعالى عن قول الرافضة وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى فى رب العالمين انه ارسل ملكا

اعتمادا عليه وتفويضا اليه ثقة به فيصير نسبة العبد اليه تعالى نسبة الطفل الى ابويه فيما ينوبه من
رغبة ورهبة فلو دهمه ما عسى ان يدهمه من الآفات لا يلتجئ الى غيرهما فان كان العبد مع هذا الاعتماد من
اهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على
الله فهو حسبه اى كافيه القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع و
لم يدر ما يحبه ويرضاه فتوكل عليه فى حظوظه وشهواته فاسعفه بها وهذا لا عاقبة له سواء كانت
اموالا او رياسات وجاها عند الخلق او نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته واعلم ان العبد لا يكون متحققا
بعبادة الله تعالى الا باصلين احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والثانى اخلاص العبودية
والناس فى هذين الاصلين اربعة اقسام اهل الاخلاص والمتابعة فاعمالهم كلها لله واقوالهم ومنعهم و
عطاءهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا وعدوا جملة الناس كاصحاب
القبور لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فانه لا يعامل احدا من الخلق الا لجهله بالله وجهله
بالخلق والاخلاص هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل عملا صوابا عاريا منه وهو الذى الزم عباده به الى
الموت قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا واحسن
العمل اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وهذا هو العمل الصالح المذكور فى قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو العمل
الحسن فى قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وهو الذى امر النبى صلى الله عليه وآله و
فى قوله كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد عامله الا بعدا من الله تعالى فان الله
تعالى انما يعبد بامره لا بالاهواء والآراء الضرب الثانى من لا اخلاص له ولا متابعة وهؤلاء شرار الخلق وهم
المتزينون باعمال الخير يراؤن بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين
الى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا وفى اضراب هؤلاء نزل قوله تعالى لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم الضرب الثالث من هو مخلص فى اعماله لكنها من غير
متابعة الامر كجهال العباد المنتسبين الى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده والشان ليس الا فى
عبادة الله كما اراد الله ومنهم من يمكث فى خلوته تاركا للجمعة والجماعات والاعياد ويرى ذلك قربة ويرى

عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة و للمعصوم من عصمه الله والانسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا انك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الامر اذا رآه سبحانه يقضى حوائج غيره يسوء ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر وامارة ذلك حمله على الاقدار وعتابه فى الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف فى قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن و اما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا اى ليس كل من اعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمته وما ذاك لكرامته على و لكنه ابتلاء منى و امتحان له ايشكرنى فاعطيه فوق ذلك ام يكفرنى فاسلبه واحوله عنه لغيره وليس كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه على وحقارته لدى وصغاره عندى و لكنه ابتلاء و امتحان منى ايصبر فاعطيه اضعاف ما فاته ام يسخط فيكون حظه السخط فاخبر تعالى ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره وتقتيره فانه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه وانما يكرم سبحانه من يكرم من عباده بان يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته فغاية سعادة العبد فى عبادة الله والاستعانة بها عليها القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان احدهما اهل القدر القائلون بانه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الالطاف و انه لم يبق فى مقدوره اعانة له على الفعل فانه قد اعانه بخلق الآلات وسلامتها و تعريف الطريق وارسال الرسول و تمكينه من الفعل فلم يبق بعدها اعانة مقدورة يسأله اياها وهؤلاء مخذولون موكولون الى انفسهم مسدودة عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنه الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله و كذب بقدره نقض توحيده النوع الثانى من لهم عبادة واوراد لكن حظهم ناقص من التوكل و الاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الاسباب بالقدر وانها بدون المقدور كالموات الذى لا تاثير له وكالعدم الذى لا وجود له وان القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الاول فلم تنفذ بصائرهم من السبب الى المسبب و من الآلة للفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم و توكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله فى ازالة جبل عن مكانه لازاله فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هى التى يعبر عنها بالتوكل وهو حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله وتفرده بالخلق والامر والتدبير والضر والنفع وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب

مواصلة صوم النهار بالليل قربة وان صيام يوم الفطر قربة وامثال ذلك الضرب الرابع من اعمال على
متابعة الامر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين كالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ليقال
ويقرأ ويحج ليقال ويعلم ويؤلف ليقال فهذه اعمال صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء فلم يؤمر الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها والقائم بهما هم اهل
اياك نعبد واياك نستعين ثم اهل اياك نعبد لهم في افضل العبادة وانفعها واحقها بالايثار والتخصيص اربعة
طرق وهم في ذلك اربعة اصناف **الصنف الاول** عندهم انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس
واصعبها قالوا لانه ابعد الاشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والاجر على قدر المشقة ورووا حديثا ليس له
اصل افضل الاعمال احمزها اى اصعبها واشقها وهؤلاء هم ارباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا
وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهانة والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الاهوال
وتحمل المشاق **الصنف الثانى** قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها
غاية الامكان وطرح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها ثم هؤلاء قسمان فعوامهم ظنوا ان هذا غاية
فشمروا اليه وعملوا عليه وقالوا هو افضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة
ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق
في محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا افضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان
ثم هؤلاء قسمان فالعارفون اذا جاء الامر والنهى بادروا اليه ولو فرقهم واذهب جمعيتهم والمنحرفون منهم
يقولون المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا اليه ويقولون يطالب بالاوراد
من كان غافلا فكيف بقلب كل وقته ورد ثم هؤلاء ايضا قسمان منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته
ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل وتعلم العلم النافع لجمعيته والحق ان الجمعية حظ القلب
واجابة داعى الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس في شئ **الصنف الثالث** رأوا ان افضل
العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه افضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح
الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع افضل لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الخلق
عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد الى الغير
فاين احدهما من الآخر ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد

قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى كرم الله وجهه لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجر من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وقال ان الله وملائكته يصلون على معلمى الخير وقال ان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى البحر والنملة فى جحرها قالوا وصاحب العبادة اذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذى تسبب فيه والانبياء عليهم السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق وهدايتهم ونفعهم فى معاشهم ومعادهم ولم يبعثوا لاجل الخلوات والانقطاع ولهذا انكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس فى رأى هؤلاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الامور الفاضلة **الصنف الرابع** قالوا افضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته فافضل العبادات فى وقت الجهاد الجهاد وان آل الى ترك الاوراد من صلوة الليل وصيام النهار بل من ترك صلوة الفرض كما فى حالة عدم الامن والافضل فى وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به والافضل فى اوقات السحر الاشتغال بالصلوة والقرآن والذكر والدعاء والافضل فى وقت الاذان ترك ما هو فيه من الاوراد والاشتغال باجابة المؤذن والافضل فى اوقات الصلوات الخمس الجد والجهد فى ايقاعها على اكمل الوجوه والمبادرة اليها فى اول الوقت والخروج الى المسجد وان بعد والافضل فى اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه والمال والبدن والافضل فى السفر مساعدة المحتاج واعانة الرفقة وايثار ذلك على الاوراد والخلوة والافضل فى وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ اوامره اعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك والافضل فى وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد فى التضرع والدعاء والذكر والافضل فى ايام عشر ذى الحجة الاكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو افضل من الجهاد الغير المتعين والافضل فى العشر الاواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى انه افضل من الاقبال على تعليمهم العلم واقراء القرآن عند كثير من العلماء والافضل فى وقت مرض الاخ المسلم عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على الخلوة والجمعية والافضل فى وقت نزول النوازل واذى الناس لك الصبر مع الخلطة بهم والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم

المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع فهذا كالغيث اين وقع نفع صحب الله بلا خلق وصحب
الخلق بلا نفس اذا كان مع الله عزل الخلق مع البنين وتخلى عنهم واذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط
وتخلى عنها فما اعز به بين الناس وما اشد وحشته منهم وما اعظم انسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه اليه
واعلم ان للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق وهم في ذلك اربعة اصناف **الصنف الاول**
نفاة الحكم والعلل الذين يردون الامر الى نفس المشيئة وصرف الارادة فهؤلاء عندهم القيام بها ليس الا لمجرد الامر
من غير ان تكون سببا للسعادة في معاش او معاد او سببا للنجاة وانما القيام بها لمجرد الامر ومحض المشيئة كما قالوا في
الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود اليه منه وليس في المخلوقات اسباب تكون مقتضيات
لمسبباتها وليس في النار سببية الاحراق ولا في الماء قوة الاغراق ولا التبريد وهكذا الامر عندهم سواء لا فرق بين
الخلق والامر ولا فرق في نفس الامر بين المامور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا ونهيه عن هذا
من غير ان يقوم بالمامور صفة تقتضي حسنه ولا بالمنهي صفة تقتضي قبحه ولهذا الاصل لوازم وفروع كثيرة و
هؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلوة والصيام والزكوة والحج
والتوحيد والاخلاص ونحو ذلك تكاليف اى كلفوا بها ولو سمى مدع محبة ملك من الملوك او غيره ما يامره به تكليفا
لم يعد محبا له واول من صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم **الصنف الثانى** القدرية النفاة الذين
يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم ان
العبادات شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفاء الاجير اجره قالوا ولهذا جعلها
سبحانه عوضا كقوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الصحيح انما هي اعمالكم احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها قالوا وقد سماها جزاء و
اجرا وثوابا لانه شئ يثوب الى العامل من عمله اى يرجع اليه قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالاعمال
عوضا عليها لم يكن للموازنة معنى وهاتان الطائفتان متقابلتان فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة وجوزت
ان يعذب الله من افنى عمره في طاعته وينعم من افنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة اليه والكل راجع الى محض
المشيئة والقدرية اوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الاعمال وان وصول
الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه على
عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وان اعطاه ما يعطيه اجرة على عمله احب الى العبد من ان يعطيه

افضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس و لا يصبر على اذاهم وخلطتهم فى الخير افضل من عزلتهم فيه و
عزلتهم فى الشر افضل من خلطتهم فيه فان علم انه اذا خالطهم ذللوه وقللوه فخلطتهم خير من اعتزالهم
وهؤلاء هم اهل التعبد المطلق والاصناف التى قبلهم اهل التعبد المقيد فمتى خرج احدهم عن الفرع الذى
تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كانه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله على وجه واحد و
صاحب التعبد المطلق ليس له غرض فى تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى
ان رايت العلماء رايته معهم وكذلك فى الذاكرين والمتصدقين واصحاب الجمعية وعكوف القلب على الله
فهذا هو غذاء الجامع السائر الى الله تعالى فى كل طريق واستحضر هنا حديث ابى بكر الصديق رضى الله عنه
وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم بحضوره هل منكم احد اطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال هل منكم
احد اصبح اليوم صائما قال ابو بكر انا قال هل منكم احد عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد
اتبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا الحديث وهذا الحديث روى من طريق عبد الغنى بن ابى عقيل قال حدثنا
نعيم بن سالم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جماعة
من اصحابه فقال من صام اليوم قال ابو بكر انا قال من عاد اليوم قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم جنازة
قال ابو بكر انا قال وجبت لك وجبت لك يعنى الجنة ونعيم بن سالم وان تكلم فيه لكن تابعه سالم بن وردان و له
اصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابى هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من انفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة
يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلوة نودى من باب الصلوة ومن كان من اهل الجهاد نودى من باب
الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الريان
فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد
من هذه الابواب كلها قال نعم ارجوان تكون منهم هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا يحيى بن يحيى
ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك رحمهم الله تعالى ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك
عن ابن شهاب عن حميد مرسلا وليس هو عند القعنبى لا مرسلا ولا مسندا ومعنى قوله من انفق زوجين
يعنى شيئين من نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين وكذلك من صلى ركعتين
او مشى فى سبيل الله خطوتين او صام يومين و نحو ذلك فانما اراد والله اعلم اقل التكرار واقل وجوه

فضلا منه بلا عمل وهم يجعلون للاعمال تاثيرا في الجزاء البتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو ان الاعمال اسباب موصلة الى الصواب في الاعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدر الجزاء وثوابه بل غايتها اذا وقعت على اكمل الوجوه ان تكون شكرا على احد الاجزاء القليلة من نعمه سبحانه فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم وتامل قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لن يدخل احد منكم الجنة بعمله تجد الاية تدل على ان الجنان بالاعمال وتجد الحديث ينفي دخول الجنة بالاعمال ولا تنافي بينهما لان تورد النفي والاثبات ليسا على محل واحد فالنفي بالثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الاعمال رد على القدرية المجوسية التي زعمت ان للاعمال تاثيرا في جزائها البتة والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببية رد على القدرية الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الاعمال وجزائها البتة ولا هي اسباب لها وانما غايتها ان تكون امارة والسنة النبوية هي ان عموم مشيئة الله وقدره لا تنافي ربط الاسباب بالمسببات وارتباطها بها وكل طائفة من اهل الباطل تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لاجله نوعا من الباطل بل انواعا فهدى الله اهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الصنف الثالث الذين زعموا ان فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى نفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت النفوس بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها عنها الى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها وهذا يقوله طائفتان احدهما من يقرب الى الاسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار والثانية من تفلسف من صوفية الاسلام ويقرب الى الفلاسفة فانهم يزعمون ان العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة الا لهذا المعنى فاذا حصل لها ذلك بقي متحيرا في حفظ وراده والاشتغال بالوارد عنها ومنهم من يوجب القيام بالاوراد وعدم الاخلال بها وهم صنفان ايضا احدهما من يقول بوجوبها حفظا للقانون وضبطا للناموس والآخرون يوجبونها حفظا للوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها الى حالتها الاولى من البهيمية فهذه نهاية اقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لاجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة او مجموعها **الصنف الرابع** هم القائلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر والسبب فعندهم

ان سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الالهية ومعنى كونه سبحانه الها وان العبادة موجب الالهية
واثرها ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور
بالقدرة والاصوات بالسمع والاحسان بالرحمة والعطاء بالجود فعندهم من قام بمعرفتها على النحو الذى فسرناها
به لغة وشرعا مصدرا وموردا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها وعلم انها هى الغاية التى خلقت لها
العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار وقد صرح سبحانه بذلك فى قوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالعبادة هى التى ما اوجدت الخلائق كلها الا لاجلها كما قال تعالى
ايحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا قال الشافعى رضى الله عنه اى لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره اى لا يثاب ولا
يعاقب على الامر والنهى وهو طلب العبادة وارادتها وحقيقة العبادة امتثالها ولهذا قال تعالى ويتفكرون فى
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وقال وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت فاخبر تبارك وتعالى انه خلق
ذلك كله بالحق المتضمن امره ونهيه وثوابه وعقابه فاذا كانت السموات والارض انما خلقت لهذا وهو
غاية الخلق فكيف يقال لا غاية له ولا حكمة مقصودة او ان ذلك لمجرد استيجار الاعمال حتى لا يتكدر عليهم
الثواب بالمنة او لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتباطها لمخالفة العوائد واذا تامل اللبيب الفرق
بين هذه الاقوال وبين ما دل عليه صريح الوحى من الله ذى الجلال علم ان الله تعالى انما خلق الخلق لعبادته الجامعة
لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لامره فاصل العبادة محبة الله تعالى بل افراده بالمحبة فلا يحب معه سواه
وانما يحب ما يحبه لاجله وفيه كما يحب انبياءه ورسله وملائكته فيه ولاجله لان محبتهم من تمام محبته تعالى
وليست كمحبة من اتخذ من دونه اندادا يحبهم كحبه واذا كانت المحبة له هى حقيقة عبوديته وسرها
فهى انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع الامر والنهى تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا
جعل سبحانه اتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم علما عليها وشاهدا لها كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله تعالى وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق
شرطه ممتنع فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ولا يكفى ذلك حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما ومتى كان عنده شئ احب اليه منهما فهو الاشراك الذى لا يغفره الله تعالى قال سبحانه قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها و

حكم من قدم قول غير الله

مساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى
القوم الفاسقين وكل من قدم قول غير الله على قول الله او حكم به او حاكم اليه فليس ممن احبه لكن قد
يشتبه الامر على من يقدم قول احد وحكمه او طاعته على قوله ظنا منه انه لا يامر ولا يحكم ولا يقول
الا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيطيعه ويحاكم اليه ويتلقى اقواله لذلك فهذا معذور اذا لم يقدر
على غير ذلك واما اذا قدر على الوصول الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرف ان غير من اتبعه اولى
به مطلقا او فى بعض الامور كمسئلة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا
الى من هو اولى به فهذا يخاف عليه وكل ما يتعلل به من عدم العلم او عدم الفهم او عدم حصول آلة
الفقه فى الدين او الاحتجاج بالاشباه والنظائر او بان ذلك المتقدم كان اعلم منى بمراده صلى الله عليه
وآله وسلم فهى كلها تعللات لا تفيد هذا مع الاقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم الا ان ينازع فى هذه
القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك سلب من خالفه وقرض عرضه
ودينه بلسانه او انتقل من هذا الى عقوبته او السعى فى اذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين

العبادة اربع قواعد

واعلم ان للعبادة اربع قواعد وهى التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب و
اللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الاربع فاصحاب العبادة حقا هم اصحابها فقول القلب
هو اعتقاد ما اخبر الله به عن نفسه واخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه من اسمائه وصفاته
وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك وقول اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب عنه
وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ امره وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه و
الانابة اليه والخوف والرجاء والاخلاص والصبر على اوامره ونواهيه واقراره والرضاء به وله وعنه و
الموالاة فيه والمعاداة فيه والاخبات اليه والطمانينة ونحو ذلك من اعمال القلوب التى فرضها آكد من فرض
اعمال الجوارح واما اعمال الجوارح فكالصلوة والجهاد ونقل الاقدام الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز
الى الخلق ونحو ذلك فقول العبد فى صلاته اياك نعبد التزام احكام هذه الاربعة واقرار بها وقوله
اياك نستعين طلب الاعانة عليها والتوفيق لها وقوله اهدنا الصراط المستقيم متضمن للامرين
على التفصيل والهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين الى الله تعالى وتبارك والله الموفق بمنه وكرمه هذا
آخر كلام المقريزى رحمه الله تعالى فى كتابه تجريد التوحيد المفيد ولله دره وعلى الله اجره فما ابلغ

هذا البيان وما اشده هداية الى صراط الرحمن وسبيل الايمان وطريق الجنان وما اجمعه لبيان الشرك وانواعه واقسامه وحقائقه وطرائقه ولعلك لا تجد مثله في هذا الباب وما اولاه مع اختصاره في جامعيته بان يكتب بمداد دماء العيون الباكية على غربة الاسلام واهله على صفائح صدور المؤمنين بالله وباليوم الاخر وسياتي لهذه الانواع من الاشراك بالله سبحانه عما يشركون بيان واضح في مطاوي الابواب وفحاوى الكتاب ومعاطف الخطاب

باب في تفسير ايتي الشرك وعدم غفرانه

قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما قال صاحب الكشاف الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما عظيما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه انتهى ثم قال في موضع اخر في تفسير قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروى انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه انتهى وقال الرازي في مفاتيح الغيب تحت تفسير الاية الاولى ما نصه اعلم ان الله تعالى لما هدد اليهود على الكفر وبين ان ذلك التهديد لا بد من وقوعه لا محالة بين ان مثل هذا التهديد من خواص الكفر فاما سائر الذنوب التي هي مغائرة للكفر فليست حالها كذلك بل هو سبحانه قد يعفو عنها فلا جرم قال ان الله لا يغفر الخ وفي الاية مسائل المسئلة الاولى هذه الاية دالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع ويدل عليه وجهان الاول ان الاية دالة على ان ما سوى الشرك مغفور فلو كانت اليهودية مغائرة للشرك لوجب ان تكون مغفورة بحكم هذه الاية وبالاجماع هي غير مغفورة فدل على انها داخلة تحت اسم الشرك الثاني ان اتصال هذه الاية بما قبلها انما كان لانها تتضمن تهديد اليهود فلولا ان اليهودية

داخلة تحت اسم الشرك ولم يكن الامر كذلك فان قيل قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا الى قوله والذين اشركوا عطف المشرك على اليهودي وذلك يقتضي المغايرة قلنا المغايرة حاصلة بسبب المفهوم اللغوي والاتحاد حاصل بسبب المفهوم الشرعي ولا بد من المصير الى ما ذكرناه دفعا للتناقض اذا ثبتت هذه المقدمة فنقول قال الشافعي رضي الله تعالى عنه المسلم لا يقتل بالذمي وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يقتل حجة الشافعي ان الذمي مشرك لما ذكرناه والمشرك مباح الدم لقوله تعالى اقتلوا المشركين فكان الذمي مباح الدم على الوجه الذي ذكرناه ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على قاتله **المسئلة الثانية** هذه الاية من اقوى الدلائل لنا على العفو عن اصحاب الكبائر واعلم ان الاستدلال بها من وجوه الوجه الاول ان قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به معناه لا يغفر الشرك على سبيل التفضل لان بالاجماع لا يغفر على سبيل الوجوب في ذلك عند ما يتوب المشرك عن شركه فاذا كان قوله ان الله لا يغفر الشرك هو انه لا يغفره على سبيل التفضل وجب ان يكون قوله ويغفر ما دون ذلك هو ان يغفره على سبيل التفضل حتى يكون النفي والاثبات متواردين على معنى واحد الا ترى انه لو قال فلان لا يعطي احدا تفضلا ويعطي زائدا فانه يفهم منه انه يعطيه تفضلا حتى لو صرح وقال لا يعطي احدا شيئا على سبيل التفضل ويعطي ازيد على سبيل الوجوب فكل عاقل يحكم بركاكة هذا الكلام فثبت ان قوله يغفر ما دون ذلك لمن يشاء على سبيل التفضل اذا ثبت هذا فنقول وجب ان يكون المراد منه اصحاب الكبائر قبل التوبة لان عند المعتزلة غفران الصغيرة وغفران الكبيرة بعد التوبة واجب عقلا فلا يمكن حمل الاية عليه فاذا تقرر ذلك لم يبق الا حمل الاية على غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب الثاني ان الله تعالى قسم المنهيات على قسمين الشرك وما سوى الشرك ثم ان ما سوى الشرك يدخل فيه الكبيرة قبل التوبة والكبيرة بعد التوبة والصغيرة ثم حكم على الشرك بانه غير مغفور قطعا وعلى ما سواه بانه مغفور قطعا لكن في حق من يشاء فصار تقدير الاية انه تعالى يغفر كل ما سوى الشرك لكن في حق من شاء ولما دلت الاية على ان كل ما سوى الشرك مغفور وجب ان تكون الكبيرة قبل التوبة ايضا مغفورة الثالث انه تعالى قال لمن يشاء فعلق هذا الغفران بالمشيئة وغفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة مقطوع به غير معلق على المشيئة فوجب ان يكون الغفران المذكور في هذه الاية هو غفران الكبيرة قبل التوبة وهو المطلوب واعترضوا على هذا الوجه الاخير بان تعليق الامر بالمشيئة لا ينافي وجوبه الا ترى انه تعالى قال بعده

هذه الاية بل الله يزكى من يشاء ثم انا نعلم انه تعالى لا يزكى الا من كان اهلا للتزكية والا كان كذبا والكذب
على الله تعالى محال فكذا ههنا واعلم انه ليس للمعتزلة على هذه الوجوه كلام يلتفت اليه الا المعارضة بعمومات
الوعيد ونحن نعارضها بعمومات الوعد والكلام فيه على الاستقصاء مذكور فى سورة البقرة فى تفسير قوله تعالى
بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحب النار هم فيها خالدون فلا فائدة فى الاعادة وروى
الواحدى فى البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل
منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادات وقال ابن عباس انى لارجو
كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب ذكر ذلك عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسكت
عمر وروى مرفوعا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال اتسموا بالايمان واقروا به فكما لا يخرج احسان المشرك
المشرك من اشراكه كذلك لا تخرج ذنوب المؤمن المؤمن من ايمانه **المسئلة الثالثة** روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه قال لما قتل وحشى حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا له
بذلك فعند ذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذنبهم وانه لا يمنعهم عن الدخول فى
الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما فى الاية فنزل قوله الا من تاب
وآمن وعمل صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا
عند ذلك فى الاسلام وطعن القاضى فى هذه الرواية وقال ان من يريد الايمان لا يجوز منه المراجعة على هذا الحد و
لان قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا لو كان على اطلاقه لكان ذلك اغراء لهم بالثبات على ما هم عليه والجواب عنه
لا يبعد ان يقال انهم استعظموا قتل حمزة وايذاء الرسول الى ذلك الحد فوقعت الشبهة فى قلوبهم ان ذلك هل
يغفر لهم ام لا فلهذا المعنى حصلت المراجعة وقوله هذا اغراء بالقبيح فهو انما يتم على مذهبه اما على قولنا انه
تعالى فعال لما يريد فالسؤال ساقط والله اعلم ثم قال ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اى اختلق ذنبا
غير مغفور يقال افترى فلان الكذب اذا اعتمله واختلقه واصله من الفرى بمعنى القطع انتهى ثم قال تحت تفسير الاية
الثانية اعلم ان هذه الاية مكررة فى هذه السورة وفى تكرارها فائدتان الاولى ان عمومات الوعيد وعمومات
الوعد متعارضة فى القرآن وانه تعالى ما اعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرتين وقد اعاد هذه
الاية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد فى سورة واحدة وقد اتفقوا على انه لا فائدة فى التكرير الا التأكيد

فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا
انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا
النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث
بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا
فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل
المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك
عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال
يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله تعالى لا يغفر لمشرك
مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام ففي الآية
دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه و
ان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك
فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية
حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره ولا حجر
عليه ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل
على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات
لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من
الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع
الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي
من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما
الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار ومن يشرك

فهذا يدل على انه تعالى خص جانب الوعد والرحمة بمزيد التاكيد وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد
والفائدة الثانية ان الآيات المتقدمة انما نزلت في سارق الدرع وقوله ومن يشاقق الرسول الى آخر
الآيات انما نزلت في ارتداده فهذه الآية انما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد ان ذلك السارق لو لم
يرتد لم يصر محروما عن رحمتي ولكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروما قطعا عن رحمة الله تعالى ثم
انه اكد ذلك بان شرح ان امر الشرك عظيم عند الله تعالى فقال ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
يعني ومن لم يشرك بالله لم يكن ضلاله بعيدا فلا جرم لا يصير محروما عن رحمتي وهذه المناسبات دالة قطعا
على دلالة هذه الآية على ان ما سوى الشرك مغفور قطعا سواء حصلت التوبة او لم تحصل ثم انه تعالى
بين كون الشرك ضلالا بعيدا فقال ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله
ان ههنا معناه النفي ونظيره قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويدعون بمعنى يعبدون
لان من عبد شيئا فانه يدعوه عند احتياجه اليه الى آخر ما قال انتهى وقال النسفي رحمه الله تعالى في
تفسيره مدارك التنزيل تحت تفسير الآية الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به ان مات عليه ويغفر ما دون
ذلك اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان
وعد غفران ما دونه لمن لم يتب اي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده
بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال علي رضي الله تعالى عنه ما في
القرآن آية احب الي من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة
بينهما وذا فيما ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما كذب كذبا عظيما استحق به عذابا اليما انتهى
واما الآية الثانية فما تكلم فيها ببنت شفة بل احال تفسيرها على الاولى وقال مر تفسيره في هذه السورة وقال
الامام الحجة العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي الصوفي المعروف بالخازن رحمه الله في تفسيره لباب التاويل
تحت تفسير الآية الاولى قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع
وقيل ان الآية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله تعالى عنه ورجع الى مكة ندم هو واصحابه

الدعاء هو العبادة

بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه انتهى ثم قال في تفسير الآية الثانية ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات مشركا ثم ذكر قول ابن عباس انها نزلت في شيخ من الاعراب الخ ثم قال فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشاء يعني لمن يشاء من اهل التوحيد قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التاكيد ولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك انتهى وقال العلامة المفتي ابو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره ارشاد العقل السليم تحت تفسير الآية الاولى ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه للاصلاح لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر

للايذان ببعد درجته وكونه فى اقصى مراتب القبح اى ويغفر ما دونه فى القبح من المعاصى صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اى لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء فى استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصى من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثانى عمن تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصى ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اى افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا انتهى واما الثانية فقال قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا ثم ذكر رواية ابن عباس رضى الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الخ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء فى هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه انتهى وقال الشيخ العلامة على المهائمى قدس سره فى تفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان تحت تفسير الاولى ان الله لا يغفر ان يشرك به كما لا يغفر ملوك الدنيا من اشرك بهم فى ملكهم ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجاز ان يغفر لكم ما شاكم لو امنتم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحريفكم لو رجعتم الى المنزل وكيف يغفر للمشرك ومن يشرك بالله فقد افترى اى قصد اثما عظيما تقتضى الحكمة التعذيب عليه باعظم الوجوه وهو التخليد فى النار انتهى واما الاية الثانية فقال فى تفسيرها ثم اشار الى ان وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو مستلزم للشرك بالله اذ خلق المعجزات لا يكون الا لكامل القدرة ولا يكون الا الاله فاذا نفاها عن الله فقد اثبت له شريكا ان الله لا يغفر ان يشرك به ومخالفة الاجماع يجوز ان تكون مغفورة لانه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اذ لا تنتهى الى الشرك وكيف يغفر ان يشرك به وهو اعظم وجوه الضلال فان من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا فترك جزائه

یستلزم التسویة بینه وبین الهدایة الکاملة انتهی وقال الشیخ اسمٰعیل حقی افندی رحمه الله تعالیٰ فی تفسیره روح البیان تحت تفسیر الایة الاولیٰ ان الله لا یغفر ان یشرك به ای لا یغفر الکفر ممن اتصف به بلا توبة وایمان لان الحکمة التشریعیة مقتضیة لسد باب الکفر وجواز مغفرته بلا ایمان مما یؤدی الی فتحه ولان ظلمات الکفر والمعاصی انما یسترها نور الایمان فمن لم یکن له ایمان لم یغفر له شیٔ من الکفر والمعاصی ویغفر ما دون ذلك ای یغفر ما دون الشرك فی القبح من المعاصی صغیرة کانت او کبیرة تفضلا من لدنه واحسانا من غیر توبة عنها لکن لا لکل احد بل لمن یشاء ان یغفر له ممن اتصف به فقط ای لا بما فوقه قال شیخنا السید الثانی سمی جامع القران وهم المؤمنون الذین اتقوا من الاشراك بالله تعالیٰ فیغفر لهم ما دون الاشراك من الصغائر والکبائر لعدم اشراکهم به ولا یغفر للمشرکین ما دون الاشراك ایضا لاشراکهم به فکما ان اشراکهم لا یغفر فکذلك ما دون اشراکهم لا یغفر بخلاف المؤمنین فانه تعالیٰ کما وقاهم من عذاب الاشراك بحفظهم عنه کذلك وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم ومن یشرك بالله فقد افتری اثما عظیما ای من افتری واختلق مرتکبا اثما لا یقادر قدره ویستحقر دونه جمیع الاثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا وهذه الایة من اجل الایات التی کانت خیر الهذه الامة مما طلعت علیه الشمس وما غربت واعظمها لانها تؤذن بان ما دون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشیئة والوعد المعلق بالمشیئة من الکریم محقق الانجاز خصوصا لعباده الموحدین المخلصین من المهدیین کما قال لهم ان الله یغفر الذنوب جمیعا ثم ذکر قصة وحشی قاتل حمزة رضی الله عنه قال ورأی ابو العباس شریح فی مرض موته کان القیامة قد قامت واذ الجبار سبحانه وتعالیٰ یقول این العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فیما علمتم فقلنا یا رب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فکانه لم یرض به واراد جوابا اخر فقلت اما انا فلیس فی صحیفتی شرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال الله تعالیٰ اذهبوا فقد غفرت لکم ومات شریح بعده بثلاث لیال وهذا من حسن الظن بالله تعالیٰ

کنونت کہ چشم ست اشکے ببار	زبان در دہان ست عذرے بیار
کنون باید ت عذر تقصیر گفت	نہ چون نفس ناطق زگفتن بخفت
غنیمت شمار این گرامی نفس	کہ بے مرغ قیمت ندارد قفس

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب فمراتب الشرك ثلاث الجلی والخفی والاخفی وکذلك مراتب المغفرة فالشرك الجلی بالاعیان وهو للعوام وذلك بان یعبد شیٔ من دون الله تعالیٰ کالاصنام والکواکب

وغیرها فلا یغفر الا بالتوحید وهو اظهار العبودیة فی اثبات الربوبیة مصدقا بالسر والعلانیة والشرك الخفی بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودیة بالالتفات الی غیر الربوبیة فی العبادة کالدنیا والهوی وماسوی المولی فلا یغفر الا بالواحدانیة وهی افراد الواحد للواحد بالواحد والشرك الاخفی وهو للاخص وذلك رؤیة الاغیار والانانیة فلا یغفر الا بالوحدة وهی فناء الناسوتیة فی بقاء اللاهوتیة لیبقی بالهویة دون الانانیة فان الله لا یغفر بمراتب المغفرة ان یشرك به بمراتب الشرك ویغفر مادون ذلك لمن یشاء ای لمن یشاء المغفرة فیستغفر الله تعالی من مراتب الشرك فیغفر له بمراتب المغفرة ومن یشرك بالله بمراتب الشرك فقد افتری اثما عظیما ای جعل بینه وبین الله حجابا من اثبات وجود الاشیاء وانانیته وهی اعظم الحجب کما قیل ع وجودك ذنب لا یقاس به ذنب ه

نیستی جولانگه اهل دل است	شاهراه عاشقان کامل است
چون وجودت محو کردی از میان	نور وحدت چشم دل را شد عیان
شرك رهزن باشد ای دل در طریق	ذکر توفیق خدا را کن رفیق

انتهی واما الایة الثانیة فذکر فی تفسیرها قصة الشیخ ثم قال فالشرك غیر مغفور الا بالتوبة عنه وما سواه مغفور سواء حصلت التوبة اولم تحصل لکن لا لکل احد بل لمن یشاء الله مغفرته ومن یشرك بالله فقد ضل ضلالا بعیدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة قال المحدادی ای فقد ذهب عن الصواب والهدی ذهابا بعیدا وحرم الخیر کله والفائدة فی قوله بعیدا ان الذهاب عن الجنة علی مراتب ابعدها الشرك بالله تعالی انتهی فالشرك اقبح الرذائل کما ان التوحید احسن الحسنات والسیئات علی وجوه کاکل الحرام وشرب الخمر والغیبة ونحوها لکن اسوء الکل الشرك بالله ولذلك لا یغفر وهو جلی وخفی حفظنا الله منهما وکذا الحسنات علی وجوه ویجمعها العمل الصالح وهو ما ارید به وجه الله واحسن الکل التوحید لانه اساس جمیع الحسنات وقامع السیئات ولذلك لا یوزن قال علیه السلام کل حسنة یعملها ابن ادم توزن یوم القیامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فی میزان لانها لو وضعت فی میزان من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فیهن کان لا اله الا الله ارجح من ذلك انتهی وقال الخطیب الشربینی قدس سره فی تفسیره السراج المنیر عند تفسیر الاولی ان الله لا یغفر ان یشرك به ای لا یغفر الاشراك به ثم ذکر روایة ابن عمر رضی الله عنهما فی شان نزولها ثم قال ولما اخبر بعدله اخبر

تعالیٰ بفضله فقال ويغفر ما دون ذلك الامر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة ام
كبيرة سواء تاب فاعلها ام لا ورهب بقوله اعلاما بانه مختار لا يجب عليه شئ لمن يشاء ۚ وقال الكلبي
نزلت هذه الاٰية فی وحشی الخ ومن يشرك بالله فقد افترى اى ارتكب اثما عظيما اى كبيرا فالافتراء كما يطلق
على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق روى ان رجلا قال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا
يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار وروى ابو ذر انه صلى الله عليه و
اٰله وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق الخ واما
الاٰية الثانية فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به اى وقوع الشرك به من اى شخص كان وباى شئ كان ويغفرها
اى كل شئ هو دون ذلك اى من سائر المعاصى لكن لمن يشاء لان جميع الامور بمشيته ثم ذكر
قصة الشيخ انتهى وقال الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالیٰ فی تفسيره الجلالين ان الله لا يغفر
ان يشرك اى الاشراك به ويغفر ما دون سوى ذلك من الذنوب لمن يشاء المغفرة له بان يدخله الجنة
بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ومن يشرك بالله فقد افترى اثما ذنبا
عظيما كبيرا انتهى واما الاٰية الثانية فلم يفسرها بشئ الا قوله بعيدا عن الحق انتهى وقال الشيخ السيد معين الدين
رحمه الله تعالیٰ فی تفسيره جامع البيان ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا يغفر
لعبد لقيه مشركا ويغفر ما دون الشرك صغيرا وكبيرا لمن يريد تفضلا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما
عظيما يستحقر دونه الذنوب انتهى واما الثانية فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن لقيه مشركا ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء غفرانه ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا فانه اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب ثم ذكر قصة طعمة وقصة شيخ انتهى وقال القرطبى فی تفسيره تحت تفسير الاولى ان الله لا
يغفر ان يشرك به روى ان النبى صلى الله عليه واٰله وسلم تلا ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال له رجل
يا رسول الله والشرك فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا من المحكم
المتفق عليه الذى لا اختلاف فيه بين الامة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من المتشابه الذى قد تكلم
العلماء فيه فقال محمد بن جرير الطبرى قد ابانت هذه الاٰية ان كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله عز وجل ان
شاء عفا عنه ذنبه وان شاء عاقبه عليه ما لم يكن كبيرته شركا بالله جل وعز وقال بعضهم قد بين الله جل و
عز ذلك بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فاعلم انه يشاء ان يغفر الصغائر

لمن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن اتى الكبائر وذهب بعض اهل التاويل الى ان هذه الآية ناسخة للتي في آخر الفرقان فانه قال زيد بن ثابت نزلت سورة النساء بعد الفرقان بستة اشهر والصحيح ان لا نسخ لان النسخ في الاخبار مستحيل وسياتي بيان الجمع بين الآي في هذه السورة وفي الفرقان ان شاء الله تعالى وفي الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما في القرآن آية احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال هذا حديث حسن غريب انتهى واما الآية الثانية فقال وفي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به رد على الخوارج حين زعموا ان مرتكب الكبيرة كافر وقد تقدم القول في هذا المعنى ثم ذكر قول علي المذكور قال قال ابن فورك واجمع اصحابنا على انه لا تخليد للفاسق وان الفاسق من اهل القبلة اذا مات غير تائب فانه ان عذب بالنار فلا محالة ان يخرج منها بشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او بابتداء رحمة من الله تعالى وقال الضحاك ان شيخا من الاعراب جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخ انتهى وقال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسيره فتح القدير ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ولا يختص بكفار اهل الحرب لان اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة ولا خلاف بين المسلمين ان المشرك اذا مات على شركه لم يكن من اهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير اهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته واما غير اهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن جرير قد ابانت هذه الآية ان كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرته شركا بالله عز وجل وظاهره ان المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلا منه ورحمة وان لم يقع من ذلك المذنب توبة وقيد ذلك المعتزلة بالتوبة وقد تقدم قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وهي تدل على ان الله سبحانه يغفر سيئات من اجتنب الكبائر فيكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته اخرج ابن ابي حاتم والطبراني عن ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي ابن اخ لا ينتهي عن الحرام قال وما دينه قال يصلي ويوحد الله قال استوهب منه دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل منه ذلك فابى عليه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره وقال وجدته شحيحا على دينه فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية واخرج ابن الضريس وابو يعلى وابن المنذر وابن عدي

بسند صحیح عن ابن عمر قال کنا نمسك عن الاستغفار لاهل الکبائر حتی سمعنا من نبینا صلی الله علیه وآله وسلم
ان الله لا یغفر ان یشرك به ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء وقال انی ادخرت دعوتی وشفاعتی لاهل الکبائر من امتی
فامسکنا عن کثیر مما کان فی انفسنا واخرج ابن جریر وابن المنذر عن ابن عمر قال لما نزلت یا عبادی الذین
اسرفوا علی انفسهم الآیة قام رجل فقال والشرك یا رسول الله فکره ذلك النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال
ان الله لا یغفر ان یشرك به ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء واخرج ابن المنذر عن ابی مجلز ان سؤال هذا
الرجل هو سبب نزول ان الله لا یغفر ان یشرك به ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء واخرج ابو داؤد فی ناسخه وابن ابی
حاتم عن ابن عباس قال فی هذه الآیة ان الله حرم المغفرة علی من مات وهو کافر وارجی اهل التوحید الی مشیئته
فلم یؤیسهم عن المغفرة واخرج الترمذی وحسنه عن علی علیه السلام قال احب آیة الی فی القران ان الله لا
یغفر ان یشرك به الآیة انتهی واما الآیة الثانیة فقال تحت تفسیرها قد تقدم تفسیر هذه الآیة وتکریرها
بلفظها للتاکید وقیل کررت هنا لاجل قصة بنی ابیرق وقیل انها نزلت هنا لسبب غیر قصة بنی ابیرق وهو
ما رواه الثعلبی والقرطبی فی تفسیریهما عن الضحاك ان شیخا من الاعراب جاء الخ انتهی وقال الشیخ احمد المدعو
بملاجیون رحمه الله تعالی فی کتابه التفسیرات الاحمدیة ما نصه هذه الآیة المذکورة فی القران فی هذه السورة
مرتین وهذه اولهما وقد قال فی الثانیة ومن یشرك بالله فقد ضل ضلالا بعیدا وقیل فی نزول الآیة الثانیة
انه جاء شیخ وذکر قصته قال ولم ینقل فی نزول الآیة الاولی شیء وهی مع اختها فی باب من لم یتب والمفهوم من کل
منهما ان الشرك بدون التوبة غیر مغفور البتة وما دون ذلك من الذنوب موقوف علی مشیئة الله تعالی ان شاء
عذب علیها وان شاء عفا عنها سواء کانت صغیرة او کبیرة واما التائب فمعفو من الله تعالی البتة فضلا منه
لا وجوبا علیه سواء کان شرکا او غیره من الصغائر والکبائر هذا هو مذهب اهل السنة والجماعة وقال المعتزلة
ان الرجل اذا اجتنب الکبائر کان صغائره مغفورة البتة تمسکا بقوله تعالی ان تجتنبوا کبائر ما تنهون
عنه نکفر عنکم سیئاتکم وندخلکم مدخلا کریما اذ السیئات هی الصغائر للمقابلة ونحن نحمل الکبائر علی الکفر
اذ هو الکامل منها وجمعه باعتبار انواع الکفر او افراده القائمة بافراد المخاطبین علی ما نص به فی شرح العقائد
والسیئات تطلق علی الکبائر والصغائر جمیعا فیصیر المعنی ان تجتنبوا الکفر نکفر عنکم ذنوبکم ونحمله علی
علی الفضل والکرامة لا علی الوجوب بدلیل هذه الآیة لان قوله تعالی ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء اعم
من الکبیرة والصغیرة فیجوز ان یغفر الکبیرة بالفضل وان یعذب علی الصغیرة بالعدل فهذه الآیة حجة

عليهم ثم انهم اى المعتزلة قالوا معنى الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن يشاء اى لمن لم يتب و
يغفر ما دون ذلك لمن يشاء اى لمن تاب على ما نص به فى الكشاف وغيره وهو باطل بالبداهة فى التعقل
لان الكفر لما كان مغفورا عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
فما دونه من الذنوب اولى ان يغفر بالتوبة والآية انما سيقت لبيان التفرقة بين الكفر وسائر الذنوب وهو
فيما ذكرنا لا فيما زعموا كما نص به فى المدارك فاذا كان المقصود التفرقة بينهما كانت الآية حجة ايضا على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار كما نص فى البيضاوى ولا يقال ان قوله تعالى قل
يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
يدل على ان الشرك ايضا مغفور لانا نقول قد صرح الامام الزاهد ان المراد من قوله اسرفوا على انفسهم ان كان
الاسراف بالشرك والذنوب جميعا كان معنى ان الله يغفر الذنوب جميعا يغفرها اذا آمنتم وان كان الاسراف
بالذنوب فقط فهو المطلوب ويكون اضافة العباد الى الله على الاول اضافة التمليك وعلى الثانى اضافة التكريم
والتقرب وذلك لان الآيات الواردة فى عدم مغفرة الشرك قطعية كالآيتين المذكورتين وكقوله ومن يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة وامثاله والآية المعارضة المذكورة تحتمل المعانى فلا تستطيع ان تعارضها
بل يجب حملها على معنى يطابق تلك الآيات وذلك فيما ذكرنا وكلام غيره ايضا يدل على ان المراد غير الشرك ولكن
يشكل بانه لم يقيد المغفرة ههنا بالتوبة كما قيل فى قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولكن لا باس به لانه لا
يدل على وجوب المغفرة البتة لكل واحد من غير توبة ومن غير عقوبة حتى ينافى الوعيد بالتعذيب ويعنى
من التوبة الاخلاص بالعمل بل على ان الذنوب كلها سوى الشرك تحت مشيئته يمكن ان يعفو عنها عفوا ولو
بعد بعد هكذا قال القاضى الاجل فكانه يؤل الى معنى قوله لمن يشاء وصاحب الكشاف قيده بالتوبة زعما
لمذهبه ان الكبائر لا تغفر بدون التوبة ولكنه خلاف الظاهر لا حاجة اليه وقد ذكروا فى شان نزوله
اوجها متعددة لا نوردها لطول الكلام وكثرة الملال انتهى قال القاضى البيضاوى رحمه الله تعالى فى
تفسيره تحت تفسير الآية الاولى ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولانه
ذنب لا ينمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك صغيرا
كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن
يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد

بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة وبعدها فالاية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل مرتكب شرك وان صاحبه خالد فى النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق انتهى واما الثانية ان الله لا يغفر الخ فقال كررت للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الخ ومن يشرك بالله الخ قال وانما ذكر فى الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله سبحانه وتعالى انتهى قال الشهاب الخفاجى فى العناية قوله واول المعتزلة الخ رد على الزمخشرى فيما تعسفه هنا وتقريره كما قال النحرير انه لا خفاء فى ان ظاهر الاية التفرقة بين الشرك وما دونه بان الله لا يغفر الاول البتة ويغفر الثانى لمن يشاء ونحن نقول بذلك عند عدم التوبة فحملنا الاية عليه بقرينة الايات والاحاديث الدالة على قبول التوبة فيهما جميعا ومغفرتهما عندها بلا خلاف من احد لا يقال حقيقة المغفرة الستر وترك اظهار الاثر والمؤاخذة على ما هو باق كالمعصية المتصف بها الشخص تاب او لم يتب وهذا لا يتصور فى الشرك الا على تقدير عدم التوبة عنه بالايمان اذ هو مع الايمان يزول عنه بالكلية ولا يبقى حتى يغفر وانما المغفرة بالنسبة اليه ترك التعيير بما سلف منه وهما معنيان مختلفان فان لا يقع اللفظ عليهما فلا حاجة فى الاية الى التقييد بعدم التوبة اذ لا مغفرة للشرك الباقى البتة بخلاف ما دونه لمن يشاء لانا نقول الزائل بالايمان هو الكيفية الحاصلة فى النفس من الاعتقاد الباطل واما كونه قد اشرك فمساو لكونه قد زنى واما المعتزلة فلا يقولون بالتفرقة بين الشرك وما دونه من الكبائر فى انهما يغفران بالتوبة ولا يغفران بدونها فحملوا الاية على معنى ان الله لا يغفر الاشراك لمن شاء ان لا يغفر له وهو غير التائب ويغفر ما دونه لمن يشاء ان يغفر له وهو التائب فقيد المنفى بما قيد به المثبت على قاعدة التنازع لكن من يشاء فى الاول المصرون بالاتفاق وفى الثانى التائبون قضاء لحق التقابل وليس هذا من استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متضادين لان المذكور انما تعلق بالثانى وقدر فى الاول مثله والمعنى واحد لكن مفعول المشيئة يقدر فى الاول عدم الغفران وفى الثانى الغفران بقرينة سبق الذكر فان قيل لا يخفى انه لا بد فى من يشاء من عائد على الموصول وهو فى المثبت تقديره من يشاء الله ان يغفر له والمنفى لا يتوجه اليه قلنا مراده التوجه الى لفظ من يشاء ثم الحمل على ما يناسب من المعنى وعبارته توهم ان العائد الى الموصول

ضمير الفاعل كما قيل وليس كذلك وللقائل ان يقول بعد تسليم ما مر لا جهة لتخصيص كل من القيدين
بما ذكر لان الشرك ايضا يغفر للتائب وما دونه لا يغفر للمصر من غير فرق بينهما وسوق الاية ينادي على
التفرقة ويأخذ بكظم المعتزلة حتى ذهب البعض منهم الى ان ويغفر عطف على المنفي والنفي منسحب عليهما
فالاية للتسوية بينهما لا للتفرقة ومن تحريف كلامه تعالى قوله اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة الخ يعني
انه ترك المفعول الاول للمحافظة على عمومه فان حذفه يفيد ذلك فذكر انه لا وجه للمحافظة عليه في
احدهما دون الاخر واما كونه من التنازع كما قرره النحرير فغير متوجه مع اختلاف متعلق المشيئة فيهما وما
ذكره لتوجيهه تعسف لا يصلح ما افسده الدهر قوله ونقض لمذهبهم الخ رده صاحب الكشف فقال ثم ما قاله
بعض الجماعة من ان التقييد بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة ووجوب الصفح بعدها لم يصدر عن
ثبت لان الوجوب بالحكمة يؤكد المشيئة عندهم وايضا فانه اشار بتمثيله بان الامير يبذل القنطار لمن يشاء
ولا يبذل الدينار لمن لا يشاء بان المشيئة بمعنى الاستحقاق وهي تقتضي الوجوب وتؤكده كما قال المدقق
فلا يرد ما ذكره راسا ووجه الزام الخوارج يفهم من التقابل فافهم انتهى وقال في كتاب التمييز لما اودع
الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز ما نصه ان الله لا يغفر ان يشرك به قال الزمخشري
فيه ما مقتضاه ان مقصوده ان ينظر ويقابل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن لم يتب من
الشرك وانه يغفر له ان تاب منه على القطع ثم اشار ان ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمن تاب ايضا
على القطع فان لم يتب لم يغفر له اصلا بناء منه على مقابلة اخر الكلام لاوله فخرج له من ذلك على زعمه
انه لا يغفر لمن مات مصرا من عصاة المؤمنين وهو اعتزال ملفق من النظر الى مواضع الكلام وتنظيره و
نزول نصه ووجه دليله على تحقيقه ولو سلمنا هذه المقابلة التي الاجماع على تركها لاجل نصه تعالى على انه
لا يغفر للمشرك وان من عصى بما دون الشرك في المشيئة هذا نص الاية فترك هذا ومخالفته لاجل مقابلة
اول الكلام لاخره من عمى البصيرة فان النظير انما يرجع اليه مع عدم النص لانه كالقياس ولا قياس مع وجود
النص هذا ما اجمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكره امام الحرمين في البرهان على
تقدير تسليم هذه المقابلة كما ذكرناه وان مقتضى ذلك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لمن تاب فمفهومه
انه ان لم يتب فلا غفران له فالقول بهذا المفهوم وهو مفهوم المخالفة ضعيف لضعف دلالته ومع
ضعفه فالمعتزلة لا تقول به فكيف تخرج مثله بما لا يقول به لا هو ولا شيعته ثم القائلون بدلالته

یشترطون فی ذلک ان لایکون دلیل آخر یدل علی نقضه فان کان ذلک بطلت دلالته ویکون ذلک
الخطاب لامفهوم له البتة وهذا الموضع قد دلت الدلائل الشرعیة القطعیة والعقلیة علی جواز الغفران
للمصرین ویرجی ذلک لهم واجمعت الامة فی ذلک قبل خلق المعتزلة ثم ان عوقبوا فلابد من خروجهم
بالشفاعة المتواتر نقلها فلم یصح للزمخشری من تلفیقه لنصرة اعتزاله شیٔ وقوله فی اثناء کلامه انه قد تبین
یعنی ما قاله مغالطة بل تبین ضده وهو الحق ومتی تبین الاعتزال قط بل دلالته داحضة وحجته
ساقطة بما بیناه من الدلائل القطعیة العقلیة والشرعیة انتهی واما الآیة الثانیة فقال ویغفر ما دون
ذلک لمن یشاء ذکر فیه قصة الرجل الذی کثرت ذنوبه اتی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اخبره وتاب
فنزلت ثم قال وهذا الحدیث ینصر قول من فسر من یشاء بالتائب من ذنبه ولم یعلم الزمخشری من علم اصول
الفقه شیئا لانه لو قدرنا صحة هذا الخبر فهو آحاد وقواعد العقائد مبناها القطعیات دون الظنیات
ومع ذلک فالحکم الشرعی قد یکون له سبب خاص ویراد اعم من سببه کما سئل علیه الصلوة والسلام عن
ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل میتته فکذلک وردت هذه الآیة بصیغة من المقتضیة للعموم وان
کان السبب علی الخصوص فدخل هذا التائب فی عموم من شاء الله تعالی ان یغفر له غفر له وهذا الذی یقوله
محققوا اهل الحق کالقاضی ابی بکر رحمه الله تعالی ومن سلک مسلک تحقیقه فبطل متمسک الزمخشری
بها فی وجوب تخصیص المغفرة بالتائبین والقطع بالمغفرة لهم فلم یقطع بالمغفرة لمن تاب من الکفر لقوله
تعالی قل للذین کفروا ان ینتهوا یغفر لهم ما قد سلف وللاجماع علی ذلک فکانت الدلائل هنا قطعیة بخلاف
من دلائله فیکون المغفرة له علی الرجاء وقد تقدم بیان هذا کله انتهی وقال الملا کمال الدین حسین الواعظ
الکاشفی الهروی رحمه الله فی تفسیره المسمی المواهب العلیه المعروف بالتفسیر الحسینی ما نصه ان الله لایغفر
بدرستیکه خدای تعالی نمی آمرزد ان یشرک به آنرا که شرک آورند بوی و شریک گیرند در عبادت او ویغفر ما دون ذلک ومیآمرزد
آن گناهی را که غیر از شرک بود لمن یشاء مر آنکس را که خواهد از روی تفضل واحسان نه بوسیلهٔ عبادت وعرفان شیخ امام
زاهد فرموده که می آمرزد قبل العذاب هر که را خواهد وبعد العذاب جمیع عصات را خواهد آمرزید ومن یشرک بالله
وهر که شرک آرد بخدای وانباز گیرد باو فقد افتری پس بدرستیکه افترا کرده باشد وبربافته اثما عظیما دروغ بزرگ را
که بدان مستحق عذاب بزرگ گردد انتهی وقال فی تفسیر الآیة الثانیة ان الله لایغفر بدرستیکه نیامرزد خدای ان یشرک
به آنرا که شرک آرد بخدای ویغفر ما دون ذلک وبیامرزد آنچه جز این ست لمن یشاء هر که را خواهد بعده در شان نزولش همان

لی بعد هذا بیاض قلیل فی الام فلیعلم ۱۲

قصہ شیخ ذکر کردہ ومن یشرک باللہ وہر کہ شرک آرد بخدای فقد ضل پس ہر آئینہ گمراہ شد از حق ضلالا بعیدا گمراہی
دور یعنی در نہایت ضلالت مولانا شیخ عبد القادر صاحب رحمہ اللہ تعالی در موضح القرآن بزیر ترجمہ آیت ثانیہ این فائدہ نوشتہ
اند. **ف** اوپر سے ذکر تھا منافقوں کا جو پیغمبر کے حکم پر راضی نہ ہوئے اور جدی راہ چلے پھر یہ آیت فرمائی کہ اللہ شرک نہیں بخشتا
تو شرک فرمایا۔ حکم میں شریک کرنیکو یعنے سوائے دین اسلام کے اور دین پسند رکھے اور اسپر چلے پس جو دین ہیں سوائے
اسلام کے سب شرک ہی اگرچہ پوجنے میں شرک نہ کرتے ہوں انتہی قال الشیخ العلامۃ الحافظ عماد الدین بن کثیر
تحت تفسیر الآیۃ الاولی ان اللہ لا یغفر ان یشرک بہ ای لا یغفر لعبد لقیہ وهو مشرک بہ ویغفر ما
دون ذلک لمن یشاء من الذنوب من عبادہ وقد وردت احادیث متعلقۃ بھذہ الآیۃ الکریمۃ
فلنذکر منہا ما تیسر الحدیث الاول قال الامام احمد رضی اللہ عنہ بسندہ عن عائشۃ قالت قال رسول
اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم الدواوین عند اللہ ثلاثۃ دیوان لا یعبأ اللہ بہ شیئا ودیوان لا یترک اللہ منہ
شیئا ودیوان لا یغفرہ اللہ اما الدیوان الذی لا یغفرہ اللہ فالشرک باللہ قال اللہ تعالی ان اللہ لا یغفر ان
یشرک بہ الآیۃ وقال انہ من یشرک باللہ فقد حرم اللہ علیہ الجنۃ واما الدیوان الذی لا یعبأ اللہ بہ شیئا
فظلم العبد نفسہ فیما بینہ وبین اللہ من صوم یوم ترکہ او صلوۃ فان اللہ یغفر ذلک ویتجاوز ان شاء واما
الدیوان الذی لا یترک منہ شیئا فظلم العباد بعضہم بعضا لا محالۃ تفرد بہ احمد الحدیث الثانی قال البزار فی
مسندہ بسندہ عن انس رض بن مالک عن النبی صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم قال الظلم ثلثۃ فظلم لا یغفرہ اللہ وظلم یغفرہ
اللہ وظلم لا یترک اللہ منہ شیئا فالظلم الذی لا یغفرہ اللہ فالشرک وقال ان الشرک لظلم عظیم واما الظلم الذی
یغفرہ اللہ فظلم العباد لانفسہم فیما بینہم وبین ربہم واما الظلم الذی لا یترکہ فظلم العباد بعضہم بعضا حتی یدین
اللہ لبعضہم من بعض الحدیث الثالث قال احمد بسندہ عن ابی ادریس قال سمعت معاویۃ رض یقول سمعت رسول
صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم یقول کل ذنب عسی اللہ ان یغفرہ الا الرجل یموت کافرا او الرجل یقتل مؤمنا متعمدا
ورواہ النسائی عن محمد بن المثنی عن صفوان بہ الحدیث الرابع قال احمد رض بسندہ ان ابا ذر حدث ابن غنم
عن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم قال ان اللہ یقول یا عبدی انک ان لقیتنی بقراب الارض خطایا
ثم لقیتنی لا تشرک بی شیئا لقیتک بقرابہا مغفرۃ تفرد بہ احمد رض من هذا الوجہ الحدیث الخامس قال احمد
بسندہ ان ابا ذر حدث ابا الاسود الدیلی ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم قال ما من عبد قال
لا الہ الا اللہ ثم مات علی ذلک الا دخل الجنۃ قلت وان زنی وان سرق قال وان زنی وان سرق قلت و

ان زنی وان سرق قال وان زنی وان سرق ثلاثا قال فی الرابعة علی رغم انف ابی ذر قال فخرج ابو ذر
یجر ازاره وهو یقول وان رغم انف ابی ذر و اخرجاه ایضا من حدیثه وههنا طریق اخری لحدیث ابی ذر
قال احمد رح بسنده عن ابی ذر قال کنت امشی مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم من حرة المدینة عشاء ونحن ننظر الی
احد فقال یا اباذر قلت لبیک یا رسول الله قال ما احب ان لی احد ذهبا امسی ثالثة وعندی منه دینار الا
دینار ارصده یعنی لدین الا ان اقول به علی عباد الله هکذا وهکذا فحثی عن یمینه وعن یساره وبین یدیه
قال ثم مشینا فقال یا اباذر ان الاکثرین هم الاقلون یوم القیامة الا من قال هکذا وهکذا فحثی عن یمینه و
وبین یدیه وعن یساره ثم مشینا فقال یا اباذر کما انت حتی اتیك قال فانطلق حتی توارى عنی قال فسمعت لغطا
واصواتا فقلت لعل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عرض له قال فهممت ان اتبعه قال فذکرت قوله
لا تبرح حتی اتیك فانتظرته حتی جاء فذکرت له الذی سمعت فقال ذاك جبریل اتانی فقال من مات من
امتك لا یشرك بالله شیئا دخل الجنة قلت وان زنی وان سرق قال وان زنی وان سرق اخرجاه من حدیث
الاعمش به وقد روى البخاری ومسلم ایضا کلاهما عن قتیبة باسنادهما عن ابی ذر قال خرجت لیلة من
اللیالی فاذا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یمشی وحده لیس معه انسان قال فظننت انه یکره ان یمشی
معه قال فجعلت امشی فی ظل القمر فالتفت فرآنی فقال من هذا فقلت ابو ذر جعلنی الله فداك قال یا اباذر
تعاله قال فمشیت معه فقال ان المکثرین هم المقلون یوم القیامة الا من اعطاه الله خیرا فجعل یبثه عن یمینه
وشماله وبین یدیه ووراءه وعمل فیه خیرا قال فمشیت معه ساعة فقال اجلس ههنا قال فاجلسنی فی قاع
حوله حجارة فقال اجلس ههنا حتی ارجع الیك فانطلق فی الحرة لا اراه فلبث عنی حتی اذا طال اللبث ثم انی
سمعته وهو مقبل وهو یقول وان زنی وان سرق قال فلما جاء لم اصبر حتی قلت یا نبی الله جعلنی الله
فداك من تکلم فی جانب الحرة فانی سمعت احدا یرجع الیك قال ذاك جبریل عرض لی من جانب الحرة فقال
بشر امتك انه من مات لا یشرك بالله شیئا دخل الجنة قلت یا جبریل وان سرق وان زنی قال نعم وان شرب الخمر
الحدیث السادس قال عبد بن حمید فی مسنده بسنده عن جابر قال جاء رجل الی رسول الله صلی الله علیه
وآله وسلم فقال یا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا یشرك بالله شیئا وجبت له الجنة ومن
مات یشرك بالله شیئا وجبت له النار تفرد به من هذا الوجه وذکر تمام الحدیث طریق اخری قال ابن ابی
حاتم بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ما من نفس تموت لا تشرك

بالله شيئا الاحلت له المغفرة ان شاء الله عذبها وان شاء غفرها ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ورواه الحافظ ابو يعلى فى مسنده بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب قيل يا نبي الله وما الحجاب قال الاشراك بالله قال ما من نفس لا تشرك بالله شيئا الاحلت لها المغفرة ان شاء ان يعذبها وان شاء ان يغفر لها ثم قرأ نبي الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية الحديث السابع قال احمد رح بسنده عن عبد الله ابن ناشر من بني سريع قال سمعت ابا رهم قاص اهل الشام يقول سمعت ابا ايوب الانصاري يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال ان ربكم عز وجل خيرني بين سبعين الفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده فقال بعض اصحابه ايخبأ ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خرج وهو يكبر قال ان ربي زادني مع كل الف سبعين الفا والخبيئة عنده قال ابو رهم يا ابا ايوب ما تظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكله الناس بافواههم فقالوا وما انت بخبيئة رسول الله فقال ابو ايوب دعوا الرجل عنكم اخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما اظن كالمستيقن ان خبيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه الا دخل الجنة الحديث الثامن قال ابن ابي حاتم بسنده عن ابي سورة ابن اخي ابي ايوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي ابن اخ لا ينتهي عن الحرام قال وما دينه قال يصلي ويوحد الله قال استوهبه من دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل ذاك منه فابى عليه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره قال وجدته شحيحا على دينه قال فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الحديث التاسع قال ابو يعلى بسنده عن انس رض قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما تركت حاجة ولا داجة الا قد اتيته قال اليس تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثلاث مرات قال نعم قال فان ذلك ياتي على ذلك كله الحديث العاشر قال احمد رح بسنده ان جوشن النهائى قال قال لي ابو هريرة يا يماني لا تقولن لرجل لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة ابدا فقلت يا ابا هريرة ان هذه كلمة يقولها احدنا لاخيه وصاحبه اذا غضب قال لا تقلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان احدهما مجتهد في العبادة والآخر مسرفا على نفسه وكانا متآخيين وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب قال فيقول يا هذا اقصر فيقول

علی اوزاری بعثت علی رقیبا الی ان رأه یوما علی ذنب قال له مالك ویحك اقصر قال علی اوزاری
ابعثت علی رقیبا فقال و الله لا یغفر الله لك ولا یدخلك الجنة ابدا قال فبعث الله الیهما ملکا فقبض
ارواحهما واجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة وقال للاخر اکنت علی ما فی یدی قادرا اذهبوا به الی
النار قال والذی نفس ابی القاسم بیده انه لتکلم بکلمة اوبقت دنیاه واخرته ورواه ابوداود من حدیث
عکرمة بن عمار حدثنی ضمضم بن جوشن به الحدیث الحادی عشر قال الطبرانی بسنده عن ابن عباس عن
رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال قال الله عز وجل من علم انی ذو قدرة علی الذنوب غفرت له ولا ابالی
ما لم یشرك بی شیئا الحدیث الثانی عشر قال البزار وابو یعلی بسندهما عن انس قال قال رسول الله صلی الله
علیه وآله وسلم من وعده الله علی عمل ثوابا فهو منجزه له ومن توعده علی عمل عقابا فهو فیه بالخیار تفرد به وقال
ابن ابی حاتم بسنده عن ابن عمر قال کنا اصحاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم لا نشك فی قاتل النفس واکل مال
الیتیم وقاذف المحصنات وشهادة الزور حتی نزلت ان الله لا یغفر ان یشرك به ویغفر ما دون ذلك لمن یشاء
فامسك اصحاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم عن الشهادة ورواه ابن جریر من حدیث الهیثم بن حماد وقال ابن
ابی حاتم بسنده عن ابن عمر قال کنا لا نشك فیمن اوجب الله له النار فی الکتاب حتی نزلت علینا هذه الایة
ان الله لا یغفر الایة قال فلما سمعناها کففنا عن الشهادة وارجینا الامور الی الله عز وجل وقال البزار بسنده
عن ابن عمر قال کنا نمسك عن الاستغفار لاهل الکبائر حتی سمعنا نبینا صلی الله علیه وآله وسلم یقول ان الله لا
یغفر الایة وقال اخرت شفاعتی لاهل الکبائر من امتی یوم القیامة وقال ابو جعفر الرازی عن الربیع عن عبد الله
ابن عمر انه قال لما نزلت یا عبادی الذین اسرفوا علی انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قام رجل فقال والشرك
بالله یا نبی الله فکره ذلك رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال ان الله لا یغفر ان یشرك به ویغفر ما دون ذلك رواه
ابن جریر وقد رواه ابن مردویه من طرق عن ابن عمر وهذه الایة التی فی سورة تنزیل مشروطة بالتوبة فمن تاب
من ای ذنب وان تکرر منه تاب الله علیه ولهذا قال ان الله یغفر الذنوب جمیعا ای بشرط التوبة ولو لم یکن کذلك
لدخل الشرك فیه ولا یصح ذلك لانه تعالی قد ختم ههنا بانه لا یغفر الشرك وحکم بانه یغفر ما عداه لمن یشاء ای
وان لم یتب صاحبه فهذه ارجی من تلك من هذا الوجه والله اعلم وقوله ومن یشرك بالله فقد افتری اثما عظیما
کقوله ان الشرك لظلم عظیم وفی الصحیحین عن ابن مسعود انه قال قلت یا رسول الله ای الذنوب اعظم قال ان
تجعل لله ندا وهو خلقك وذکر تمام الحدیث وقال ابن مردویه بسنده عن عمران بن حصین ان رسول الله صلی الله

عليه وآله وسلم قال الا اخبركم بأكبر الكبائر الاشراك بالله ثم قرأ ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وعقوق
الوالدين ثم قرأ ان اشكر لي ولوالديك الى المصير انتهى واما الآية الثانية فقال قد تقدم الكلام على هذه الآية
الكريمة وهي قوله ان الله لا يغفر الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الاحاديث في صدر هذه السورة وقد روى
الترمذي عن علي انه قال ثم ذكر قوله المذكور وقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي فقد سلك عن
طريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب واهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاتته السعادة انتهى
وقال المولى الاعظم حسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة
متقلبه ومثواه في تفسيره انوار التنزيل ما نصه ان الله لا يغفر في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف
الشرع لاتصالها بقصتهم ولانها دلت على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال
الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم ومباح الدم هو الذي لا يجب القصاص على
قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله الى ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله
واستدلت الاشاعرة بالآية على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا
الثاني لمن تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع لمن لم يتب قالوا ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل
القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله فالمشيئة تكون قيدا في
الكبيرة فيستوجب الغفران وروى الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادة وقال
ابن عباس بحضرة عمر رض اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس
لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه الاعتاق ان هو فعل ذلك ثم ما وفوا بذلك فعند ذلك ندم هو
واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى
والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الآية فنزلت قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا
هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته
فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق و
افتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه انتهى واما الآية الثانية فقال ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا ابعد من وجود الصانع و وحدته

والمطلوب كلما كان اجلى كان نقيضه ابعد انتهى وقال القاضى ثناء الله الپانى پتى رحمه الله تعالى فى تفسير المظهرى ما نصه اخرج الطبرانى وابن ابى حاتم عن ابى ايوب الانصارى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لى ابن اخ لا ينتهى عن الحرام قال وما دينه قال يصلى ويوحد قال استوهب منه دينه فان ابى فابتعه منه فطلب الرجل ذلك منه فابى عليه فاتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال وجدته شحيحا على دينه فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به تعالى فى وجوب الوجود او العبادة اذا مات وهو مشرك واما اذا تاب عن الشرك وآمن فيغفر له ما قد سلف منه من الشرك وغيره اجماعا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له يعنى كانه لم يصدر عنه ذلك الذنب قط قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويغفر ما دون ذلك يعنى ما سوى الشرك من الذنوب صغيرة كانت او كبيرة صدرت عنه خطأ او عمدا وان مات من لم يتب لمن يشاء تعميم المغفرة لما دون الشرك وتقييدها بالمشيئة مبطل لمذهب المرجئة حيث قالوا بوجوب المغفرة لكل ذنب وقالوا لا يضر ذنب مع الايمان كما لا ينفع عمل مع الشرك ومذهب المعتزلة حيث قيدوا مغفرة الذنوب بالتوبة فان الآية تدل على نفى التقييد بالتوبة لان سوق الكلام للتفرقة بين حال المشرك والمذنب والتقييد بالمشيئة يبطل القول بوجوب المغفرة للتائب ووجوب التعذيب لغيره فان قيل التقييد بالمشيئة لا ينافى الوجوب بل يستلزم وجوب المشيئة بعد ثبوت المغفرة قلنا فح لا فائدة فى هذا التقييد ومذهب الخوارج حيث قالوا كل ذنب شرك صاحبه مخلد فى النار اخرج ابو يعلى وابن المنذر وابن عدى بسند صحيح عن ابن عمر قال كنا نمسك عن الاستغفار لاهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال انى ادخرت دعوتى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فامسكنا عن كثير مما كان فى انفسنا ثم نطقنا بعد ورجونا قال البغوى ناقلا عن الكلبى ان الآية نزلت فى وحشى بن حرب واصحابه ثم ذكر قصة المذكورة ثم قال فان قيل هذه القصة تدل على نسخ تقييد المغفرة بالمشيئة فيثبت مذهب المرجئة قلنا هذا التقييد لا يحتمل النسخ اذ لا يجوز وجود شئ من الاشياء مغفرة كانت او غيرها بدون مشيئة الله لكن نزول قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا فى شان الوحشى دل على كونه من اهل المشيئة والله اعلم وقال البغوى ناقلا عن ابى مجلز عن ابن عمر انه لما نزل قل يا عبادى الذين اسرفوا الآية

قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية وقال ايضا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادات وقال حكى عن على رضـ ان هذه الآية ارجى آية فى القرآن ومن يشرك بالله فقد افترى معنى الافتراء الافساد والافتراء استعمل فى الكذب والشرك والظلم كذا فى الصحاح فالمعنى فقد افسد وكذب اثما منصوب على المصدرية يعنى ارتكب الكذب والفساد كذبا وفسادا عظيما وجاز ان يكون منصوبا على المفعولية والمعنى على التجريد اختلق اثما عظيما يستحقر دونه الآثام وهذا وجه الفرق بينه وبين سائر الآثام عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنتان موجبتان فقال رجل يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار رواه مسلم وعن ابى ذر رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نائم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق الخ متفق عليه وفى الباب احاديث كثيرة والله اعلم انتهى واما الآية الثانية فقال قال البغوى روى ان طعمة بن ابيرق نزل على رجل من بنى سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع ان يدخله ولا ان يخرج حتى اصبح فاخذ ليقتل فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فاخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ فالقى فى البحر وقيل انه نزل فى حرة بنى سليم فكان يعبد صنما لهم الى ان مات فانزل الله تعالى فيه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك من الصغائر والكبائر بالتوبة وبلا توبة لمن يشاء مغفرته ومن يشرك بالله فى وجوب الوجود وتاصله او فى العبادة شيئا فقد ضل عن سبيل الحق ضلالا بعيدا لا يمكن وصوله الى النجاة والمغفرة وقال البغوى قال الضحاك عن ابن عباس رضـ ان هذه الآية السابقة نزلت فى شيخ من الاعراب الى آخر القصة وكذا اخرج الثعلبى عنه والله اعلم انتهى قال بعض اهل العلم فى تفسير آية سورة النساء المذكورة نسيان الله انما يكون بان لا يميز بين الحلال والحرام او يسرق ويزنى او يترك الصلوة والصيام ويضيع حقوق الازواج والاولاد وسائر الانام ويسيئ الادب مع الابوين ولكن من

وقع في شرك الشرك فهو انسى له لانه عصى عصيانا واتى اثما لا يغفره الله ابدا وسائر المعاصي لعل الله يغفرها ويعفو عنها رحمة منه ولطفا وكرما وهذه الآية قد دلت على ان الشرك لا يغفر ولا بد له من العقاب الذي عليه فان كان الشرك اعظم درجة مما يصير به صاحبه كافرا فجزاؤه جهنم يخلد فيها مهانا الى ابد الآباد ولا ينعم فيها دهر الداهر وان كان اصغر درجة يلقى صاحبه عقابا عين له وسائر الذنوب وباقي الآثام في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليها وان شاء غفرها ومفهوم الآية ان الشرك من اكبر الكبائر مثال ذلك ان رعايا الملك تقصيرهم في طاعته واتيانهم بمعصيته كالسرقة وقطع الطريق والنوم حين الحراسة مثلا وعدم الحضور في المجلس والفرار عن معركة الحرب في الضرب في عدم تادية الخراج ومحاصل الارض والزكوة اليه ونحوها لها عقوبات معينة عند الملك ولكنه ان شاء اخذ العاصي على ذلك وان شاء عفا عنه وهنا قسم آخر لعصيانهم يدل على بغي العاصي على الملك مثل ان يجعل احدا من دونه اميرا او وزيرا او زعيم محلة او مقدم قرية او يقيم كناسا او دباغا او حذاء او زياتا او واحدا من الخدم والحشم مقام الملك ويهيئ له تاجا وسريرا ويخاطبه بالظل السبحاني ويسلم عليه تسليم الرعوى على السلطان او يقرر له يوما للفرح وعيدا للسرور وموسما للنذور او يبذل له نذر الرعايا للملوك وولاة الامر فهذا الذنب من هذا الانسان اكبر من جميع ذنوبه واعظم من كل معاصيه وفي هذا الموضع لا بد للملك من ان يجزيه على ذلك ما عينه من الجزاء على هذا الذنب ولا يغمض البصر عنه فان اغمض ولم يعاقب على هذا او غفل عن مثل هذه الجريمة فلا ريب ان في سلطانه ثلمة وفي شانه نقصا ومثل هذا الملك عند اهل العقل واولي النهى ذاهب الغيرة فاقد الحياء اذا تقرر هذا فاعرف ان حال ملوك الدنيا اذا كان كذلك فالله سبحانه اعلى واكبر مما هنالك لانه مالك الملوك ومالك الملك ولا شخص اغير منه ولا احد اشد حياء منه وهو اقدر على كل شيء من كل احد فكيف يستقيم انه يغفل عن ذنوب المشركين به ولا يعاقبهم على ذنب الشرك الذي هو البغي عليه بمثل ما تقدم وقد قال سبحانه وما الله بغافل عما تعملون وقد احاط بكل شيء علما وعلى هذا فهذه الآية نص في محل النزاع ودليل قطعي على عدم العفو ونفي غفران الشرك فكل شيء قولا كان او عملا اذا اثبت الله شركه سواء في ذلك الجلي منه والخفي وقد نص الكتاب والسنة عليه بالشرك وقضى به احدهما عليه فانه لا يغفر ابدا بلا شك فيه ولا شبهة اللهم الا ان يتوب قائله وفاعله عنه توبة صحيحة وينقلع عن الاعتقاد فيه والعمل به ظاهرا وباطنا اللهم ارحم المشركين وهم

عن آفات المشركين قال صاحب الفتح المجيد تبين بهذه الآية ان الشرك اعظم الذنوب واكبر المعاصى والعيوب لان الله تعالى اخبر انه لا يغفره لمن لم يتب منه واما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت مشيئة الله ان شاء غفر لمن لقيه به وان شاء عذبه وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذى هذا شانه عند الله لانه اقبح القبيح واظلم الظلم وتنقص لرب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به كما قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولانه مناقض للمقصود بالخلق والامر منافٍ له من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته والذل له والانقياد لاوامره الذى لا صلاح للعالم الا بذلك فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله رواه مسلم ولان الشرك تشبيه المخلوق بالخالق تعالى وتقدس فى خصائص الالهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع الذى يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وانواع العبادة كلها بالله تعالى وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا شبيها بمن له الخلق كله والامر كله وبيده الخير كله فازمة الامور كلها بيده سبحانه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع اذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فاقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر الغنى بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لله تعالى وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن فعل شيئا من ذلك لغيره سبحانه فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله فلهذه الامور وغيرها اخبر سبحانه انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة هذا معنى كلام ابن القيم قال وفى الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بان اصحاب الكبائر مخلدون فى النار وليس هؤلاء عندهم بمؤمنين ولا بكفار ولا يجوز ان يحمل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على التائب فان التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فههنا عمم واطلق لان المراد به التائب وهناك خص وعلق لان المراد به من لم يتب هذا

ملخص قول شیخ الاسلام ابن تیمیة الامام رحمه الله تعالی

باب فی اقرار بنی آدم بالتوحید فی عالم الذر والاجتناب من الاشراک بالله تعالی والنهی عنه وما یلیه

قال تعالی فی سورة الاعراف واذ اخذ ربک من بنی آدم وکذا من آدم فالاخذ منه لازم للاخذ منهم لان الاخذ منهم بعد الاخذ منه فنفی الآیة الشریفة اکتفاء بالملزوم عن اللازم من ظهورهم ذریتهم استدل بها علی ان المراد بالماخوذین هنا هم ذریة بنی آدم اخرجهم الله من اصلابهم نسلا بعد نسل علی نحو ما یتوالد الابناء من الآباء فلذلک قال من ظهورهم ولم یقل من ظهر آدم لما علم انهم کلهم بنو آدم وقد ذهب الی هذا جماعة من المفسرین وقالوا معنی واشهدهم علی انفسهم دلهم بخلقه علی انه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام الاشهاد فتکون هذه الآیة من باب التمثیل وقیل غیر ذلک والمعنی الراجح الاصح ان الله لما خلق آدم مسح ظهره بیمینه فاستخرج منه ذریته واخذ علیهم العهد هؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذی لا ینبغی العدول عنه ولا المصیر الی غیره لثبوته مرفوعا الی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وموقوفا علی غیر واحد من الصحابة ولا ملجئ للمصیر الی المجاز واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وقد اخرج مالک فی الموطا واحمد فی المسند وعبد ابن حمید والبخاری فی تاریخه وابو داود والترمذی وحسنه والنسائی وابن جریر وابن المنذر وابن ابی حاتم وابن حبان فی صحیحه وابو الشیخ والحاکم وابن مردویه والبیهقی فی الاسماء والصفات والضیاء فی المختارة عن مسلم بن یسار الجهنی ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه سئل عن هذه الآیة فقال سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یسئل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بیمینه فاستخرج منه ذریة فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة یعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذریة فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار یعملون فقال رجل یا رسول الله ففیم العمل فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتی یموت علی عمل من اعمال اهل الجنة فیدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتی یموت علی عمل من اعمال اهل النار فیدخله النار ومسلم بن یسار لم یسمع من عمر وذکر الطبری فی بعض طرق هذا الحدیث بین عمر بن ربیعة بن مسلم وعمر بنحوه وفی الحدیث دلالة علی ان المؤمن الذی یعمل عمل الشرک من اهل النار واختلف الناس فی کیفیة الاستخراج علی اقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد

اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كما ورد فى الصحيح قال العلامة المقبلى فى الابحاث المسددة ولا يبعد
دعوى التواتر المعنوى فى الاحاديث والروايات الواردة فى ذلك قال بعضهم الظاهر انه استخرجهم احياء
لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله انا حملنا ذريتهم فى الفلك قال ابن عباس ان اول ما اهبط الله
آدم الى الارض اهبطه بدهناء ارض الهند فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم
الميثاق واشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحد منهم الست بربكم اى قائلا هذا فهو على ارادة القول وفى هذه الاية
رد على اهل المعانى فى قولهم ان الاغراق غير مقبول ما لم يقارن كاد ونحو هذا مما شهد به الذوق السليم وزكى
شهادته الطبع المستقيم والاية ليست من هذا القبيل لاسنادها الله الذى ابرز المعدوم من ارحام العدم ولا
يعتصى قدرته شئ فى القدم فما علينا الا الايمان بذلك وما لم تصل له افهامنا نكله اليه ونسأله ان يهدينا
للوقوف عليه وكفى هذا الاحتمال فى مثل هذه الحال وما بعد الحق الا الضلال قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا
بانك ربنا واختلفوا فى الاجابة كيف كانت هل كانوا احياء فاجابوا بلسان المقال او اجابوا بلسان الحال و
الظاهر الاول ونكل علم كيفيتها الى الله عز وجل وكان هذا القول على وفق السؤال لانه تعالى سألهم عن
ربوبيته ولم يسألهم عن الهيهم فقالوا بلى فلما انتهوا الى زمان التكليف وظهر ما قضى الله فى سابق علمه
لكل احد منهم من وافق ومنهم من خالف وقيل تجلى للكفار بالهيبة وللمؤمنين بالرحمة فقال كلهم
بلى قيل وكان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد الهبوط منها وقال على فى الجنة
وقيل بسراندیب من ارض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم فيه من الجنة وكل ذلك محتمل ولا يضرنا
الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد باخذ العهد والله اعلم اخرج احمد والنسائى وابن جرير والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله اخذ الميثاق من ظهر
آدم بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم فقال الست بربكم الى
قوله المبطلون واسناده لا مطعن فيه واخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى والطبرانى وابو الشيخ عن ابى امامة
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه
على الماء فاخذ اهل اليمين بيمينه واخذ اهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدى الرحمن يمين فقال يا اصحاب اليمين
فاستجابوا له فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال الست بربكم قالوا بلى الحديث والاحاديث فى هذا الباب كثيرة بعضها
مقيد بتفسير هذه الاية وبعضها مطلق يشتمل على ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره واخذ العهد عليهم كما فى حديث

انس مرفوعا فی الصحیحین و غیرهما واما المروی عن الصحابة فی تفسیر هذه باخراج ذریة ادم من صلبه فی عالم الذر واخذ العهد علیهم واشهادهم علی انفسهم فهی کثیرة جدا وقد روی عن جماعة ممن بعد الصحابة تفسیر هذه الآیة باخراج ذریة آدم من ظهره وفیما قاله رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی تفسیرها مما قدمنا ذکره ما یغنی عن التطویل وقال اهل الکلام والنظر قولهم بلی شهدنا علی المجاز لا علی الحقیقة وهو خلاف مذهب جمهور المفسرین من السلف الصالحین الذین علیهم المعول فی فهم مسائل الدین قال ابن الانباری مذهب اصحاب الحدیث وکبراء اهل العلم فی هذه الآیة ان الله اخرج ذریة ادم من صلبه و اصلاب اولاده وهم صور کالذر و اخذ علیهم المیثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلک وقبلوه وذلک بعد ان رکب فیهم عقولا عرفوا بها ما عرض علیهم کما جعل للجبال عقولا حتی خوطبوا بقوله یا جبال اوبی معه وکما جعل للبعیر عقلا حتی سجد للنبی صلی الله علیه وآله وسلم وکذلک الشجرة حتی سمعت لامره وانقادت وقوله شهدنا اقرار له بالربوبیة وقیل شهدنا علی انفسنا بهذا الاقرار ولیس فی الآیة ما یدل علی بطلان ما ورد فی الاحادیث وقد ورد الحدیث بثبوت ذلک وصحته ولله الحمد فوجب المصیر الیه والاخذ به جمعا بینهما وحکی الواحدی عن صاحب النظم انه قال لیس بین قوله صلی الله علیه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذریته وبین الآیة اختلاف بحمد الله تعالی لانه تعالی اذا اخرجهم من ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور ذریته لان ذریة آدم کذریة بعضهم من بعض قیل انا لم نتذکر هذا العهد لان تلک البنیة قد انقضت وتغیرت احوالها بمرور الدهور علیها فی اصلاب الآباء وارحام الامهات و تطور الاطوار الواردة علیها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذا کله مما یوجب النسیان و کان علی بن ابی طالب کرم الله وجهه یقول انی لاذکر العهد الذی عهد لی ربی وکذا کان سهل بن عبد الله التستری یقول ثم ابتدأهم بالخطاب علی السنة الرسل واصحاب الشرائع فقام ذلک مقام الذکر ولو لم ینسوه لانتفت المحنة والتکلیف ولم یبلغنا فی کون تلک الذرات مصورة دلیل و الاقرب الی العقول عدم الاحتیاج الی کونها بصورة الانسان و الحکمة فی اخذ المیثاق منهم اقامة الحجة علی من لم یوف بذلک والظاهر انه لما ردهم الی ظهره قبض ارواحهم و اما ان الارواح این رجعت بعد رد الذرات الی ظهره هذه مسئلة غامضة لا یتطرق الیها النظر العقلی باکثر من ان یقال رجعت کما کانت علیه قبل حلولها فی الذرات وورد ان کتاب العهد و المیثاق مودع فی باطن الحجر الاسود ذکره الشعرانی فی رسالته القواعد الکشفیة فی الصفات الالهیة وذکر فیها علی هذه الآیة

م يقال الغمر بالتثليث على غمرة اي على [illegible] ١٢

اثنی عشر سوالا واجاب عنها والحق عندنا ان کل ما لم یرد فیه نص من کتاب ولا من سنة فاطواءه
علی غمره اولی وترك الخوض فیه احری ان تقولوا ای کراهة ان تقولوا یوم القیامة انا کنا عن هذا ای
کون الله ربنا وحده لا شریك له فی العبادة واستحقاقها غافلین او تقولوا انما اشرك آباؤنا ای فعلنا
ذلك کراهة ان تعتذروا بالغفلة او تنسبوا الشرك فی الربوبیة الی آبائکم دونکم واو لمنع الخلو دون
الجمع فقد یعتذرون بمجموع الامرین من قبل ای من قبل زماننا وکنا ذریة من بعدهم ای اتباعا لهم
فاقتدینا هم فی الشرك فی الربوبیة لا نهتدی الی الحق ولا نعرف الصواب فتهلکنا بما فعل المبطلون من
آبائنا ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر واقتفائنا آثار سلفنا بین الله سبحانه فی هذه الآیة الحکمة التی
لاجلها اخرجهم من ظهر آدم واشهدهم علی انفسهم وانه فعل ذلك بهم لئلا یقولوا هذه المقالة یوم القیامة
ویعتلوا بهذه العلة الباطلة ویعتذروا بهذه المعذرة الساقطة ففی هذه الآیة قطع لعذر المشرکین
والکفار فلا یمکنهم ان یحتجوا بمثل ذلك والمعنی لا یمکنهم الاحتجاج بهذا مع اشهادهم علی انفسهم بالتوحید
والتذکیر به علی لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذکره فی النفوس وکذلك ای مثل ذلك التفصیل البلیغ
نفصل الآیات لهم لیتدبروها ولعلهم یرجعون الی الحق وهو التوحید ویترکون ما هم علیه من الباطل
وهو الشرك فی الربوبیة وقیل یرجعون الی المیثاق الاول فیذکرونه ویعملون بموجبه ومقتضاه والمآل واحد
والآیة الشریفة دلت علی ان المشرکین والکفار اعترفوا فی عالم الارواح بتوحید الربوبیة وآمنوا به ثم اذا
انتهوا الی الدنیا نسوا ذلك المیثاق ولو یتذکروه مع تذکیر الرسل ایاهم ذلك وابتلوا فی الاشراك فی العبادة
وعبدوا غیر الله واتخذوا من دونه آلهة شتی فکان هذا ردة منهم عن الاسلام فاستحقوا ما استحقوا به
من القتل والاسر والنهب وسبی الذراری فی الدنیا والعذاب الالیم والخلود فی النار فی العقبی لا یخرجون
منها ابدا وقد تقدم مرارا ان توحید الله تعالی هو الواجب علی کل انسان وفاء للمیثاق واتیانا بالعهد ومن
لم یوحد الله تعالی فی الوهیته وربوبیته فهو مشرك حقا والحکم الحکم وسیاتی لذلك بیان تحت
حدیث ابی بن کعب فی هذا الباب ان شاء الله تعالی وقال تعالی وما یؤمن اکثرهم بالله الا وهم مشرکون فان قلت
کیف اتصافهم بالایمان فی حال تلبسهم بالشرك لانه یستدعی الجمع بین النقیضین فی حالة واحدة وهو باطل قلت
ایضاح ذلك یتوقف علی بیان ما ذکره اهل التفاسیر المعتبرة وینحصر ذلك فی وجوه اثنی عشر وینضم الی ذلك مما
ذکرته انا فتکون الوجوه ثلاثة عشر **الاول** ان اهل الجاهلیة کانوا یقرون بان الله [illegible] خالقهم

ورازقهم ويعتقدون غيره من اصنامهم وطواغيتهم فهذا الاقرار الصادر منهم بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم هو يصدق عليه انه ايمان بالمعنى الاعم اى تصديق لا بالمعنى الاخص اعنى ايمان المؤمنين فهذا الايمان الصادر منهم واقع منهم فی حال الشرك فقد آمنوا حال كونهم مشركين والى هذا الوجه ذهب الجمهور من المفسرين وغيرهم ولكنهم لم يذكروا ما ذكرناه ههنا من تقرير كونه ايمانا بالمعنى الاعم ولا بد من ذلك حتى يستقيم الكلام ويصدق عليه مسمى الايمان **الوجه الثانی** ان المراد بالآية المنافقون فانهم كانوا يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فما كانوا يؤمنون ظاهرا الا وهم مشركون باطنا وروى هذا عن الحسن البصری **الوجه الثالث** انهم اهل الكتاب يؤمنون بكتابهم ويقلدون آباءهم فی الكفر بغيره ويقولون المسيح ابن الله وعزير ابن الله فهم يؤمنون بما انزل على انبيائهم حال كونهم مشركين **الرابع** ان المقصود بذلك ما كان يقع فی تلبية العرب من قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك فقد كانوا فی هذه التلبية يؤمنون بالله وهم مشركون روى نحو ذلك عن ابن عباس **الخامس** ان المراد بهذه الآية المراؤون من هذه الامة لان الرياء هو الشرك المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك اخفى فی امتی من دبيب النمل فالمراؤن آمنوا بالله حال كونهم مشركين بالرياء وفيه حديث محمود بن لبيد سياتی **السادس** ان المراد بالآية من نسی ربه فی الرخاء وذكره عند الشدائد روى ذلك عن عطاء وفيه انه لا يصدق على ذلك انه آمن بالله حال كونه مشركا الا ان يجعل مجرد نسيان الذكر والدعاء عند الرخاء شركا مجازا كانه بنسيانه وتركه الدعاء قد عبد الها آخر وهو بعيد على انه لا يمكن اجتماع الامرين لانه حال الذكر والدعاء غير متصف بالنسيان وترك الذكر وقد تقرر ان الحال قيد فی عاملها الا ان يعتبر ما كان عليه الشئ فان ذلك احد العلامات المصححة للتجوز **السابع** ان المراد من اسلم من المشركين فانه كان مشركا قبل ايمانه حكى ذلك الحاكم فی تفسيره وتقريره انه ما يؤمن احدهم بالله الا وقد كان مشركا قبل ايمانه والكلام فيه كالكلام فی الوجه الذی قبله والجواب الجواب وايضا ليس لان يكون كل مؤمن فی الحال كان مشركا فی الماضی فان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ومن ولد عليها ثم ابواه لم يهوداه وينصراه ويمجساه ونشأ على الاسلام فلا يصح فيه ان يقال انه كان مشركا من قبل ثم آمن بل كثير من الناس آمنوا منذ فتحوا الاعين وبقوا عليه الى الحال **الثامن** ان المراد بالشرك ههنا ما يعرض من الخواطر والاحوال حال الايمان قاله الواسطی كما حكاه عنه البقاعی وفيه ان هذه الخواطر والاحوال ان كانت مما يصدق عليه الشرك الاكبر او الاصغر فذاك وان كانت خارجة عن ذلك فهو فاسد

التاسع انهم الذین یشبهون الله بخلقه ذکره فی الکشاف عن ابن عباس وتقریره انهم امنوا بالله حال تشبیههم له بما یکون شرکا او یئول الی الشرک **العاشر** هو ما یقوله القدریة من اثبات القدرة للعبد حکاه النسفی فی المدارک وتقریره انهم امنوا بالله حال اثباتهم ما هو مختص به لغیره وهو شرک او منزل منزلة الشرک **الحادی عشر** ما قاله محی الدین بن عربی فی تفسیره ان اکثر الناس انما یؤمنون بغیر الله ویکفرون بالله دائما ففی بعض الاحیان یشرکون الله سبحانه مع ذلک الاله الذی یؤمنون به فلا یؤمن اکثرهم بالله الا حال کونه مشرکا وفیه ان ظاهر النظم القرانی ان الایمان بالله والشرک به تشریک غیره معه لا تشریکه مع غیره وبین المعنیین فرق واضح **الثانی عشر** ذکره ابن کثیر فی تفسیره وهو ان ثم شرکا خفیا لا یشعر به غالب الناس من یفعله کما روی عن حذیفة انه دخل علی مریض یزوره فرای فی عضده سیرا فقطعه او انتزعه ثم قال وما یؤمن اکثرهم بالله الا وهم مشرکون وفی الحدیث الذی رواه الترمذی وحسنه عن ابن عمر مرفوعا من حلف بغیر الله فقد اشرک واخرج احمد وابو داود من حدیث ابن مسعود قال قال رسول الله صلی الله علیه واله وسلم ان الرقی والتمائم والتولة شرک وفی لفظ لهما الطیرة شرک وما منا الا ولکن الله یذهبه بالتوکل وروی احمد فی المسند عن عیسی بن عبد الرحمن قال دخلت علی عبد الله بن حکیم وهو مریض فقیل له لو تعلقت شیئا فقال اتعلق شیئا وقد قال رسول الله صلی الله علیه واله وسلم من تعلق شیئا وکل الیه وروی النسائی عن ابی هریرة واحمد فی المسند عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلی الله علیه واله وسلم من علق تمیمة فقد اشرک وفی صحیح مسلم عن ابی هریرة قال سمعت رسول الله صلی الله علیه واله وسلم یقول انا اغنی الشرکاء عن الشرک من عمل عملا اشرک فیه غیری ترکته وشرکه وروی احمد من حدیث غیره ایضا وفی المستدرک من ردته الطیرة عن حاجة فقد اشرک قالوا یا رسول الله ما کفارة ذلک قال ان یقول احدهم اللهم لا خیر الا خیرک ولا طیر الا طیرک ولا اله غیرک واخرج احمد من حدیث ابی موسی قال خطبنا رسول الله صلی الله علیه واله وسلم ذات یوم فقال ایها الناس اتقوا هذا الشرک فانه اخفی من دبیب النمل قالوا کیف نجتنبه وهو اخفی من دبیب النمل قال قولوا اللهم انا نعوذ بک ان نشرک شیئا ونعلمه ونستغفرک لما لا نعلمه وقد روی من حدیث غیره اذا عرفت ما تضمنته کتب التفسیر من الوجوه التی ذکرناها وعرفت تقریرها علی الوجه الذی قررناه فاعلم ان هذه الاقوال انما هی اختلاف فی سبب النزول واما النظم القرانی فهو صالح لحمله علی کل ما یصدق علیه مسمی الایمان

قال الحافظ المنذری قال ابو القاسم الاصبهانی وغیره فی الحدیث اضمار والتقدیر وما منا الا وقد وقع فی قلبه شیء یعنی قلوب امته ولکن الله یذهب ذلک عن قلب کل من یتوکل علی الله ولا یثبت علی ذلک الله و الصواب ما ذکره البخاری وغیره ان قوله وما منا الخ من کلام ابن مسعود مدرج غیر مرفوع قال الخطابی قال محمد بن اسمعیل کان سلیمان بن حرب ینکر هذا الحرف ویقول لیس من قول رسول الله صلی الله علیه واله وسلم وکانه قول ابن مسعود وحکی الترمذی عن البخاری ایضا عن سلیمان بن حرب نحو هذا

مع وجود مسمى الشرك والاعتبار بما يفيده اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في مواطنه فيقال مثلا في اهل الشرك انه ما يؤمن اكثرهم بان الله هو الخالق الرازق الا وهو مشرك بالله بما يعتقده من الاصنام ويقال فيمن كان واقعاً في شرك من الشرك الخفي وهو من المسلمين انه ما يؤمن بالله الا وهو مشرك بذلك الشرك الخفي ويقال مثلاً في سائر الوجوه بنحو هذا على التقرير الذي قررناه سابقا وهذا يصلح ان يكون وجها مستقلا وهو اوجهها وارجحها فيما احسب وان لم يذكره احد من المفسرين فالقول بانه يشكل وجود اتصافهم بالايمان في حال تلبسهم بالشرك اشكال واقع موقعه سؤال حال محله وجوابه قد ظهر مما سبق فانه يقال مثلا ان اهل الجاهلية كان ايمانهم الجامع للشرك هو مجرد الاقرار بان الله الخالق الرازق وهو لا ينافي ما هم عليه من الشرك وكذلك يقال ان اهل الاسلام كان شرك من وقع منهم في شئ من الشرك الخفي الاكبر غير مناف لوجود الايمان منهم لان الشرك الاصغر لا يخرج به فاعله عن مسمى الايمان ولهذا كان كفارته ان يتعوذ بالله من ان يشرك به وان يقول في الطيرة اللهم لا طير الا طيرك ولا اله غيرك فقد صح بهذا انه اجتمع الايمان الحقيقي والشرك الخفي في بعض المؤمنين واجتمع الايمان بالمعنى الاعم والشرك الحقيقي في اهل الجاهلية وكذا يقال في اهل الكتاب انه اجتمع فيهم الايمان بما انزل الله على انبيائهم والاشراك بجعل المخلوقين ابناء لله عز وجل وهكذا في بقية الوجوه انتهى كلام الشوكاني في تفسير هذه الآية ويحتمل ان يكون المعنى وما يؤمن اكثر المشركين من طوائف الناس بالله تعالى بالتكلم بكلمة الاخلاص والتوحيد والاقرار به لساناً وجناناً الا وهم مشركون ببقاء الرسوم الجاهلية اللازمة للشرك فانها لا تذهب عنهم امداً بعيداً الا ترى ان الهنود يسلمون والنصارى واليهود والمجوس يسلمون ويعتقدون حقية الاسلام ويتوبون من دينهم الذي كانوا عليه هم وآباؤهم من قبل ويصلون ويصومون ثم يأتون برسوم قومهم كلها او بعضها ولا يرون ذلك منافية للاسلام ولا سيما تحملهم على اتيانها وبقائها نساؤهم فيصنعونها وهم يدعون الايمان وينفرون عن اسم الشرك ولا يخلص الى قلوبهم حلاوة الايمان فهم يصدق عليهم الآية الشريفة وهذا واقع كثيرا في اقوام او اشخاص جديدي الاسلام حديثي العهد بالايمان ولا ريب ان الارجح في معنى الآية ان اكثرهم او كلهم يؤمنون بالله بانه سبحانه خالقهم وخالق العالم كله ورازقهم ورازق جميع العباد بل الكائنات وهو مدبر الكل يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يشركون به في انواع العبادات فمنهم من يغلو في الاموات ويفعل بقبورهم ما يؤدي الى الشرك من السجدة والطواف وطلب الحاجة منهم ودعوتهم في الشدائد والنذر لاجلهم

مع ايقاد السرج والقاء الرداء وما اشبه ذلك وهذا الشرك قد طم وعم في الناس حتى لا ينجو منه اهل
العلم والسلوك ايضا وان كانوا اماما ولين لافعالهم واحوالهم فالمراد بالاية الشريفة ان التوحيد الرباني
حاصل لهم واما التوحيد الالهي بمعنى اخلاص العبادة على كثرة انواعها لله تعالى لا يحصل الا لافراد قليلة
منهم وهذا صحيح ثابت ويدل له الايات القرانية والاحاديث النبوية فصدق على مثل هؤلاء انهم مؤمنون
بالله بتوحيد الربوبية ومشركون به سبحانه في توحيد الالوهية وليس النزاع في وحدة الرب تعالى في رد
الشرك انما النزاع في توحيد الالوهية التي هي تحقيق العبادة مع الاخلاص له سبحانه في كل نوع منها جلي
وخفي ففيها الافة العظمى والبلية الكبرى ولا حول عن الفراق منها ولا قوة على التوحيد فيها الا بالله تعالى قال
السيد الامام عبد الرحمن بن سليمان ان توحيد الربوبية هو اعتقاد العبد ان لا رب الا الله اي لا خالق ولا رازق
ولا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت الا هو وهذا التوحيد يقر به المشركون قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والايات القرانية في مثل هذا كثيرة وان توحيد
الالوهية هو اعتقاد العبد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق الا الله والمعبود بحق معناه من يستحق العبادة
وليس ذلك الا الله تعالى والعبادة هي التذلل بما شرع الله من الصلوة والزكوة والصوم والحج والحلف و
النذر والذبح والخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغير ذلك من انواع العبادات التي لا يستحقها الا الله تعالى
فمن اعتقد ان مخلوقا من ملك او نبي او رسول او ولي وغير ذلك يستحق شيئا من هذه العبادة التي لا
تكون الا لله فهو كافر ولا بد من اخلاص التوحيدين فلا ينفع احدهما بدون الاخر وان توحيد الربوبية هو الدليل
على توحيد الالوهية وما بعث الله عز وجل الانبياء وارسل الرسل وانزل عليهم الكتب وختمهم بنبينا صلى
الله عليه وآله وسلم الا لتعريف الخلق توحيد الالوهية علما وعملا والله اعلم انتهى وقال سبحانه وتعالى واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم كان الله تعالى اعطى لقمان عقلا سليما
وفكرا صحيحا وحكمة مستقيمة فعلم وفهم ان الظلم انما هو ان يعطي حق احد لاحد ويضع شيئا في غير موضعه
فمن اعطى حق الله تعالى لمخلوقه فهو قد اعطى حق اكبر الكبراء اذل ذليل كما يضع احد تاج الملك على رأس
الدباغ ولا ظلم ازيد من ذلك وعلمت ان المخلوق كبيرا كان او صغيرا هو في جناب الله سبحانه اذل من الدباغ واحقر
من الذباب كما في مثل السائر ما للتراب ورب الارباب والاية تدل بفحوى الخطاب على ان الشرك كما هو من
العيوب الكبار شرعا وهو الحق فكذلك هو عيب عند العقل ايضا لان اكبر العيوب في الادمي ان يسمى

الادب مع اکابرہ فالله سبحانہ لا اکبر منہ ولا اعلی فالشرک بہ فی شئ اساءۃ ادب معہ تعالی وقد قال تعالی
فی سورۃ الانبیاء وما ارسلنا من قبلک من رسول الا نوحی الیہ انہ لا الہ الا انا فاعبدون یعنی کل
رسول جاء من عند الله فقد جاء واتی بهذا الحکم ان العبادۃ ینبغی ان تکون لہ لا لغیرہ فکانت مسئلۃ
التوحید والمنع من الاشراک مجمعا علیها فی جمیع الشرائع علی السنۃ جمیع الرسل علیهم السلام فهذا
هو سبیل النجاۃ وجملۃ السبل غیرہ طریق الهلاک وقال تعالی حکایۃ عن ابراهیم الخلیل علیہ السلام
واجنبنی وبنی ان نعبد الاصنام جمع صنم وهو ما کان منحوتا علی صورۃ والوثن ما کان موضوعا علی غیر
ذلک ذکرہ الطبری وقد یسمی الصنم وثنا ویقال ان الوثن اعم منہ وهو قوی والمعنی اجعلنی واولادی فی جانب
عن عبادتها وباعد بیننا وبینها والآیۃ دلیل علی ذم الشرک وعلی الاجتناب منہ وقد استجاب الله دعاءہ
علیہ السلام وجعل بنیہ انبیاء وجنبهم عن عبادۃ الاصنام وقد بین ما یوجب الخوف من ذلک بقولہ
رب انهن اضللن کثیرا من الناس وهذا هو الواقع فی کل زمان فمنهم من یعبد الاصنام ومنهم من یعبد
الاوثان والقبور المعبودۃ داخلۃ فی ذلک واذا عرف الانسان ان کثیرا وقعوا فی الشرک الاکبر وضلوا
بعبادۃ الاصنام اوجب ذلک خوفہ ان یقع فیما وقع فیہ الکثیر من الشرک الذی لا یغفرہ الله تعالی قال
ابراهیم التیمی ومن یامن البلاء بعد ابراهیم رواہ ابن جریر وابن ابی حاتم عنہ فلا یامن من الوقوع فی الشرک
الا من هو جاهل بہ وبما یخلصہ من العلم بالله تعالی وبما بعث بہ رسلہ من توحیدہ والنهی عن الشرک بہ
وقد سری هذا الشرک فی هذا الزمان بل منذ زمن کثیر فی اکثر الناس فی غالب الاقطار وابتلی بہ من هو
معدود فی اهل العلم فی قبائل وبلادہ وقل من نجی منہ ومن انواع الخفیات بل واقسامہ الجلیات و
لابلیس اللعین فی ایقاع الخلق فی طرائقہ تطورات لا یحصرها العدد ولا یبلغ مداها ولا یعرفها الا من
عرف الکتاب والسنۃ حق العرفان وتادب بعطفهما ومفاهیمهما واما غیر هؤلاء فلا اظنهم ناجین الا من رحم
الله وکتبہ فی الصالحین وفی الحدیث القدسی عن ابی هریرۃ رضی الله عنہ قال قال رسول الله صلی الله علیہ و
آلہ وسلم قال الله تعالی انا اغنی الشرکاء عن الشرک من عمل عملا اشرک فیہ معی غیری ترکتہ وشرکہ وانا منہ بریء
اخرجہ مسلم یعنی کما ان الناس یقسمون شیئا مشترکا فیما بینهم فانی لا افعل ذلک لانی غنی اشد الغنی فمن
عمل لی عملا اشرک فیہ غیری فانی اترک نصیبی منہ واترکہ کلہ وابرء منہ فهذا الحدیث دل علی ان من
عمل عملا لله تعالی ثم عمل ذلک العمل لغیرہ سبحانہ فقد ثبت الشرک علیہ وان عبادۃ المشرک

لله لا يقبلها الله اصلا بل يتبرأ منه واخرج الامام احمد عن ابى بن كعب رضى الله عنه فى تفسير قال
الله عز وجل واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين قال جمعهم فجعلهم ازواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا
ثم اخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قال فانى اشهد عليكم السموات
السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيرى
ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا انى سارسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وانزل عليكم كتبى
قالوا شهدنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك ذكره صاحب المشكوة فى باب الايمان
بالقدر والمراد ان الله تعالى قال هكذا فى سورة الاعراف وفسره ابى بن كعب الانصارى كاتب الوحى
من قراء الصحابة بما تقدم وهو فى حكم المرفوع وان لم يرفعه لان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى و
الاجتهاد وحاصل القصة ان الله جمع جميع اولاد آدم فى موضع واحد فجعلهم ازواجا فاقام الانبياء
فى مكان والاولياء فى مكان والصلحاء فى مقام والطلحاء فى مقام والمطيعين فى محل والعاصين فى
محل وفرقهم جماعات فجعل النصارى فى موضع واليهود فى موضع والهنود فى مكان والمجوس فى مقام آخر
ثم صور كل واحد كما هو فى الدنيا من حسن وقبيح وبصير واعمى وابكم واصم ونحوها ثم اعطاهم القدرة على
التكلم ثم قال لهم الست بربكم فاقر الجميع بانك ربنا واعترفوا بربوبيته سبحانه فاخذ عنهم الميثاق ان لا
يعبدوا الا اياه ولا يعتقدوا احدا الحاكم والمالك سواه وان لا يؤمنوا الا به فاعترفت الذرية كلها بذلك واشهد
الله تبارك وتقدس السموات كلها والارضين كلها وآدم اباهم على هذا الميثاق تقوية للعهد وتوثيقا للاقرار ثم
قال لهم ان رسلنا يأتونكم بالكتب من جهتنا لتذكيرهذا الاعتراف منكم فاقرت كل جماعة على حدة بتوحيد الالوهية
والربوبية وانكرت الشرك به تعالى وهذا دليل على ان لا ينبغى ان يستند احد باحد فى امر الشرك سواء كان
شيخا او استاذا او ابا او جدا او ملكا او حبرا او راهبا فان قال احد او تخيل انا نسينا ذلك الميثاق لما جئنا فى الدنيا
فاى حجة علينا فى امر نسيناه ولا نذكره فهذا القول والخيال منه غلط وباطل لان امورا كثيرة لا تبقى للانسان
فى الذكر ولكن لما يقولها الناس المعتبرون والاشخاص المعتمدون يتيقن بها الناس ان الانسان لا يتذكر ولادته
من بطن امه حين ولد منه ثم اذا يقول الناس له انك ولدت من امك الفلانية ويذكرونه يتيقن به
ويفرح بذلك ويعترف ويعلم امه انها امه ولا يقول لغيرها انها امه فاذا اضاع حق امه اتخذ غيرها امه

يحمقه الناس ويسفهونه ويقصرونه فان قال لى لا اتذكر انها امى وانها ولدتنى حتى اعلمها التى يقول الناس انه احمق شديد الحماقة ويكون مسئ الادب بها فاذا انحصل اليقين بقول عامة الناس ان الفلانية امه وان الامور الكذابية كانت كذلك فكيف لا يحصل اليقين بقول الانبياء والمرسلين ولا يحصل التصديق بخبرهم وهم اعلى رتبة من جميع الناس واصدقهم بلا وسواس فى الحديث دال على ان حكم اصل التوحيد والمنع من الشرك قاله الله تعالى لكل احد فى عالم الذر والارواح والانبياء كلهم اجمعون جاؤا التاكيده وتذكيره ونزلت الكتب السماوية جميعها لبيانه وقد قيل ان الانبياء جاءت مائة الف و اربعة وعشرين الفا والكتب كانت اربعمائة فكيف يظن ان هذا المقدار الكثير من الرسل والكتب المخبر بهذه القصة ليس بصادق هل يقول بذلك احد ممن له ادنى ملابسة بالعقل والفهم واقل شعور بالحال وايسر فهم فى المقابل بل هذه النكتة الواحدة تكفى فى تصحيح التوحيد والتبعيد من الشرك القبيح فوجب ان لا يعلم احد حاكما سوى الله سبحانه ولا يعتقد التصرف لاحد فى شئ ولا يتخذ احدا ربا الا اياه فيطلب منه حاجته ويريد منه انجاح مرامه ويستعين به فى كشف الكربات ويستغيث منه فى قضاء الحاجات وقد تقدم تفسير هذه الاية الكريمة فى هذا الباب فراجعه وقد اخرج امام اهل السنة والجماعة على الاطلاق احمد بن حنبل المشهور فى الآفاق عن معاذ بن جبل رضى الله عنه كما فى باب الكبائر من المشكوة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت اى لا تعتقد ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا فى احد غير الله ولا تخف الا اياه ولا تظن ان خبيثا او شيطانا يؤذيك بل كما يجب على المسلم ان يصبر على البلايا الظاهرة ولا يفسد دينه من خوفهم فكذلك عليه ان يصبر على اذى الشياطين والخبث والخبيثات ولا يؤمن بهم خوفا من اضرارهم بل يؤمن بان الامور كلها بيد الله تعالى وتحت مشيئته وقضاه وقدره ولكنه سبحانه قد يمتحن بعض عباده بايصال الضرر من بعض الاشرار الى الاخيار ليبلوهم ايهم احسن عملا وامتيازا فى تفرقة الحق من الباطل و يميز الله المؤمن من المنافق والخبيث من الطيب فكما ان المتقين يصل اليهم من الاشقياء اذية وان المسلمين يتأذون من ايدى الكفار المشركين بارادة الله تعالى وهم يصبرون على ذلك ولا يجدون بدا منه ولا يفسدون دينهم به فكذلك يصل اليهم الاذى من ايدى اولئك الاشرار من الجنيات والخبائث والشياطين تارة فتارة فسبيل المؤمن الصادق ان يصبر على تلك الحال ولا يظن تصرفا لهم اصلا فانهم لا تصرف

لهم ولا قدرة علی شئ الا ان یشاء الله رب العالمین فما لنا وللایمان بهم والخوف منهم والاطاعة والنذر لهم وقد دل هذا الحدیث علی ان الرجل البری من الشرك لو انکرهم وترك نذورهم وحارب سوهم ونصر الدین وخذل المشرکین ثم وصل الیه نقص فی المال او الاولاد او الانفس او کلفه شیطان او جن او خبیث باسم شیخ او شهید او صالح او ولی واذاه فعلیه بالصبر الجمیل والقیام علی حالته وینبغی ان یعلم ان الله مبتلیه بهذا یمتحنه فی ذلك وانه سبحانه کما یاخذ الظلمة علی التدریج ویمهلهم الی حین قریب او مدید ویخلص المظلومین من ایدیهم فهکذا اهل ظلمة الجنیات والشیاطین والخبث والخبائث والابالسة الی حین ثم یاخذهم وینجی المؤمنین الصلحاء من اذیاتهم وایصال تکالیفهم لاشك فی ذلك ومن شك فیه فلا حاجة لله فیما هنالك فمن شاء فلیؤمن ومن شاء فلیکفر ان الله غنی عن العالمین وعن ابن مسعود رضی الله عنه قال قال رجل یا رسول الله ای الذنب اکبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك اخرجه البخاری ومسلم کما فی باب الکبائر من المشکوة والمعنی انهم کما یرون ان الله تعالی هو الحاضر الناظر کل وقت والامر کله بیده ویدعونه عند کل مشکل فکذلك لا ینبغی ان لا یدعو غیره علی هذه الطریقة والاعتقاد فان ذلك اثم عظیم بل هذا الامر غلط من راسه لان احدا لا یقدر علی قضاء حاجة ولا یحضر ولا ینظر فی کل موضع ثم لما ثبت ان خالقنا هو الله وحده لا شریك له وهو الذی خلقنا وفطرنا وجب علینا ان ندعوه فی حاجاتنا ولا ندعو ولا نعبد الا ایاه وما لنا ولغیره الا تری ان من کان مملوکا للسلطان الواحد فانه لا یتعلق فی اموره الا به ولا یرفع راسه الی غیره ملکا کان او مالکا فضلا عن ان یلتفت الی احد من الکناسین والدباغین والند هو المساوی لغیره فی الذات والصفات المخالف له فی الافعال والاحکام والضد هو المخالف لغیره فی جمیع الامور والله سبحانه وتعالی لا ند له ولا ضد فمن اتخذ ندا له ودعاه فقد اشرك به تعالی وهذا اعظم الذنوب واکبرها عند الله ولهذا لا یغفر هذا الذنب وفی روایة اخری عنه رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال من مات وهو یدعو لله ندا دخل النار رواه البخاری قال ابن القیم الند الشبیه یقال فلان ند فلان وندیده ای مثله وشبیهه قال تعالی فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون والمعنی من مات وهو یجعل لله ندا فی العبادة یدعوه ویسأله ویستغیث به دخل النار وفیه من الوعید ما لا یقادر قدره واتخاذ الند علی قسمین الاول ان یجعل لله شریکا فی انواع العبادة وهو شرك اکبر والثانی ما کان من نوع الشرك الاصغر کقول الرجل ما شاء الله وشئت

ولولا الله وانت وكبيسير الرياء فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال
اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده رواه احمد وابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد والنسائي وابن
ماجه وفيه بيان ان دعوة غير الله في ما لا يقدر عليه الا الله شرك جلي كطلب الشفاعة من الاموات فانها
ملك لله وبيده ليس بيد غيره منها شيء وهو الذي ياذن للشفيع ان يشفع فيمن لاقى الله بالاخلاص و
التوحيد من اهل الكبائر والله اعلم واخرج الترمذي وحسنه عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا
ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو لقيتني بقراب
الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة ذكره في المشكوة في باب الاستغفار وقد
روى الامام احمد حديث ابي ذر بمعناه ولفظه ومن عمل قراب الارض خطايا ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت
له مثلها مغفرة ورواه مسلم واخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والقراب بضم القاف وقيل بكسرها والضم اشهر وهو ملؤها او ما يقارب ملأها والمعنى ان العصاة كلهم
قد عصوا في الدنيا فان فرعون كان في هذه الدار الفانية وكذلك هامان بل الشيطان اللعين والابليس
الرجيم ايضا في الدنيا فكل ذنب صدر من هؤلاء لو فعله احد من الناس ولم يكن مشركا بل كان موحدا
فالله يغفره بمقدار ذنوبه هذه كلها فالحديث دليل على ان الذنوب كلها تغفر ببركة التوحيد كما ان الاعمال
الصالحة كلها تصير باطلة بشوم الشرك وهذا هو الحق لان الانسان اذا تطهر من الشرك ولم يعتقد لاحد
مالكا ولم يعلم له ملجأ وثبت عنده من صميم الفؤاد ان عاصي الله ومذنبه لا مهرب له منه ولا معاذ
ولا يقدر احد في مقابلته ولا ينفع حماية احد عنده ولا يستطيع احد ان يشفع لاحد باختياره وارادته
فكل ذنب يصدر منه بعد هذا العلم والعقيدة فصدوره من وادي البشرية ومن النسيان والخطا والخوف
قد احاط قلبه وهو يتبرأ منه ويندم عليه ويضيق صدره من تصورها فرحمة الله تعالى تتدارك مثل
هذا الآدمي فكلما وقع منه ذنب تزيد حالته هذه وعلى قدر هذه الحالة تزيد رحمة الله عليه و
عفوه عنه وغفرانه له وبالجملة فذنب الموحد الكامل يفعل ما لا تفعله عبادة غيره والفاسق الموحد افضل
من المتقي المشرك الف درجة والموحد الخاطئ المذنب المقصر في الطاعة اعلى رتبة من البائع المداهن
المداهن المتملق لان هذا نادم على تقصيراته ومعاصيه وهو معترف بكبيرها ولا ارجى من هذا

الحديث في هذا الباب لان فيه بشارة عظيمة لاهل التوحيد الذين لا يشركون بالله شيئا في السر والعلانية وهم عن الشرك بعد على مراحل شاسعة منه ولكن الشان كل الشان في انتهاء الانسان عن الشرك بالرحمن فانه اصعب الامور والعقبة الكئود في هذه الدهور ورب ناس يظنون انهم موحدون وليسوا بمشركين لتركهم الاشراك في الظاهر وهم واقعون في شركه في الباطن كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون لان الاتصاف بتوحيد الربوبية والخالقية سهل يتصف به اكثر الخلق من المؤمن والكافر واما الاتصاف بتوحيد الالهية فامر عسير لا يتصف به الا من وفقه الله واعطاه فهما صحيحا وقلبا سليما وفطرة اسلامية فان الشرك اخفى من دبيب النمل وقد يتطرق في افعال القلوب والجوارح والاعمال والنيات بحيث لا يشعر به ولا يدري ولا ينجو منه كل احد الا من حقق التوحيد وتمسك به وحقق الشرك وطرائقه وحقائقه ولا يبلغ العبد هذه الرتبة الا بالاعتصام بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله المطهرة صلى الله عليه وآله وسلم فان فيهما بيان ذلك وليس بعد هذا البيان بيان ولا قرية بعد عبادان ومن ظن ان الاطلاع على الشرك وانواعه يحصل بالاشتغال بغير هذين الاصلين من كلام الاحبار والرهبان لاسيما اهل الدنيا منهم فهو مغرور لا يهتدي الى الحق سبيلا ؏ وهل افسد الدين الا الملوك ٭ واحبار سوء ورهبانها قال في فتح المجيد قوله ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره حقيره وجليله ولا يسلم من ذلك الا من سلمه الله وذلك هو القلب السليم كما قال سبحانه الا من اتى الله بقلب سليم قال ابن رجب من جاء مع التوحيد بقراب الارض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة الى قوله فان كمل توحيد العبد واخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه او بقلبه ولسانه عند الموت اوجب ذلك مغفرة مع ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وان كانت مثل زبد البحر قال العلامة ابن القيم في معنى هذا الحديث ما لفظه ويعفى لاهل التوحيد المحض الذي لا يشوبه الشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئا البتة ربه بقراب الارض خطايا اتاه الله بقرابها مغفرة ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده فان التوحيد الخالص هو الذي لا يشوبه شرك ولا يبقى معه ذنب لو كانت قراب الارض فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي انتهى وبالجملة راس الطاعات التوحيد وراس الخطايا الشرك ولا نعمة خير من التوحيد

ولا نقمة اشد من الشرك فعليك ان تعلم جميع انواع الاشراك بالله تعالى وتجتنب منه ما استطعت فانك تفوز غدا ان شاء الله تعالى بالدرجات العلى فى اعلى الفردوس وتنجو من دركات النار التى لا عذاب فوقها اللهم ثبت قلوبنا على دينك ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا قال فى فتح المجيد وفى هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين وهو الفاسق يقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد فى النار والصواب قول اهل السنة انه لا يسلب عنه اسم الايمان ولا يعطاه على الاطلاق بل يقال هو مؤمن عاص او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا يدل الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمتها وفى حديث الاسراء عن ابن مسعود يرفعه وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا المقحمات رواه مسلم وفى حديث انس عند احمد والترمذى وابن ماجة والنسائى قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معى الها فمن اتقى ان يجعل معى الها كان اهلا ان اغفر له ولمسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار قال القرطبى اى من لم يتخذ معه شريكا فى الالهية ولا فى الخلق ولا فى العبادة ومن المعلوم من الشرع بالضرورة وهو المجمع عليه عند اهل السنة ان من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة وان جرت عليه قبل ذلك انواع من العذاب والمحنة وان من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد فى النار ابد الآباد من غير انقطاع العذاب ولا تصرم الآماد قال النووى اما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابى اليهودى والنصرانى وبين عبدة الاوثان وسائر الكفرة ولا فرق عند اهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك واما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة اولا وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فان عفا عنه دخل الجنة اولا والا عذب فى النار ثم اخرج الى الجنة وقال غيره اقتصر على نفى الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهذا كقولك من توضأ صحت صلاته اى مع سائر الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الايمان به اجمالا فى الاجمال وتفصيلا فى التفصيل انتهى وعن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء
يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فی الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم جزاء رواه احمد والطبرانی والبيهقی وهذا لفظ احمد قال المنذری محمود بن لبيد رأى النبی
صلی الله عليه وآله وسلم ولم يصح له منه سماع فيما ارى وذكر ابن ابی حاتم ان البخاری قال له صحبة ورجحه
ابن عبد البر والحافظ وقد رواه الطبرانی باسانيد جيدة عنه عن رافع بن خديج مات محمود سنة ٩٦ وقيل سنة ٩٧
وله سنة ٩٩ وهذا الحديث من وادی شفقته بامته ورحمته ورأفته بهم فلا خير الا دلهم عليه وامرهم به و
لا شر الا بينه لهم واخبرهم به ونهاهم عنه كما قال صلی الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه ما بعث الله من
نبی الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم فاذا كان الشرك
مخوفا على اصحاب رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم مع كمال علمهم وقوة ايمانهم وغاية عملهم وصحة
نيتهم فكيف لا يخاف من هو دونهم فی العلم والايمان والعمل والنية بمراتب خصوصا اذا عرف ان اكثر
علماء الامصار وفضلاء الاقطار من العرب والعجم والاحمر والاسود والابيض لا يعرفون من التوحيد
الا ما يقر به المشركون وما عرفوا معنى لا اله الا الله الذی نفته كلمة الاخلاص عما سوى الله واخرج ابو يعلى
وابن المنذر عن حذيفة بن اليمان عن ابی بكر عن النبی صلی الله عليه وآله وسلم قال الشرك فيكم اخفى من
دبيب النمل قال ابو بكر يا رسول الله وهل الشرك الا ما عبد من دون الله او ما دعی مع الله قال ثكلتك
امك الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل الحديث ومنه ان تقول اعطانی الله وفلان والند ان يقول الانسان
لولا فلان قتلنی فلان انتهى من الدر المنثور قال الشوكانی فی الدر النضيد اعلم ان الله تعالى لم يبعث رسله
ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بانه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل
بعثة الرسل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الى غير ذلك من الآيات التی سقناها ثم قال ولهذا تجد كل ما
ورد فی الكتاب العزيز فی شان خالق الخلق ونحوه فی مخاطبة الكفار ورد معنونا باستفهام التقرير هل
من خالق غير الله أفی الله شك أغير الله اتخذ وليا بل بعث الله رسله وانزل كتبه لاخلاص توحيده و
افراده بالعبادة يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ونحو هذا من الآيات واخلاص التوحيد لا يتم الا
بان يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا
من غيره ولا تدعوا مع الله احدا له دعوة الحق وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ونحوها من الآيات قال و

ان شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسله صلی الله علیه وآله وسلم لم یکن الا باعتقادهم
ان الانداد التی اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الی الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بان الله هو
خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحییها ومحییهم ومميتها ومميتهم ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ان كنا لفی ضلال مبین اذ نسویكم برب العالمین وما یؤمن اکثرهم
بالله الا وهم مشرکون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانوا يقولون فی تلبيتهم لا شريك لك الا شريكا هو
لك تملكه وما ملك واذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد فی میت من الاموات او حی من الاحیاء انه یضره
او ینفعه استقلالا او مع الله ونادیه او توجه الیه او استغاث به فی امر من الامور التی لا یقدر علیها
المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا افرده بالعبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه
هو نوع من انواع العبادة ولا فرق بين ان يكون هذا المدعو من دون الله او معه حجرا او شجرا او ملكا
او شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية وبين ان يكون انسانا من الاحياء او الاموات كما يفعل الآن
كثير من المسلمين المشركين وكل عالم يعلم هذا ويقر به فان العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى و
تشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد وللحی كما يكون للميت فمن زعم ان ثم فرقا بين من اعتقد
فی وثن من الاوثان انه يضر او ينفع وبين من اعتقد فی میت من بنی آدم او حی منهم انه یضر او ینفع او یقدر
علی امر لا یقدر علیه الا الله تعالی او یقدر علیه معه فقد غلط غلطا بینا واقر علی نفسه بجهل کبیر
فان الشرك هو دعاء غير الله فی الاشیاء التی تختص به او اعتقاد القدرة لغیره فیما لا یقدر علیه سواه
او التقرب الی غیره بشیء مما لا یتقرب به الا الیه ومجرد تسمیة المشرکین لما جعلوه شریکا بالصنم والوثن
والاله لیس زیادة علی التسمیة بالولی والقبر والمشهد کما یفعله کثیر من المسلمین المشرکین بل الحکم
واحد اذا حصل لمن یعتقد فی الولی والقبر ما کان یحصل لمن کان یعتقد فی الصنم والوثن اذ لیس الشرك
هو مجرد اطلاق بعض الاسماء علی بعض المسمیات بل الشرك هو ان یفعل لغیر الله شیئا یختص به سبحانه سواء
اطلق علی ذلك الغیر ما کان تطلقه علیه الجاهلیة او اطلق علیه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط و
من لم یعرف هذا فهو جاهل لا یستحق ان یخاطب بما یخاطب اهل العلم وقد علم ان عبادة الکفار للاصنام
لم تکن الا بتعظیمها واعتقاد انها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها فی بعض الحالات
بجزء من اموالهم وهذا کله قد وقع من المعتقدین فی القبور فانهم قد عظموها الی حد لا یکون الا لله سبحانه

الدعاء نوع من انواع العبادة

بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده او قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت وربما لا يتركها اذا كان في حرم الله او في مسجد من المساجد او قريبا من ذلك و ربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده وأما اعتقادهم انها تضر و تنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع احد منهم ميتا او حيا عند استجلابه لنفع او استدفاعه لضر قائلا يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وانا بالله وبك واما التقرب للاموات فانظر ما يجعلونه من النذر لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات ولو طلب الواحد منهم ان يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل وهذا معلوم يعرفه من عرف احوال هؤلاء انتهى كلام الدر النضيد

باب في رد الاشراك في العلم

قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو المفاتح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن جعل للامور الغيبية مخازن يخزن فيها على طريق الاستعارة او جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح والمعنى عنده خاصة مخازن الغيب او المفاتح التي يتوصل بها الى المخازن اي لا علم لاحد من خلقه بشئ من الامور الغيبية التي استأثر الله بعلمها ويستوي في ذلك الملائكة والانبياء والرسل والاولياء والجن والشياطين وغيرهم كما يدل على هذا الجملة المستثناة فان هذه الآية الشريفة بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها من حيث القدرة وفي هذه الآية الكريمة ما يدفع اباطيل الكهان والمنجمين و الرمليين وغيرهم من مدعي الكشف والالهام ما ليس من شانهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلى الاسلام واهله بقوم سوء من هذه الاجناس الضالة والانواع المخذولة ولم يربحوا من اكاذيبهم واباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق من اتى كاهنا او منجما فقد كفر بما انزل على محمد قال ابن مسعود اوتي نبيكم كل شئ الا مفاتح الغيب قال ابن عباس انها الاقدار والارزاق وقال الضحاك خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون اذ يكون كيف يكون وما لم يكن ان لو كان كيف يكون واللفظ اوسع من ذلك ويدخل فيه ما ذكروه دخولا اوليا وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحام

الا الله ولا تعلم نفس ماذا تکسب غدا ولا تدری نفس بای ارض تموت ولا یدری احد متی یجیٔ المطر
اخرجه البخاری فی کل الفاظ وفی روایة ولا یعلم احد متی تقوم الساعة الا الله وليس فی هذه الروايات
حصر الامور الغيبية فی تلک الاشیاء بل فیها انها اصول الغیب قال بعض اهل العلم فی تفسیر هذه الاية
الشریفة ان الله تعالی کما هدی عباده لدرک الامور الظاهرة الی سبل کالعین للبصر والسمع للسماع و
الانف للشم واللسان للذوق والید للاخذ والعقل للفهم وهذه السبل فی اختیار العباد یستعملون لها على
وفق ارادتهم و ینتفعون بها حسب مرادهم مثلا اذا اراد القلب ان یبصر شیئا فتح العین و اذا لم یرد
اغلقوها وکذا اذا ارادوا ان یذوقوا شیئا القوه فی الفم ولاکوه واذا لم یریدوه ما لاکوه فکانه سبحانه
اعطاهم مفاتح ادراک هذه الاشیاء وکل من یکون فی یده مفتاح تکون الاقفال فی اختیاره فتحها
متی شاء واغلقها متی شاء فالامور الظاهرة ادراکها الی العباد ان شاؤا ادرکوا وان لم یشاؤا لم یدرکوا
فکذلک درک الامور الغیبیة شان الله تعالی لیس باختیار احد من العباد لا ولی ولا نبی لاجن ولا ملک
ولا شیخ ولا شهید لا امام ولا ولد الامام ولا خبیث ولا جنیة فان الله تعالی لم یعط احد القدرة على
ادراک الغیب بحیث متی شاء ادرکه وعلم به بل اذا اراد ان یخبر احدا بشیٔ یخبره علی قدر الارادة منه له
لا علی قدر ارادة المرید له وعلی حسب اقتراحه وقد اتفق لرسول الله صلی الله علیه واله وسلم مرات انه
اراد ان یعلم شیئا او یدرکه فلم یعلم به ولا ادرکه واذا اراد الله ان یعلمه به اخبره صلی الله علیه
واله وسلم فی ان واحد مثاله ان المنافقین قذفوا عائشة زوج النبی صلی الله علیه واله وسلم وکان هو
صلی الله علیه واله وسلم فی غم عظیم من هذا الامر وکان یحققه الی ایام معدودة فلم یشعر بحقیقة الحال
والبال قد بلبل من القلق والهم ولکن لما اراد الله ان یطلعه على ذلک اخبره ان المنافقین لکاذبون و
عائشة بریئة من قذفهم فینبغی ان یؤمن بان مفاتح الغیب عند الله تعالی لم یضعها فی ید احد من الخلق
ولم یجعل احدا خازنا لها بل هی فی یده الکریمة یفتح بها ویرزق من یشاء ما شاء لا یقدر احد ان یمسک
یده فهذه الاية الشریفة دلت على ان من ادعی ان عنده علما یعلم به امرا غیبیا متی شاء و فی
قدرته ان یعلم بالامور المستقبلة الاتیة فهو اکذب الکاذبین یدعی له الالوهیة التی استاثر
بها رب العالمین فمن اعتقد فی نبی او ولی وجن وملک او امام او ولد لامام او شیخ او شهید او
منجم ورمال وجفار او فاتح فال وبرهمن او راهب وجنیة او خبیث ان له مثل هذا العلم وهو یعلم الغیب

بعلمه ذلك فهو مشرك بالله وعقيدته هذه من ابطل الباطلات واكذب المكذوبات وهو منكر لهذه الاية القرانية وجاحد بها ولا تغتر بان فى بعض الاحوال والاوقات يطابق خبر المنجم والرمال والبرهمن وفأله وطيرة الواقع ويكون الامر كما اخبر فان ذلك غلط بحت ووسواس صرف ووهم خالص ولا يثبت من هذا علم الغيب لهم الا ترى ان كثيرا من اخبارهم يقع على خلاف حكمهم وخبرهم فلو كانوا يعلمون الغيب لم يكن خبرهم غلطا ابدا والحال انهم يقولون ما يقولون خرصا وظنا فتارة يصح واخرى لا يصح بل يكون غلطا فاين هذا من ذاك وهكذا شان الاستخارة المستحدثة والكشف والفال لقران المجيد نعم وحى الانبياء عليهم السلام لا يتطرق اليه الخطأ والغلط وهو ليس فى اختيارهم فما ظنك بغيرهم من احاد الخلق بل يخبرهم الله تعالى بما شاء لا على حسب ارادتهم ويدل لذلك قوله سبحانه قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن اى الذى هو محل الخطأ ومكان الجهل وان انتم الا تخرصون اى تتوهمون مجرد توهم فقط كما يتوهم الخارص وتقولون على الله الباطل وقال تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون اى لا يعلم احد من المخلوقات الكائنة الثابتة الساكنة المستقرة فيهن وهم الملائكة والانس ومنهم الرسل والجن وغيرهم الغيب الذى استاثر الله بعلمه ولكنه سبحانه يعلم ذلك والاستثناء على هذا منقطع ورفع ما بعد الا على اللغة التميمية وقيل لا يعلم غيب من فيها ولا يعلم الاشياء التى تحدث فيهما الا الله وقيل هو استثناء متصل من من والاول اولى لان الاتصال يقتضى ان الله تعالى من جملة من فيهما مع انه سبحانه بائن عنهما فوق كل شئ مستو على عرشه اخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عائشة قالت ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية وقالت فى اخره ومن زعم انه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم الاية ومعنى اخر الاية ما يشعر الكفار متى ينشرون من القبور لان الشعور بوقت النشر وزمان البعث من الامور الغيبية التى لا علم بها لاحد الا الله بل الابرار ايضا لا يعلمون بذلك فضلا عن الفجار والكفار والاشرار قال بعض اهل العلم فى هذه الاية ان الله امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للناس ان علم الغيب لا يعلمه غير الله لا ملك ولا ادمى ولا جن ولا نبى ولا غير هؤلاء من البررة والفجرة وليس باختيار احد ان يعلم امرا غيبا والدليل على ذلك ان الصلحاء يعلمون بان الساعة تاتى يوما ويؤمنون بذلك ولكنهم لا يعلمون متى تاتى فلو كان العلم بكل شئ فى قدرتهم لعلموا بذلك ايضا ولم يكونوا غير

شاعرین بها فثبت ان العلم بوقت البعث وحین النشر خاصة لله تعالی لا یشرکه فیه احد من الخلق و
کذلك بغیره من الامور المخفية الغيبية التي لم يطلع احداً عليها وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة
ای علم وقتها الذی تقوم فیه قال الفراء معنی هذا الکلام النفی ای ما یعلمه الا الله وقال النحاس وانما
صار فيه معنى النفي لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا الله انها هذه وينزل الغيث اى فى الاوقات المضروبة له وفى الامكنة التى جعلها معينة لانزاله
ولا يعلم ذلك غيره قرئ من التنزيل والانزال وفيه رد على من يقول بنزول الغيث كذا وكذا في وقت كذا
وكذا في مكان كذا وكذا ونحو ذلك ويعلم ما فى الارحام من الذكور والاناث والصلاح والفساد وما
يتصل بهذا من التطورات وما تدرى نفس من النفوس كائنة ما كانت من غير فرق بين الملائكة والانبياء
والجن والانس والشياطين ماذا تكسب غدا من كسب دين او كسب دنيا خيرا وشر فرح او ترح بسط او قبض
عسر او يسر ونحوها من كل شئ وما تدرى نفس باى ارض تموت اى لا تعلم نفس باى مكان يقضى الله
عليها بالموت من الارض فى بر او بحر فى سهل وجبل ربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا
ابرحها فترمى بها مرامى القدر حتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان
عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدنى
وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان
كان دوام نظرى اليه تعجبا منه لانى امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك ذكره النسفى فى المدارك
ورأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس فعبرها
المعبرون بخمس سنوات وبخمس اشهر وبخمسة ايام فقال الامام ابو حنيفة نعمان بن ثابت رضى الله عنه
هو اشارة الى هذه الاية الشريفة فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال الكرخى اضاف فى الاية
العلم الى نفسه فى الثلاثة الاول من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد فى الاخيرتين منها مع ان
الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها لان الثلاثة الاول امرها اعظم وافخم فخصت
بالاضافة اليه تعالى والاخيرتان من صفات العباد فخصتا بالاضافة اليهم مع انه اذا انتفى عنهم علمهما
كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة اولى ان الله عليم بهذه الاشياء وبغيرها من الغيوب جميعها خبيرا
كان وبما يكون وببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها

ملك مقرب ولا نبى مرسل فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن وفيه ردٌّ على المنجم والكاهن الذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرهما اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس بأى ارض تموت الا الله وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابى هريرة فى حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشراطها ثم قال فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلى هذه الآية اى لا يدرى احد متى تقوم الساعة فى اى سنة واى شهر واى يوم واى ساعة ليلا او نهارا وفى الباب احاديث وعن مجاهد قال جاء رجل من اهل البادية فقال ان امرأتى حبلى فاخبرنى ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت واخبرنى متى اموت فانزل الله هذه الآية وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت فماذا اكسب غدا وزاد ايضا انه سأل عن قيام الساعة وقيل نزلت فى الحارث بن عمرو بن حارثة من اهل البادية واللفظ اوسع من التخصيص والآية نص فى محل النزاع وفيها ادل دليل على نفى علم الغيب عنه صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن غيره من الرسل والامم قال بعض اهل العلم فى هذه الآية ان العلم بالامور الغيبية هو شأن الله تعالى ليس باختيار احد من الخلق هذه القيامة اتيانها مشهور بلغ حد التواتر لا ريب فيها ولكن لا يعلم وقت مجيئها الا هو فضلا عن اشياء اخرى ليست فى هذه المثابة من الشهرة واليقين كفتح احد وهزيمة آخر وصحة احد ومرض آخر وحياة احد وموت آخر فان هذه لا تساوى القيامة فى الشهرة ولا فى اليقين مثلها وكذلك لا علم لاحد بنزول المطر مع ان موسمه متعين ووقته معروف ويمطر غالبا فى تلك المواسم والاحيان وكلهم من نبى وولى وسلطان وحكيم وطبيب وعالم وجاهل بدوى وقروى يحتاج اليه فلو كان للعلم الى وقت نزوله سبيل فلا بد ان يعلم به احد واذ ليس فليس فكيف بالاشياء التى لا موسم لها ولا يحتاج اليها جميع الناس كموت احد وحياته وولادة احد وكونه غنيا او فقيرا او فتح احد وهزيمته فى الحرب وعند الالتحام فانى لهم التناوش من مكان بعيد وكذلك ما فى ارحام الامهات فانه لا يعلم احدٌ اهو ذكر ام انثى مادة كاملة او ناقصة حسن الصورة او قبيح الشكل مع ان الاطباء يحكون الاسباب والعلامات لذلك ولكن لا يقدرون على العلم بحال احد مخصوص به واذا لم يعلموا ذلك فما ظنك بما هو مستور فى الآدمى من الخيالات والارادات والنيات والايمان والنفاق فانهم لا يتمكنون منها اصلا وكذلك اذا لم يعلم احد بحال نفسه انه ماذا

يفعل غدا وماذا يكسب من خير او شر فكيف يعلم بحال غيره واذا لم يدر بمكان موته فكيف يدرى مكان موت احد ووقته وبالجملة فلا يقدر احد على ان يعلم امرا او شيئا سيكون باختياره وارادته سوى الله الواحد الذى لا شريك له ولا ند ولا ضد وهذه الاية قد دلت على ان هؤلاء الذين يدعون العلم بالغيب بكشف او استخارة او نظر فى تقويم قديم او ورقة او رمل او قرعة او ازلام او كتاب الفال فاولئك هم الكاذبون المفترون لا ينبغى لاحد ان يقع فى شركهم ومصيدهم بل الذى يجب ان يكون على حذر منهم فانهم لصوص كالوز بطالون نعم الذى لا يدعى لنفسه العلم بالغيب ولا يراه فى قدرته واختياره بل يقول انه يعلم تارة شيئا من جهة الله سبحانه وتعالى وهذا ليس فى قدرته ولا يتمكن من العلم به متى شاء بل الله يمن بذلك عليه متى اراد فهذا الامر يمكن لعل قائله صدق او كاد والله اعلم وقال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة اى لا احد اضل منه ولا اجهل فانه دعى من لا يسمع فكيف يطمع فى الاجابة فضلا عن جلب نفع او دفع ضر فتبين بهذا انه اجهل الجاهلين واضل الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع ويوم القيامة غاية لعدم الاستجابة والمراد بها التاكيد كقوله تعالى وان عليك لعنتى الى يوم الدين قاله الشهاب وقال فى الانتصاف فى هذه الغاية نكتة وهى انه تعالى لما جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت الغاية بانتفاء الاستجابة فى يوم القيامة على وجه ابلغ واتم واوضح وضوحا لحقه بالبين الذى لا يتعرض لذكره اذ هناك تتجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها الضمير فى قوله وهم عن دعائهم غافلون الاول للاصنام والثانى لعابديها والمعنى الاصنام التى يدعونها غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جمادات فالغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهم واجرى على الاصنام ما هو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها انها تعقل قاله المفسرون واقول الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاية شملت كل من يدعو من دون الله من كل داع حيا كان او ميتا والدعاء هو العبادة فمن عبد غير الله دخل فى هذه الاية ومعبوده غافل عن عبادته هذه ولا يستجيب له يوم البعث ايضا قال بعض اهل العلم فى هذه الاية يعنى ان هؤلاء المشركين هم اشد حماقة فى حالهم تركوا الله القادر العليم ودعوا غيره مما لا يقدر على شئ ولا يعلم بشئ وبيان الحماقة اولا انهم لا يسمعون دعاء هؤلاء اصلا ولا يعقلونه وثانيا لا قدرة لهم على شئ لو دعاهم داع الى يوم القيامة لا يتمكنون من شئ من دعائه والاستجابة له فهذه الاية قد علم منها ان بعض المشائخ الذين يدعوهم الناس من امد بعيد ومراحل شاسعة وامكنة قصوى ولا يقولون فى دعائهم الا قولهم هذا يا فلان الحضرة

ادع الله تعالیٰ یقضی بقدرته حاجتی الفلانیة ویرون ان هذا لیس من الشرك فی شئ لانهم لم یدعوه ولم یعبدوه بل طلبوا منه الدعاء فی جناب الباری تعالیٰ شانه فهذا غلط منهم وهفوة لا یعبأ بها لانا سلمنا ان الشرك لم یثبت من قبل دعاء الله تعالیٰ فی هذا الامر ولکن ثبت من جهة نداء غیر الله فانه لم یدعهم الا بعد ان اعتقد انهم یسمعون نداءه ودعاءه من قریب و بعید سواسیة فکلما ندعوهم یسمعون دعاءنا ونداءنا وهذا هو الشرك المحض وقد قال تعالیٰ فی هذه الآیة ان کل من دون الله لا یستجیب للداعی لنداءه بل هو عن صنعه هذا فی غفلة فاذا اثبت کونهم غافلین فدعاؤهم لا یاتی الا من المشرکین الجاهلین و فیه الشرك وهو للنهی عنه ولاجله ارسلت الرسل وانزلت الکتب وقال تعالیٰ قل لا املك لنفسی نفعا ولا ضرا قال ابن جریر یعنی الهدی و الضلالة وهذه الجملة متضمنة لتاکید ما تقدم قبلها من عدم علمه صلی الله علیه وآله وسلم بالساعة ایان تکون و متی تقع لانه اذا کان لا یقدر علی جلب نفع له او دفع ضر عنه الا ما شاء الله سبحانه من النفع له والدفع عنه فبالاولی ان لا یقدر علی علم ما استاثر الله بعلمه و فی هذا من اظهار العبودیة والاقرار بالعجز عن الامور التی لیست من شان العبید والاعتراف بالضعف عن انتحال ما لیس له صلی الله علیه وآله وسلم ما فیه اعظم زاجر وابلغ واعظ لمن یدعی لنفسه ما لیس من شانها وینتحل علم الغیب بالنجامة او الرمل والطرق بالحصی والزجر قال النسفی ای انا عبد ضعیف لا املك لنفسی اجتلاب نفع ولا دفع ضر کالممالیك الا ما شاء مالکی من النفع لی والدفع عنی و الاستثناء منقطع وبه قال ابن عطیة وهو ابلغ فی اظهار العجز ثم الد هذا وقرره بقوله ولو کنت اعلم الغیب لاستکثرت من الخیر ای لو کنت اعلم جنس الغیب لتعرضت لما فیه الخیر فجلبته الی نفسی و توقیت ما فیه السوء حتی لا یمسنی و لکنی عبد لا ادری ما عند ربی ولا ما قضاه فی وقدره لی فکیف ادری غیر ذلك واتکلف علمه وقیل المعنی لو کنت اعلم ما یرید الله عز وجل منی من قبل ان یعرفنیه لفعلته وقیل لو کنت اعلم متی یکون لی النصر فی الحرب لقاتلت فلم اغلب وقیل لو کنت اعلم الغیب لاجبت عن کل ما اسال عنه وقیل لو کنت اعلم وقت الموت لاستکثرت من العمل الصالح وقیل لاعددت من الخصب للجدب و قیل غیر ذلك والاولی حمل الآیة علی العموم فیندرج هذه الامور و غیرها تحتها وما مسنی السوء ای لو علمت الغیب ما مسنی السوء ولحذرت عنه وقال ابن جریج لا یصیبنی الفقر وقال ابن زید لاجتنبت ما یکون من الشر قبل ان یکون وقال الکرخی ای ما مسنی سوء یمکن التفصی عنه

بالتوقی عن موجباته والمدافعة بموانعه لاسوء ما فان منه مالامدفع له ان انا الا نذیر وبشیر ای ما انا الا مبلغ عن الله احکامه لقوم یؤمنون ای الذین کتب فی الازل انهم یؤمنون فانهم المنتفعون به فلا ینافی کونه بشیرا ونذیرا للناس کافة قال فی فتح البیان والذی اخبر به صلی الله علیه وآله وسلم عن المغیبات وقد جاءت بها احادیث فی الصحیح فهو من قبیل المعجزات ومن قال ان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال ذلک علی سبیل التواضع والادب فقد ابعد النجعة بل الحق ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم قاله معتقدا بذلک وان الله هو المستاثر بعلم الغیب والمعجزات مخصصة من هذا العموم کما قال تعالی الا من ارتضی من رسول انتهی فالآیة علی هذا نص فی عدم علمه صلی الله علیه وآله وسلم بالامور المغیبة ومن هو اعلی درجة واکمل علما واعرف بالله تعالی من رسوله صلی الله علیه وآله وسلم حتی یعلم الغیب ویدعی درکه قال بعض اهل العلم ان الانبیاء والاولیاء افضلهم خاتم الرسل والناس قد رأوا معجزات العظمی ومنه تعلموا اسرار الامور وباقتدائه صلی الله علیه وآله وسلم حصلت الکرامة لکل حد فلما کان صلی الله علیه وآله وسلم کذلک خاطبه الله تعالی فی هذه الآیة وامره ان یقول للناس ما تقدم لیعلموا حاله فی عدم ادراک الغیب فامتثل الامر وبلغ الناس عدم قدرته علی درک المغیبات وبین انه غیر قادر علی نفع نفسه ولا یملک شیئا منه ومن ضره فکیف یملکهما للآخرین ولو کان العلم بالغیب فی قدرته وتحت طاقته وکان یعلم عاقبة الامر لنفع نفسه وصانها عن الضر ومس السوء ولم یأت الا بما ینفعه لا بما یضره وبالجملة لا قدرة لی ولا علم لی بالغیب ولا ادعی الالهیة انما انا نبی مرسل وشان النبی ان ینذر ویبشر ولا ینفع انذاره وتبشیره الا من یؤمن ویتیقن ولیس القاء الایقان فی القلوب من شانی بل هو فی قدرة الله وارادته واختیاره ومشیئته فهذه الآیة دلیل علی ان الانبیاء والاولیاء الذین اکرمهم الله وشرفهم وعظمهم فی خلقه انما کرامتهم انهم یهدون الناس الی سبیل الله وینذرونهم عن عاقبة السیئات ویبشرونهم بحسنها علی الاتیان بالحسنات لانهم عارفون بالمحاسن والقبائح مطلعون علی الفضائل والرذائل فیعلمون الناس ما هم عالمون به من الخیور والشرور وان الله تعالی بارک فی کلماتهم فیسلک الناس ببرکاتهم الصراط المستقیم ویهتدون الی السبیل السوی واما انهم لا یقدرون علی التصرف فی العالم فلا یستطیعون علی اماتة احد ولا علی اعطاء ولد ولا حل مشکل وکشف معضل وقضاء حاجة وعلی الفتح والهزیمة والغنی والفقر وجعل احد ملکا او وزیرا وامیرا او رئیسا او علی شفاء مریض او افاضة عافیة لاحد وسلب هذه الامور من

احداث ايمان فى قلب او انتزاعه منه فهذا ليس بنقص فيهم لان الناس جميعهم فى هذه الامور سواء
كانوا اكابر او اصاغر سواسية وكلهم عاجزون غير قادرين على شئ من ذلك وكذلك لا نقص فيهم على ان
الله لم يمكنهم من علم الغيب حتى يعلموا حال القلب متى شاؤا وهل هو حى ام ميت او فى البلد الفلانى او فى
الحال الفلانى وهل يولد له ام لا وهل يربح فى التجارة ام لا وهل يغلب فى المعركة ام يهزم فان هذه
الامور يستوى فيها العباد العظماء والصغراء وكلهم عن ذلك غافلون وجاهلون فكما ان الناس جميعا قد يدرون
شيئا بالعقل و القرينة فيوافق الواقع تارة ويخطأون فيه اخرى فهكذا ما يقوله هذه الكبراء الفضلاء
بعقلهم وبالقرائن قد يقع وقد لا يقع وقد يصح وقد يغلط فالحال واحد و الشأن واحد اللهم الا ما كان
من طريق الوحى او الالهام الالهى فهو امر اخر ولكن ليس ذلك ايضا فى قدرتهم وامكانهم حتى يشاء الله
تعالى وقال تعالى الم اقل لكم يا ملائكتى انى اعلم غيب السموات والارض يعنى ما كان وما سيكون وذلك
انه سبحانه علم احوال آدم قبل ان يخلقه قال فى فتح البيان وفى اختصاصه بعلم غيب السموات والارض
رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع على شئ من علم الغيب كالمنجمين والكهان واهل الرمل والسحرة
والمشعوذة انتهى ومنهم جهلة المتصوفة المدعية له بالكشف والالهام واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
اى ما تظهرون وما تسرون كما يفيده معنى ذلك عند العرب ومن فسره بشئ خاص فلا يقبل منه الا بدليل
وقال تعالى ذلك من انباء الغيب اى من اخبار ما غاب عنك نوحيه اليك اى نعلمك به ونظهرك و
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ان الغيب مختص علمه به تعالى ولا يعلمه احد نبيا
كان او غيره وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقد استدل
بهذا من اثبت القرعة والخلاف فى ذلك معروف وقد ثبتت احاديث صحيحة فى اعتبارها وورودها فى خمسة
مواضع ذكره الشوكانى رح فى النيل وعدها والمراد هنا بهذه الآية اثبات علم الغيب لله سبحانه وانه
لا يشركه فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا اجبتم اى ما الذى
رد عليكم قومكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى وتوجيه السؤال الى الرسل
لقصد توبيخ قومهم واممهم المشركة قالوا صيغة الماضى للدلالة على التحقق لا علم لنا هذا تفويض منهم
واظهار للعجز وعدم القدرة ورد الامر الى علمه تعالى وقيل معناه لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وقيل لا علم لنا
بما اشتملت عليه بواطنهم وقيل لا علم لنا بعاقبة امرهم وقيل غير ذلك واللفظ اوسع من هذا انك انت

علام الغيوب يعنى انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما فى
الضمائر ليس تخفى عليك خافية وفى الاية دليل على نفى علم الانبياء بالغيوب اجماعا منهم واعترافا به فى
تجاه الرب تعالى واذا لم يعلم الرسل والانبياء الغيب ونفاه عنهم سبحانه فمن ذا الذى يدعيه لنفسه
او لاحد منهم مضادا لاخبار الله تعالى وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اشار به الى ان
اتخاذهما الهين تشريك لهما معك فى الالوهية لا افرادهما بذلك اذ لا شبهة فى الوهيتك وانت منزه
عن الشريك فضلا ان يتخذ الهان دونك على ما يشعر به ظاهر العبارة نبه عليه السعد التفتازانى
ان كنت قلته فقد علمته وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه
وقد علم انه لم يقله فثبت بذلك عدم القول به تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك قال ابن عباس
اى تعلم ما فى غيبى ولا اعلم ما فى غيبك انك انت علام الغيوب تعلم ما كان وما سيكون وفى الاية
دليل على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب ورد على كل من يدعيه من الناس او يثبته لاحد من الخلق
سواء كان رسولا او غيره فان كلهم فى عدم العلم بالغيب اى غيب كان سواسية ما قلت لهم
الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم اى ما امرتهم الا ان وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا وفيه رد على
النصارى فى قولهم ان المسيح ابن الله فانه عليه السلام اعترف هنا بعبديته وربوبية الله له ولهم
اجمعين وقال تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله المراد خزائن قدرته التى تشتمل على كل شئ من الاشياء
امره صلى الله عليه واله وسلم بان يخبرهم بذلك وامره ان يقول لهم ايضا لا ادعى انى اعلم الغيب من
افعاله حتى اخبركم به واعرفكم بما سيكون فى مستقبل الدهر ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى
الى فيه نفى علم الغيب عن خاتم الرسل صلى الله عليه واله وسلم صريحا لا يتطرق اليه شك ولا شبهة
وهو الحق الذى لا محيص عنه وقال تعالى وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة قال المفسرون
صفة للذى خلق السموات والارض وهو يعلم ما غاب من عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه
اشارة الى انه خبر لمبتدا المحذوف لا صفة ١٢
شئ ولا يعلم احد غيره سبحانه شيئا من الغيب فمن اثبت علم شئ من المغيبات لغير العالم به على الاطلاق
فقد اتى بابا عظيما من الشرك وقال تعالى ان الله يعلم سرهم ونجواهم اى جميع ما يسرونه من النفاق وما يتناجون
به فيما بينهم من الطعن على النبى صلى الله عليه واله وسلم وعلى اصحابه وعلى دين الاسلام وان الله علام الغيوب

اى ما غاب عن العيان فلا يخفى عليه شئ من الاشياء المغيبة كائنا ما كان و هذا يدل بفحواه على اختصاصه سبحانه بعلم الغيب و اذا كان هذا العلم مختصا به فادعاؤه لغيره شرك به سبحانه و يدل له قوله تعالى فقل انما الغيب لله اى الله هو المحيط بعلمه المستاثر به لا علم لى و لا لكم و لا لسائر مخلوقاته وقوله تعالى وما يعزب عن ربك اى ما يغيب عن علمه من مثقال ذرة اى نملة حمراء التى هى خفيفة الوزن جدا فى الارض و لا فى السماء اى فى دائرة الوجود و الامكان و انما عبر عنها بهما مع انه سبحانه لا يغيب عنه شئ لا فيهما و لا فيما هو خارج عنهما لان الناس لا يشاهدون سواهما و سوى ما فيهما من المخلوقات و قدم الارض على السماء لانها محل استقرار العالم فهم يشاهدون ما فيها من قرب وقال تعالى و لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب اى و لا ادعى انى اعلم بغيب الله فيه انكار عن علمه صلى الله عليه و آله و سلم بالغيب و هو نص فى موضع النزاع و قد تقدم مثله قريبا وقال تعالى تلك اى قصة نوح عم من انباء الغيب اى من جنسها و الانباء جمع نبأ و هو الخبر نوحيها اليك و المجيئ بالمضارع لاستحضار الصورة ما كنت يا محمد تعلمها انت و لا قومك من قبل هذا اى الوحى و القرآن فاصبر ان العاقبة للمتقين فيه نفى علم الغيب عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عن العرب و غيرهم مثلهم فى ذلك وقال تعالى و لله غيب السموات و الارض اى علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما و خص الغيب مع كونه يعلم بما هو مشهود كما يعلم بما هو مغيب لكونه من العلم الذى لا يشاركه فيه غيره قاله فى فتح البيان و اليه يرجع الامر كله اى امر الخلق كلهم فى الدنيا و الاخرة يوم القيامة فيجازى كلا بعمله فاعبده و لا تعبد غيره فان عبادة الغير و اثبات علم الغيب له شرك به تعالى و توكل عليه قيل هذا الخطاب له صلى الله عليه و آله و سلم و لجميع خلقه مؤمنهم و كافرهم و فى تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها قال كعب الاحبار فاتحة التوراة فاتحة الانعام و خاتمتها خاتمة هود يعنى هذه الاية و لله الخ وقال تعالى ذلك المذكور من امر يوسف عليه السلام من انباء الغيب اى اخباره نوحيه اليك و ما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم و هم يمكرون فيه نفى علم الغيب عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما اكثر الناس و لو حرصت على هدايتهم و بالغت فى ذلك بمؤمنين بالله لتصميمهم على الشرك الذى هو دين آبائهم و على الكفر و قد وجد ما ذكره الله تعالى ههنا من عدم ايمانهم بتوحيد الالوهية فى كل زمان سيما فى هذا الزمان الاخير الذى ظهر فيه الفساد فى البر و البحر و قال تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى و ما تغيض الارحام و ما تزداد و كل شئ عنده بمقدار عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال عما يقوله المشركون

فیه بیان احاطته سبحانه بالعلم وعلمه بالغیب وهذا یرشد الی نفیه عن الغیر وقال تعالی الم یاتکم نبأ الذین من قبلکم قوم نوح وعاد وثمود والذین من بعدهم لا یعلمهم ای لا یحصی عددهم ومقادیرهم ولا یحیط بهم علما الا الله وعدم العلم من غیر الله یعم ما هو راجع الی صفاتهم واحوالهم واخلاقهم ومن اعمارهم والی ما هو راجع الی ذواتهم ای لا یعلم ذلک کله الا الله سبحانه لانه هو المستاثر بذلک ولا یشارکه احد فی علم ما هنالک قال ابن مسعود فی هذه الآیة کذب النسابون وعن عمرو بن میمون مثله وعن ابی مجلز قال قال رجل لعلی کرم الله وجهه انا انسب الناس قال انک لا تنسب الناس فقال بلی فقال له علی ارایت قوله عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بین ذلک کثیرا قال انا انسب ذلک الکثیر قال ارایت قوله والذین من بعدهم لا یعلمهم الا الله فسکت وقال تعالی ولله غیب السموات والارض قال فی فتح البیان ای یختص ذلک به لا یشارکه فیه غیره ولا یستقل به وما امر الساعة الا کلمح البصر ای کرجع طرف من اعلی الحدقة الی اسفلها او هو اقرب منه بان یکون فی زمان نصف تلک الحرکة والساعة المذکورة هی التی هی اعظم ما وقعت فیه المماراة من الغیوب المختصة به سبحانه وهو اماتة الاحیاء واحیاء الاموات من الاولین والآخرین وتبدیل صور الاکوان اجمعین وقال تعالی له غیب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولی ولا یشرک فی حکمه احدا افاد هذا التعجب ان شانه سبحانه فی علمه بذلک خارج عما علیه ادراک المدرکین وقرئ ولا تشرک بالتاء علی انه نهی للنبی صلی الله علیه وآله وسلم ان یجعل لله شریکا فی حکمه والمراد بحکم الله ما یقضیه او علم الغیب والاول اولی ویدخل علم الغیب فی ذلک دخولا اولیا فان علمه سبحانه من جملة قضائه تعالی وقال تعالی قال فما بال القرون الاولی کقوم نوح وهود ولوط وصالح فی عبادتهم الاوثان فانها لم تقر بالرب بل عبدت الاوثان ونحوها من المخلوقات فاجابه موسی علیه السلام وقال علمها عند ربی ای هو من علم الغیب الذی استاثر الله به لا تعلمه انت ولا انا فی کتاب لا یضل ربی ولا ینسی اضاف موسی هذا العلم الی الله سبحانه ونفی ذلک عن نفسه فدل علی ان الانبیاء لا یعلمون منه شیئا الا ما یخبر به سبحانه ایاهم وقال تعالی عالم الغیب والشهادة ای هو مختص بذلک وهذا دلیل آخر علی الوحدانیة فتعالی الله عما یشرکون ای انه سبحانه متعال عن ان یکون له شریک فی الملک او فی علم الغیب وقال تعالی یسألونک الناس عن الساعة ای عن وقت حصولها ووجودها وقیامها قل انما علمها عند الله یعنی انه سبحانه استاثر به ولم یطلع علیه نبیا مرسلا ولا ملکا مقربا وما یدریک لعل الساعة تکون قریبا قال فی فتح البیان الخطاب لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لبیان انها اذا کانت محجوبة عنه

لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بغيره من الناس قال وفي هذا تهديد عظيم للمستعجلين واسكات للمتحينين والمشركين ولمن يثبت علم المغيبات للانبياء والصالحين وغيرهم من الخلق اجمعين وقال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين فيه رد على من يقول من الفلاسفة وغيرهم من ان الله يعلم الاشياء علما كليا ولا يعلمها علما جزئيا فهذه الاية الشريفة نص قاطع في محل النزاع وحجة بالغة الى الاعداء والاحباء في كونه سبحانه عالما بالعلم الجزئي الشامل لكل ذرة من الخلق ومن جحده فقد كفر وقال تعالى فلما خر تبينت الجن اى ظهر لهم وانكشف ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اى لو صح ما يزعمونه من انهم يعلمون الغيب لعلموا بموته ولم يلبثوا بعد موته مدة طويلة في العذاب اى العمل الذى امرهم به والطاعة له وهو اذ ذاك ميت قال الواحدى قال المفسرون كان الناس في زمن سليمان يقولون ان الجن تعلم الغيب فلما مكث سليمان قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التى كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته وعلم الناس ان الجن لا تعلم الغيب وفي الباب روايات بطرق والفاظ ذكرها في فتح البيان والاية دلت دلالة واضحة على ان الغيب لا تعلمه الجن ولا غيرهم من الانس وغيرهم بل هو خاصة الله سبحانه وخصيصة لا يشاركه فيه انس ولا جن ولا ملك ولا غيرهم من الخلق ومثبته لغيره سبحانه مشرك بالله في صفاته الخاصة به وقال تعالى قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب ومن قذفه بالحق تنصيصه سبحانه في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى بان علم الغيب مختص به تعالى وهو مستاثر به لا شريك له في ذلك احد من السعداء والاشقياء وقال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور وانث سبحانه لذاته هذا العلم اشارة الى عدم شريك له فيه وهو الحق الواضح الثابت بادلة الكتاب والسنة عند كل فقيه ونبيه وقال تعالى فاطر السموات والارض اى مبدعهما وخالقهما عالم الغيب والشهادة اى ما غاب وشوهد انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قيل هذه محاكمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين الى الله تعالى عن ابن المسيب لا اعرف اية قرئت فدعى عندها الا اجيب سواها وقال تعالى وما كنت بدعا من الرسل اى ما انا باول رسول قاله ابن عباس وما ادرى ما يفعل بى فيما يستقبل من الزمان ولا ادرى ما يفعل بكم ان اتبع الا ما يوحى الى فيه نفى العلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالامور المستقبلة

به وبغيره من الناس و الآية تدل بفحوى الخطاب على اختصاص ذلك العلم به سبحانه وتعالى وهو المراد
هنا وقد تقدم تفسيرها في الباب الاول من هذا الكتاب و قال تعالى قال اي هود عليه السلام انما العلم
بوقت مجئ العذاب عند الله لا عندي ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وابلغكم اي واما انا فانما وظيفتي
التبليغ ما ارسلت به اليكم من ربكم ولكني اراكم قوما تجهلون فيه نفي علم الغيب عن هود
النبي عليه السلام واختصاصه بالله تعالى وان القوم المشركين جاهلون مصرون على كفرهم وشركهم بالله
في صفاته الواجبية التي من جملتها العلم بالغيب و قال تعالى ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير
بما تعملون فيه بيان علمه تعالى بالغيب ولازمه ان لا يعلمه غيره اصلا كائنا من كان و قال تعالى الله الذي لا اله
الا هو اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الا له عالم الغيب والشهادة قدم الغيب على الشهادة لكونه
متقدما وجودا او المعنى عالم ما غاب عن الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان و
ما يكون وقيل الدنيا والآخرة وقيل المعدوم والموجود ولا مانع من الحمل على الجميع فان اللفظ اوسع من
ذلك والعبرة بعمومه لا بخصوص الاسباب و قال تعالى ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي يوم القيامة
فينبئكم بما كنتم تعملون من الاعمال القبيحة ويجازيكم عليها وفيه وعد وتهديد و قال تعالى عالم الغيب و
الشهادة العزيز الحكيم اي الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة في الاخبار عن الغيوب و قال تعالى قل انما العلم
اي ان وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين
انذركم واخوفكم عاقبة شرككم وكفركم وابين لكم ما امر الله ببيانه باقامة الادلة حتى يصير ذلك كانه
مشاهد و قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده سبحانه بعلم
الغيب اي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه الا من ارتضى من رسول اي من اصطفاه من الرسل ومن ارتضاه منهم
لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته قال القرطبي ليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى و
ينظر في الكف ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه
بحدسه وتخمينه وكذبه انتهى و قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدل له على ما يكون
من حادث فقد كفر بما في القرآن قال الزمخشري فيه ابطال الكهانة والسحر والتنجيم لان اصحابها ابعد شيء
من الارتضاء وادخله في السخط قال الرازي وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة
عموم في غيبه فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الآية فان قيل

فما معنی الاستثناء ج قلنا لعله اذا قربت القیامة یظهره وکیف لا وقد قال یوم تشقق السماء بالغمام و
نزل الملائکة تنزیلا فتعلم الملائکة ج قیام الساعة او هو استثناء منقطع ای من ارتضاه من رسول یجعل
بین یدیه ومن خلفه حفظة یحفظونه من شر مردة الجن و الانس و یدل علی انه لیس المراد انه لا
یطلع احدا علی شیٔ من المغیبات الا الرسل انه ثبت کما یقارب التواتر ان شقا و سطیحا کانا کاهنین
و قد عرفا بحدیث النبی صلی الله علیه و اٰله وسلم قبل ظهوره وکانا مشهورین بهذا العلم عند العرب
حتی رجع الیهما کسری فثبت ان الله قد یطلع غیر الرسل علی شیٔ من المغیبات وایضا اطبق اهل الملل
علی ان معبر الرؤیا یخبر عن امور مستقبلة ویکون صادقا فیها وایضا قد نقل السلطان سنجر بن ملک
شاه کاهنة من بغداد الی خراسان وسألها عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت علی وفق کلامها
قال واخبرنی ناس محققون فی علم الکلام والحکمة انها اخبرت عن امور غائبة بالتفصیل فکانت
علی وفق خبرها و بالغ ابو البرکات فی کتاب التعبیر فی شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثین سنة
فتحققت انها کانت تخبر عن المغیبات اخبارا مطابقا وایضا فانا نشاهد ذلک فی اصحاب الالهامات
الصادقة وقد یوجد ذلک فی السحرة ایضا وقد نری الاحکام النجومیة مطابقة وان کانت قد تتخلف
فلو قلنا ان القراٰن یدل علی خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الی القراٰن فیکون التاویل
ما ذکرنا انتهی کلامه بمعناه قال محمد بن علی الشوکانی رحمه الله تعالی اما قوله اذ لا صیغة عموم فی غیبه
فباطل فان اضافة المصدر و اسم الجنس من صیغ العموم کما صرح به ائمة الاصول و غیرهم و اما قوله او هو
استثناء منقطع فمجرد دعوی یاباه النظم القراٰنی و اما قوله ان شقا و سطیحا الخ فقد کان فی زمن تسترق
فیه الشیاطین السمع و یلقون ما یسمعونه الی الکهان فیخلطون الصدق بالکذب کما ثبت فی الحدیث
الصحیح و فی قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الاٰیات فباب الکهانة قد ورد بیانه فی هذه الشریعة
وانه کان طریقا لبعض الغیب بواسطة استراق الشیاطین حتی منعوا ذلک بالبعثة النبویة علی صاحبها
الصلوٰة والسلام والتحیة وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شدیدا وشهبا وانا کنا نقعد
منها مقاعد للسمع فمن یستمع الاٰن یجد له شهابا رصدا فباب الکهانة فی الوقت الذی کانت فیه
مخصوص بادلته فهو من جملة ما یخصص به هذا العموم فلا یرد ما زعمه من ایراد الکهانة علی هذه الاٰیة
و اما حدیث المرأة الذی اورده فحدیث خرافة ولو سلم وقوع شیٔ مما حکاه عنها من الاخبار لکان من باب

ما ورد فی الحدیث ان فی هذه الامة محدثین وان منهم عمر فیکون کالتخصیص لعموم هذه الاٰیة لا نقضا
واما ما اجترئ به علی الله وعلی کتابه من قوله فی اٰخر کلامه فلو قلنا ان القراٰن یدل علی خلاف هذه الامور
المحسوسة لتطرق الطعن الی القراٰن فیقال له ما هذه باول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك وکم لها
لدیك من اشباه وامثال نبض بها عرق فلسفتك ورکض بها الشیطان الذی صار یتخبطك فی مباحث
تفسیرك یا عجبا لك ایکون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن الی القراٰن وما
احسن ما قاله بعض ادباء عصرنا ؎ واذا رامت الذبابة للشمس * غطاء مدت علیها جناحا *
وقلت من ابیات منها ؎ مهب ریاح سده بجناح * وقابل بالمصباح ضوء صباح * فان قلت اذا قد تقرر
بهذا الدلیل القراٰنی ان الله یظهر من ارتضی من رسله علی ما شاء من غیبه فهل للرسول الذی اظهره
الله علی ما شاء من غیبه ان یخبر به بعض امته قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله
صلی الله علیه وآله وسلم من هذا ما لا یخفی علی عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك ما صح انه قام مقاما
اخبر فیه بما سیکون الی یوم القیامة وما ترك شیئا مما یتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه
ونسیه من نسیه وکذلك ما ثبت من ان حذیفة بن الیمان کان قد اخبره رسول الله صلی الله علیه
وآله وسلم بما یحدث من الفتن بعده حتی ساله عن ذلك اکابر الصحابة ورجعوا الیه وثبت فی الصحیح
وغیره ان عمر بن الخطاب ساله عن الفتنة التی تموج کموج البحر فقال ان بینك وبینها بابا فقال
عمر هل یفتح او یکسر فقال بل یکسر فعلم عمر انه الباب وان کسره قتله کما فی الحدیث الصحیح المعروف
انه قیل لحذیفة هل کان عمر یعلم ذلك فقال نعم کما یعلم ان دون غد اللیلة وکذلك ما ثبت من اخباره
لابی ذر بما یحدث له مما حدث له واخباره لعلی بن ابی طالب رضی الله عنه بخبر ذی الثدیة ونحو هذا مما
یکثر تعداده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل واذا تقرر هذا فلا مانع من ان یختص بعض صلحاء هذه
الامة بشیء من اخبار الغیب التی اظهرها الله لرسوله صلی الله علیه وآله وسلم واظهرها رسوله صلی الله علیه وآله
وسلم لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتکون کرامات الصالحین من هذا القبیل
والکل من الفیض الربانی بواسطة الجناب النبوی انتهی کلامه رحمه الله تعالی ومن الادلة الدالة علی رد
الاشراك فی العلم ما روی عن الربیع بنت معوذ بن عفراء قالت جاء النبی صلی الله علیه وآله وسلم فدخل حین
بنی علی فجلس علی فراشی کمجلسك منی فجعلت جویریات لنا یضربن بالدف ویندبن من قتل من اٰبائی یوم

بن راذ قالت احداهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين رواه البخارى كذا فى باب علان النكاح من المشكوة قال على القارى فى المرقاة انما منع لقولها وفينا نبى الخ لكراهة نسبة علم الغيب اليه لانه لا يعلم الغيب الا الله وانما يعلم الرسل من الغيب ما اخبرهم او اى معجزة لهم قال بعض العلماء ان الربيع كانت امرأة من الانصار فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عرسها وجلس عندها وكانت للانصار جوار اخذن فى الغناء فقلن فى مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه يعلم الامر المستقبل فمنعهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقلن هذا وامرهن ان يقلن القول السابق فدل هذا على ان لا ينبغى ان يعتقد فى احد من الانبياء والاولياء والائمة والشهداء وغيرهم انهم يعلمون الغيب ويدركون ما هو كائن بعد غد بل لا يحسن هذه العقيدة فى حقه صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو سيد المرسلين وخاتم النبيين فضلا عن غيره ولا يحسن ان يمدحه بمثل ذلك واما هؤلاء الشعراء الذين يبالغون فى مدائح الانبياء والرسل واهل الكرامة والشيوخ والاساتذة والملوك ويأتون باطراء فيهم ويتجاوزون الحدود فيصفونهم باوصاف لا تليق الا بالله ويرون ان المبالغة والاغراق يجوز فى الشعر فهذا من ابطل الباطلات واسوء المقالات لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يجوز مثل هذا المدح فى شعر الجويريات الانصارية له فاى عاقل يرضى بان يسمع مثل هذا النظم او يكتبه فى بياضه وديوانه او ينشده فى مجالسه ويتواجد عليه وقد اخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت من اخبرك ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الخمس التى قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة فقد اعظم الفرية المراد بهذه الخمس هى الآيات التى فى آخر سورة لقمان وقد تقدم تفسيرها قال بعض العلماء للمعنى ان كل شئ من الامور المغيبة داخل فى هذه الخمس فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم هذه الخمس التى شملت كل امر غيبى فقد اتى بالفرية العظمى فكيف بمن يعتقد هذا فى حق امام او كريم وقول ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انما ابى عنه ادبا بالشريعة فان القائل بذلك اكذب القائلين فانه لا يعلم الغيب كائنا ما كان وفى اى شان الا الله رب العالمين وعن ام العلاء الانصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله لا ادرى والله لا ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم رواه البخارى كذا فى باب البكاء والخوف من المشكوة وقال تعالى ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين نقل على القارى فى المرقاة عن الطيبى

وجوها فى معنى هذا الحديث ثم قال والحاصل انه يريد نفى علم الغيب عن نفسه وانه ليس بمطلع عليه وانه غير واقف ولا مطلع على المقدر له ولغيره والمكنون من امره وامر غيره لانه متردد فى امره غير متيقن بنجاته لما صح من الاحاديث الدالة على خلاف ذلك انتهى قال بعض اهل العلم ان معاملة الله بعباده فى الدنيا وفى القبر وفى الآخرة شئ لا يعلم به احد من الناس لا النبى ولا الولى لا بالنسبة الى نفسه ولا بالنسبة الى غيره ولو سلم ان الله اخبر بعض المقبولين بشئ على طريقة الوحى والالهام واعلمه ان عاقبة فلان بخير او بسوء فهذا امر مجمل والعلم بالزيادة عليه ودرك تفصيله خارج عن دائرة قدرهم قال فى فتح البيان فى تفسير الآية المذكورة اى ما ادرى ما يفعل بى فيما يستقبل من الزمان هل ابقى فى مكة او اخرج منها وهل اموت او اقتل كما فعل بالانبياء قبلى وما ادرى ما يفعل بكم يعنى هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم ام تمهلون وهذا انما هو فى الدنيا واما فى الآخرة فقد علم انه وامته فى الجنة وان الكافرين فى النار وقيل ان المعنى ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة قيل انها لما نزلت فرح المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والاول اولى لما ثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث ام العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون قلت رحمك الله يا ابا السائب شهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله اكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لارجو له الخير وما ادرى وانا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم قالت ام العلاء فوالله لا ازكى بعده احدا انتهى وهذا يرشدك الى ان القول بنسخ هذه الآية ضعيف جدا والمراد نفى علم الغيب عنه وبيان ان الله مستاثر به دون خلقه وهذا حق لا يتطرق اليه النسخ والله اعلم وفى حديث عمر يرفعه فى قصة جبرئيل عليه السلام قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل فيه نفى علم الغيب عن الانبياء والملائكة وفى رواية ابى هريرة فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم قرء ان الله عنده علم الساعة الآية والحديث متفق عليه وله دلالة على نفى علم الغيب عن الخلق وفى حديث ابن مسعود ان من العلم ان تقول لما لا تعلم الله اعلم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما انا من المتكلفين متفق عليه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة

اعين متفق عليه هذا الحديث فيه دليل على نفى العلم بالغيب عن البشر والرسول ايضا بشر فلا علم له ايضا بهذا كسائر البشر واخباره صلى الله عليه وآله وسلم بما فى الجنة من النعيم وانواعه وما فى النار من النقم واقسامها فامر اخبره الله تعالى بها انذارا وتبشيرا للعباد فكان ذلك معجزة له صلى الله عليه وآله وسلم لا علما بالغيب وفى اثبات العلم بما كان وما يكون لاحد من الكرام مذهب الرافضة فانهم يثبتون هذا لائمتهم افتراء منهم عليهم ولو كانوا عالمين بذلك لاستكثروا من الخير ولم يمسهم السوء الذى اصابهم من ايدى بنى امية وبنى العباس ولكن الامر الصواب انهم كانوا كسائر العباد فى عدم العلم بالمغيبات وشانهم ارفع من ان يدعوا لهم هذا الامر او يتفوهوا به على خلاف ملة الاسلام الحقة فقد دلت الادلة القرآنية والنصوص الحديثية على ان الله سبحانه مستاثر بعلم الغيب لا شريك له فى ذلك احد من خلقه ومن ادعى هذا فكانه ادعى الالوهية ونعوذ بالله منها وصفة العلم له سبحانه امام ائمة الصفات والآيات فى هذا الباب كثيرة طيبة جدا لا يحصرها المقام ولا تخفى على من له بالتلاوة ادنى المام

باب فى رد الاشراك فى التصرف

قال الله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ الملكوت الملك وزيادة التاء للمبالغة نحو جبروت و رحموت ورهبوت ورغبوت وقال مجاهد يعنى خزائن كل شئ وهو يجير اى يغيث غيره اذا شاء ويمنعه ولا يجار عليه اى لا يمنع احد احدا من عذاب الله ولا يقدر على نصره واغاثته يقال اجرت فلانا اذا استغاث بك فحميته واجرت عليه اذا حميت عنه والمعنى يحمى ولا يحمى عليه ان كنتم تعلمون فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اى تصرفون عن الحق وتخدعون والمعنى كيف يخيل اليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا و الخادع لهم هو الشيطان او الهوى او كلاهما قال بعض العلماء يعنى ان كل من سألته من الذى شانه ان يكون كل شئ فى قدرته وقبضته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقدر احد على ان يقبض على يده ويمسكها او يلقى يده فى حماه ولا يجد مذنبه ملجأ يلجأ اليه ولا تنفع حماية احد فى مقابلته فيجيبه كل مسئول عن هذا ان ذلك هو شان الله وحده لا شريك له واذا تقرر هذا عرفت ان طلب الحاجة من غير الله خبط محض وخلل فى العقل صرف وهوى متبع وهذه الآية دلت على ان كفار زمنه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا قائلين بانه لا ند لله تعالى فى هذا الامر والتصرف ولا يستطيع احد ان يقابله وانما كانوا

يرون الاصنام والاوثان وكلاء هم عند الله فيعبدونها فصاروا بذلك كفارا مشركين فمن اثبت
لمخلوق تصرفا فى العالم وعده وكيلا له عنده سبحانه فقد ثبت بهذا الشرك عليه وان لم يسوه بالله ولا
يثبت له قدرة فى مقابلته والوكيل هو من يقضى حاجة احد من تلقائه من دون ارادة الموكل المالك فلا
تمشى تلك الوكالة فى حضرة الله ابدا ومن ثم اطلق سبحانه لفظ الوكيل على نفسه المقدسة فى مواضع
من القرآن لان شان الله تبارك وتقدس اجل وارفع من ان يجار عليه وقال تعالى قل انى لا املك لكم
ضرا ولا رشدا اى لا اقدر ان ادفع عنكم غيا ولا اسوق اليكم خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه
وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول اولى لوقوع النكرتين فى سياق النفى فهما يعمان كل ضر ونفع
ورشد فى الدنيا والدين قل انى لن يجيرنى من الله احد اى لا يدفع عنى احد عذابه ان انزله بى كقول
صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته وهذا بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان
عجزه عن شئون غيره ولن اجد من دونه ملتحدا اى ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحترز به والملتحد
معناه فى اللغة الممال اى موضعا اميل اليه وهو الملجأ قال قتادة مولى وقال السدى حرزا وقال الكلبى
مدخلا فى الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقارب قال بعض اهل العلم ان الله امر
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للناس ويبلغهم انى لا املك لكم شيئا من نفع او نقصان ولا
تغتروا بان امنتم بى وصرتم فى امتى فتجاوزوا الحد على ان كفتكم ثقيلة ووكيلكم قوى بطل وشفيعكم
محبوب الله فنفعل ما نشاء ينجينا هو من عذاب الله فان هذا الخيال مختل لانى اخاف على نفسى ولا اجد من
دون الله ملجأ الجأ اليه فكيف انجى غيرى ومفهوم الآية الشريفة ان نسيان الناس لله اغترارا بالكرام و
الشهداء والمشائخ واعتمادا على حمايتهم عند الله وهم تاركون عظمة احكامه نابذون لاوامره ونواهيه
ضلالة محضة وغواية صرفة فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابى هو وامى شيخ الشيوخ اجمعين
وكان يخاف الله ليلا ونهارا ولا يجد غير رحمته سبحانه منجا فما ظنك بغيره وانى له ملتحد من دونه عند
مخالفة حكمه المحكم وقضائه المبرم وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا يعنى ان هؤلاء الكفار يعبدون معبودات لا تملك لهم رزقا اى رزق كائنا منهما وفى هذا
انكار منه سبحانه عليهم حيث اختاروا عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يستطيعون الفائدة فى نفى
الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة التملك بطريق من الطرق فبين سبحانه

انه لا يملك اصلا ولا يستطيع ابدا قال بعض العلماء المعنى انهم يعظمون غير الله مثل تعظيم الله مع ان ذلك الغير لا قدرة له فى ترزيقهم ولا يدلهم عليه لا فى السماء حتى يمطروا ولا فى الارض حتى ينبتوا ولا قدرة لهم على ذلك اى قدرة كانت ومفهوم الآية ان قول العامة (اسم ان ۱۲) ان الانبياء والاولياء والشهداء والائمة لهم تصرف فى العالم وقدرة عليه ولكنهم شاكرون لتقدير الله تعالى راضون بقضائه لا يقولون شيئا ولا يفعلون امرا دبا منهم ولو شاؤا التغيير والامور فى آن وسكوتهم انما هو تعظيما للشرع الشريف غلط فاضح (خبر ان ۱۲) وكذب واضح لانهم لا يستطيعون شيئا لا حالا ولا استقبالا ولا حول لهم على ذلك اصلا وهذه العقيدة فيهم شرك بالله سبحانه لانه ليس فى الدار غيره ديار وقال تعالى ولا تدع من دون الله اى على حال من الاحوال ما لا ينفعك ولا يضرك بشىء من النفع والضر ان دعوته ودعاء من كان هكذا لا يجلب نفعا ولا يقدر على ضر ضائع لا يفعله عاقل على تقدير انه لا يوجد من يقدر على النفع والضر غيره فكيف اذا كان موجودا فان العدول عن دعاء القادر الى دعاء غير القادر اقبح واقبح فان فعلت فانك اذا من الظالمين هذا جزاء الشرط اى فانك فى عدادهم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو اى ان الله سبحانه هو الضار النافع فان انزل بعبده ضرا لم يستطع احد ان يكشفه كائنا من كان بل هو المختص بكشفه كما اختص بانزاله وان يردك بخير اى خير كان لم يستطع احد ان يدفعه عنك ويحول بينك وبينه كائنا من كان قال النيسابوري فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض قلت وفيه نظر لان المس هو امر وراء الارادة فهو مستلزم لها فلا راد لفضله اى لا دافع لرزقه ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده وارادة الله قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل يصيب به اى بفضله او بكل واحد من الخير والضر من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم عن عامر بن قيس قال ثلث آيات فى كتاب الله اكتفيت بهن عن جميع الخلائق اولهن ان يمسسك الله الخ والثانية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له والثالثة وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها اخرجه البيهقى فى الشعب واخرج ابو الشيخ عن الحسن نحوه وبالجملة فالآية الشريفة دليل على رد الاشراك فى التصرف

قال بعض اهل العلم دعاء من لا ینفع ولا یضر وهو عاجز مع وجود القادر العزیز ظلم وعدول عن الحق الی الباطل وفیه اعطاء رتبة الکبیر للعاجز الحقیر الفقیر وفیه خطاب لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ونهی له عن دعاء غیره وان دعاء من دون الله یجعل الداعی من الظالمین لانفسهم وان النفع والضر لیس الا بید الله تعالی وهو المختص بارادتهما لمن شاء وقال تعالی قل ادعوا الذین زعمتم من دون الله هذا خطاب امر للنبی صلی الله علیه وآله وسلم بان یقول لکفار قریش او للکفار علی الاطلاق قال مقاتل یقول ادعوهم لیکشفوا عنکم الضر الذی نزل بکم فی سنی الجوع ثم اجاب عنهم سبحانه فقال لا یملکون مثقال ذرة فی السموات ولا فی الارض ای لیس لهم قدرة علی خیر ولا شر ولا علی جلب نفع ولا دفع ضر فی امر من الامور وذکر السموات والارض لقصد التعمیم لکونهما ظرف الموجودات الخارجیة وما لهم فیهما من شرک ای لیس للآلهة الباطلة فی السموات والارض مشارکة لا بالخلق ولا بالملک ولا بالتصرف وما له منهم من ظهیر ای ما لله تعالی من تلک الامور من معین یعینه علی شیء من امور السموات والارض ومن فیهما بل هو المنفرد بالایجاد والابقاء فهو الذی یعبد وعبادة غیره محال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال ای لا تنفع الشفاعة فی حال من الاحوال الا کائنة لمن اذن له ان یشفع من الملائکة والنبیین ونحوهم من اهل العلم والعمل ومعلوم ان هؤلاء لا یشفعون الا لمن یستحق الشفاعة لا للمشرکین والکافرین ولا یستحقها الا من عبد الله وحده لا شریک له وکان عاصیا لا مشرکا ولا مبتدعا بلغت به البدعة الی حد الکفر وقیل المعنی لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتاهلین لها فی حال من الاحوال الا کائنة لمن اذن لهم ای لاجله وفی شانه من المستحقین للشفاعة لهم لا من عداهم من غیر المستحقین لها وقیل المراد بقوله لا تنفع الشفاعة انها لا توجد اصلا الا لمن اذن له وانما علق النفی بنفعها لا بوقوعها تصریحا بنفی ما هو غرضهم من وقوعها ومثل هذه الآیة قوله تعالی من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه وقوله سبحانه ولا یشفعون الا لمن ارتضی وهذا تکذیب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد ثبت بهذا ان الشفاعة لا تکون الا باذن الله ولا تکون الا لمن ارتضی ولا یعلم احد هل هو ممن ارتضی له ام لا ثم اخبر الله سبحانه عن خوف هؤلاء الشفعاء والمشفوع لهم فقال حتی اذا فزع عن قلوبهم الفاعل هو الله سبحانه وقرئ مبنیا للفاعل وفاعله ضمیر یرجع الیه سبحانه وکلتا القراءتین بتشدید الزای وفعل معناه السلب فالتفزیع ازالة الفزع وقرئ مخففا قال قطرب معنی فزع اخرج ما فیها من الفزع وهو الخوف وقال مجاهد کشف عن

قلوبهم الغطاء یوم القیامة وقال ابن عباس فزع جُلی والمعنی ان الشفاعة لاتکون من احد من
هؤلاء المعبودین من دون الله من الملائکة والانبیاء والاصنام کائنا من کان الا ان یاذن الله للملائکة
والانبیاء ونحوهم فی الشفاعة لمن یستحقها وهم علی غایة الفزع من الله کما قال تعالیٰ وهم من خشیته
مشفقون فاذا اذن لهم فی الشفاعة فزعوا بما یقترن بتلك الحالة من الامر الهائل والخوف الشدید
من ان یقع فی تنفیذ ما اذن لهم فیه تقصیر او یحدث شیئ من اقدار الله فاذا سری عنهم قالوا
للملائکة فوقهم وهم الذین یوردون علیهم الوحی بالاذن ماذا قال ربکم ای ماذا امر الله به قالوا
ای فیقولون لهم قال القول الحق وهو قبول شفاعتکم للمستحقین لها دون غیرهم وهو العلی الکبیر
فله ان یحکم فی عباده بما یشاء ویفعل ما یرید لیس لملك ولا نبی ان یتکلم ذلك الیوم الا باذنه وان
یشفع الا لمن ارتضی وقیل هذا الفزع یکون للملائکة فی کل امر یامر به الرب والمعنی لا تنفع الشفاعة
الا من الملائکة الذین هم فزعون الیوم مطیعون لله دون الجمادات والشیاطین وقیل ان الذین
یقولون ماذا قال ربکم هم المشفوع لهم والذین اجابوهم هم الشفعاء من الملائکة والانبیاء وقال الحسن
وابن زید ومجاهد معنی الایة حتی اذا کشف الفزع عن قلوب المشرکین فی الاخرة قالت لهم الملائکة
ماذا قال ربکم فی الدنیا قالوا الحق فاقروا حین لا ینفعهم الاقرار وقیل انما یفزعون حذرا
من قیام الساعة وقیل کشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت اخرج ابن ابی حاتم وابن مردویه
عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما اوحی الجبار الی محمد صلی الله علیه وآله وسلم دعا الرسول من
الملائکة لیبعثه بالوحی فسمعت الملائکة صوت الجبار یتکلم بالوحی فلما کشف عن قلوبهم سألوا
عما قال الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا یقول الا حقا قال ابن عباس وصوت الوحی کصوت الحدید
علی الصفا فلما سمعوا خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربکم قالوا الحق وهو العلی الکبیر
واخرج عبد بن حمید وابن المنذر وابن ابی حاتم ایضا عنه قال ینزل الامر الی السماء الدنیا له وقعة
کوقعة السلسلة علی الصخرة فیفزع له جمیع اهل السموات فیقولون ماذا قال ربکم ثم یرجعون
الی انفسهم فیقولون الحق وهو العلی الکبیر وقد اخرج البخاری وابو داؤد والترمذی وابن ماجة
وغیرهم من حدیث ابی هریرة رضی الله عنه ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال اذا قضی
الله الامر فی السماء ضربت الملائکة باجنحتها خضعانا لقوله کانه سلسلة علی صفوان

ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذی قال الحق وهو العلی الكبير قال الترمذی هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحی سمع اهل السموات صلصلة كجرس السلسلة علی الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتی ياتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق اخرجه ابوداؤد والصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها علی بعض وفی معناه احاديث هذا تفسير الاية علی وفق ما ذكره المفسرون وفيه بيان اشياء منها نفی مشاركة مخلوق بالخالق فی شیء ومنها عدم نفع الشفاعة عنده تعالیٰ الا لمن اذن له ومنها فزع الخلق من الملائكة والانبياء ونحوهم عند نزول الامر منه سبحانه ومنها كيفية نزول الوحی فی الاحاديث المذكورة فی تفسير هذه الاية ومنها ان للوحی صوتاً يسمع ومنها علوه سبحانه علی خلقه وكونه فوقه كما قال فی اية اخری الرحمن علی العرش استوی الی غير ذلك والمراد بايرادها فی هذا الموضع هو رد الاشراك فی التصرف فقط قال بعض اهل العلم فی تفسير هذه الاية يعنی ان من يسأل مراداً لاحد او يدعوه عند مشكل فلا بد ان يكون ذلك المسئول او المدعو مالكا بنفسه او شريكا لمالك فی ملكه او تكون شوكته علی حالة كما يقبل السلطان قول الامراء والوزراء لشوكتهم وشانهم الرفيع ومكانهم المنيع لانهم عضد له وركن لسلطنته وفی سخطهم تفسد السلطنة عليه او يشفع احد عند ذلك الامر فيقبل شفاعته طوعاً او كرهاً كقبول شفاعة ازواج الملوك وابناءهم فان الملك لا يرد شفاعتهم لمحبته لهم وان لم يرض قلبه بها فيقبل منهم الشفاعة علی رضیً او سخط فالذين يدعونهم هؤلاء ويسألون منهم المرادات ليسوا بمالك لذرة فی السموات ولا فی الارض ولا هو شريك فيهما ولا ركن فی سلطنة الله تعالیٰ ولا عضد له سبحانه حتی يقبل منه ما يقول رعاية لشوكته ومكانته بل لا يقدر هو علی الشفاعة من دون اذن الله له بها حتی يقبلها منه طوعاً او كرهاً بل المسئولون والمدعوون المذكورون حالهم فی حضرته تعالیٰ شانه انهم اذا قضی الله امراً وحكم حكماً يفزعون ويدهشون ويرعبون ومن غاية الرعب وغاية الدهشة لا يستطيعون ان يسألوه عنه مرة اخری ماذا قال وحكم وانما يسأل واحد عن اخر عن شان ذلك القضاء والامر فاذا تحقق انه سبحانه قال كذا وامر كذا قالوا امنا وصدقنا فضلاً عن ان يردوه عليه ويتنازعوا فيه ولا قدرة لاحد ان يصير وكيلا وحاميا لاحد قال رضی الله عنه وهذا كلام نافع استمع اله وكونوا علی ذكر منه وهو ان اكثر الناس عيال علی شفاعة الانبياء والاولياء

ومعولون عليها وهم ناسون الله غلطا منهم فى المعنى المراد فعليك ان تفقه معنى الشفاعة فاعلم ان الشفاعة عبارة عن السعى فى حق احد بالخير وهى فى الدنيا على انحاء منها ثبوت السرقة مثلا على ذمة احد عند السلطان فيشفع له اميرا ووزيرا وكبير فيعفو عنه ولا يحده ويبقى سليما من العذاب وهذه الصورة فيها ان السلطان يريد بقلبه الاخذ عليه ومن سرق مستحق للجزاء الذى هو معين فى قانونه وديوانه ولكن قبل السلطان شفاعة ذلك الامير نظرا الى شوكته وشانه وعفا عن تقصير السارق لكون الشافع فيه ركنا من اركان سلطنته وناصحا لمملكته فيظن السلطان ان كظم الغيظ فى موضع واحد والعفو عن سارق خير من ان يسخط على امير كبير تخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه ويذهب رونق الدولة باغتضابه فمثل هذه الشفاعة يقال لها شفاعة الوجاهة يعنى قبلت هذه الشفاعة بناء على وجاهة ذلك الامير او الكبير ونحوهما ولولا هذه الوجاهة لم تقبل فمثلها من الشفاعة لا تمشى فى حضرة الواحد القهار ولا تقبل ولا يقدر احد ان يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه ابد الآباد ومن اعتقد ان احدا من الانبياء والاولياء والائمة والشهداء والملائكة والكبراء والكرماء يشفع عند الله مثل هذه الشفاعة فهو مشرك على الحقيقة وجاهل عظيم لم يفهم معنى الالهية وما قدر مالك الملك حق قدره بل الله هو ملك الملوك وشانه الرفيع ان يشاء خلق الآفا والوفا من الاولياء والجن والملائكة ومثل جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بلفظة كن فى آن واحد ويقلب العالم كله من العرش الى الفرش فى ساعة واحدة ويقيم عالما آخر مقامه كيف واذا اراد شيئا يقول له كن فيكون لا يحتاج فى صفة تكوينه الى اسباب والآت ومواد ولو فرض ان الاولين والآخرين من الجن والانس اجمعين يصيرون كجبريل ومحمد عليهما السلام والصلوة لا يزيد رونق فى سلطنة هذا المالك مالك الملك وملك الملوك وان صار كلهم اجمعون كالشيطان والدجال لا ينقص فى ملكه ومملكته شئ ولا يذهب رونقه اصلا فانه تعالى شانه اكبر الكبراء واعظم العظماء وسلطان السلاطين ومالك المالكين واحكم الحاكمين ليس لاحد ان يفسد شيئا منه او يصلح امره الصورة الثانية ان يشفع فى ذلك السارق محبوب لسلطان ومعشوق له ويمنعه عن عقابه فيقبل السلطان شفاعته حبا للشفيع وكرامة له ويعفو عن ذنب السرقة بهذا العجز وهذه الشفاعة يقال لها شفاعة المحبة يعنى ان السلطان قبل هذه الشفاعة بناء على حب الحبيب وظن ان كظم الغيظ مرة واحدة والعفو عن السارق حفظا للحب خير من هم وغم يلحقه من ذهاب المحبوب

شفاعة الوجاهة

شفاعة المحبة

من عنده فمثل هذه الشفاعة ايضا لا تمكن فی حضرته المقدسة ومن زعم ان مثلها تقبل فی جناب
الله ويقدر احد على مثلها فيه فهو مشرك بالله وجاهل به سبحانه كما تقدم سواء بسواء بل الله تعالى
وان اكرم احدا من عباده واتخذ حبيبا له او خليلا او كليما او روحا او وجيها او يخاطب احدا منهم
بالرسول الكريم او الروح الامين او روح القدس او المكين فالمالك مالك والمملوك مملوك وما للتراب ورب
الارباب ؎ الرب رب وان تنزل ＊ والعبد عبد وان ترقى ＊ لا يستطيع احد ان يضع قدمه خارجة عن
دائرة العبودية او يتجاوز عن حد المملوكية والرقية بل كما يذوق رحمته فی كل آن مع الفرح والنشاط فكذلك
يشق كبده من هيبته فی كل حال وزمان الصورة الثالثة ان السرقة ثبتت على السارق لكن ليست السرقة من
شنشنته القديمة وانه لم يجعل السرقة حرفة لنفسه ولكن وقع هذا الذنب منه بشؤم النفس الامارة بالسوء
فهو عليه نادم ويخاف منه ليلا ونهارا ويقبل قانون السلطان فی حقه بالراس والعين ويرى نفسه ذات
خطأ وقصور مستحقة للعقاب والجزاء ولا يلتجئ ويلوذ باحد من الامراء والوزراء فرارا من جناب السلطان
ولا يعول على حماية احد منهم فی مقابلته بل يرى وجه الملك ليلته ونهاره ماذا يحكم فی حقه وبماذا
يقضى عليه فيرحم عليه السلطان ويلين له فؤاده ولكن لا يتجاوز عنه لقانون سلطنته بلا سبب صحيح
ووجه سائغ لئلا يخف قدر هذا القانون فی اعين الناس ويستخفونه فيدرك اميرا او وزيرا مرضاته فی
العفو عن ذلك السارق فيشفع له ويسعى فيه والسلطان يعفو عن ذنبه زيادة فی عزة ذلك الامير
فی الظاهر باسم الشفاعة وذلك الامير لم يشفع فيه لكونه من ذوی قرباه او صديقا له او حماية عنده تعالى
بل انما شفع بعدما وجد مرضاة الملك الكبير فيه كيف وهو امير السلطان ليست بحامی السارق فلو شفع
فيه حماية لصار سارقا بنفسه لا شفيعا فی غيره وهذه الشفاعة يقال لها الشفاعة بالاذن يعنی تكون هذه
الشفاعة باذن من مالكها لحضرة الله سبحانه تكون فيها مثل هذه الشفاعة وكل نبی وولی وصالح جاء ذكر
شفاعته فی القرآن والحديث فالمراد بها هی التی قررناها لا غير فعلى كل عبد ان يدعو الله وحده فی كل آن و
منه يخاف واليه يلتجئ وفی تجاهه يبوء بالآثام ويعترف بالذنوب ويؤمن بانه تعالى هو المالك له والحامی
اياه وكلما وسم خياله وساقه اليه لا يجد ملجأ وملاذا ومنجأ الا هو سبحانه ولا يعول على حماية
احد كائنا من كان فليس قريبة وراء عبادان كيف والله سبحانه هو الغفور الرحيم يحل المشكلات ويسهل
المعضلات وييسر الصعوبات بفضله وكرمه ومنه ولطفه واحسانه وهو غافر الذنب بافاضة رحمته على

الشفاعة بالاذن

للمذنبين ويجعل من شاء شفيعا لاى مشفوع باذنه ايضاحا لغفرانه واعلاما برضوانه وبالجملة كما ينبغي
ان يفوض كل حاجته اليه فكذلك يفوض هذه الحاجة اليه ايضا حتى يجعل من شاء شافعا مشفعا
له لا ان يعتمد على حماية احد غيره ويدعوه لعونه ونصره وينسى الله القادر العزيز ويستخف باحكامه
الحكمة وشرعه الشريف، ويقدم سلوك سبل حماته ويقلدهم فيما ياتى به ويذر فان هذا اقبح جدا وكل
الانبياء والاولياء بريئون منه ساخطون عليه لا يكونون له شفعاء ابدا ولا يسعون له اصلا بل
اولئك يغتاظون عليه ويكونون له اعداء كيف وكرامتهم فى الدنيا والدين هى تقديمهم مرضاة
الله على مرضاة جميع الخلائق من المريدين والتلامذة والاجيرين والمماليك والاحباب والاصحاب في
كانوا اذا رأوا من احد خلاف مرضاة الله شيئا صاروا له اعداء فى الدنيا فمن اين انهم يكونون
شفعاء لهؤلاء الدعاة لهم ويجادلون فيهم عند الله على خلاف مراد الله سبحانه بل ان فعلوا مثل ذلك
يسخط عليهم ربهم ولم تبق كرامتهم وشرافتهم التى حصلت لهم الحق الحقيق بالقبول ان الحب لا حد
لله والبغض لله شان اولياء الله الكرام فكل من استقر ارادة الله فى حقه ان يدخله فى النار فهم حاضرون
لدفعه فيها مرارا ومن تعلقت مشيئة الله تعالى بنجاته من النار وعرفوا مرضاته فى شفاعته فاستعدوا
للشفاعة تحصيلا لرضاء الواحد الجبار قال الرازى فى تفسيره الكبير لا يملك احد في يوم القيامة شيئا
فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله تعالى فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الذى ياذن فى تلك
الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وقال القسطلانى فى الفصل
الثانى من المقصد الخامس من المواهب اللدنية اما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى ان يدخل
احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلى الله عليه وآله وسلم يرضى بما يرضى به
تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله صلعم حدا
يشفع فيهم الى ان قال الله تعالى ياذن له فى الشفاعة فيشفع فيمن شاء ان يشفع فيه ولا يشفع فى غير
من اذن له ورضيه قال فى لباب التاويل تحت قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه اى بامره
وهذا استفهام انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك ان المشركين زعموا
ان الاصنام يشفعون لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد
بذلك شفاعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشفاعة الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين

بعضهم لبعض انتهى قال عياض جاء فى حديث انس وحديث ابى هريرة ابتداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد سجوده وحمده والاذن له فى الشفاعة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم امتى امتى وقد وقع فى حديث حذيفة وابى هريرة ما لفظه فياتون محمدا فيقوم محمد فيؤذن له فى الشفاعة وقال النووى فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فياتونى فاستاذن على ربى فيؤذن لى قال عياض معناه فيؤذن لى فى الشفاعة الموعود بها وقال الخازن تحت قوله سبحانه قل لله الشفاعة جميعا اى لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو ياذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده انتهى والحاصل ان الامة اجمعت على جواز الشفاعة ووقوعها من الانبياء والاولياء والصلحاء والملائكة وغيرهم يوم القيامة بعد الاذن من الله لمن شاء الله العفو عن ذنوبه والمغفرة له لا لكل مذنب ولا من دون اذن وهذه المسئلة من الوضوح بمكان لا يخفى الا على من اعمى الله بصر بصيرته وابتلى بالشرك وهوى به الهوى فى مكان سحيق وقال تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا الاستفهام للتقريع والتوبيخ اى كيف يجعلون لله شريكا لا يخلق شيئا ولا يقدر على نفع لهم ولا دفع ضر عنهم وهم يخلقون اى هؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الاصنام والشياطين مخلوقون وجمعهم جمع العقلاء لاعتقاد من جعلهم شركاء انهم كذلك ولا يستطيعون لهم اى لمن جعلهم شركاء نصرا اى ان طلبوه منهم ولا انفسهم ينصرون ان حصل عليهم شئ من جهة غيرهم ومن عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غيره اعجز وان تدعوهم الى الهدى هذا خطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت وبيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفى عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب من غير تحصيله للطالب اى وان تدعوا هؤلاء الشركاء الى الهدى والرشاد بان تطلبوا منهم ان يهدوكم ويرشدوكم لا يتبعوكم ولا يجيبوكم الى ذلك وهو دون ما تطلبونه منهم من جلب النفع و دفع الضر والنصر على الاعداء سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اى دعاءكم لهم عند الشدائد وعدمه سواء لا فرق بينهما لانهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يسمعون ولا يجيبون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم مع انكم اكمل منهم لانكم احياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون وهذه الاصنام ليست كذلك ولكنها مثلكم فى كونها مملوكة لله مع قوم كانوا يعبدونها والاول اولى وانما وصفها بانها عباد مع انها جماد تنزيلا لها منزلة العقلاء على وفق معتقدهم ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم اى ادعوا هؤلاء الشركاء ايها المشركون فان كانوا كما تزعمون فليستجيبوا لكم وانما ورد هذا اللفظ

فى معرض الاستهزاء بالمشركين ان كنتم صادقين فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضر وانها الهة تقدرين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها الاستفهام للتقريع والتوبيخ اى هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء ليس لهم شئ من الألات التى هى ثابتة لكم فضلا عن ان يكونوا قادرين على ما تطلبونه منهم فانهم كما ترون هذه الاصنام التى تعكفون على عبادتها ليست لهم ارجل يمشون بها فى نفع انفسهم فضلا عن ان يمشوا فى نفعكم وليس لهم ايد يبطشون بها كما يبطش غيرهم من الاحياء وليس لهم اعين يبصرون بها كما تبصرون وليس لهم اذان يسمعون بها كما تسمعون فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من سلب الادوات وبهذه المنزلة من العجز قل ادعوا شركاءكم الذين تزعمون ان لهم قدرة على النفع والضرر واستعينوا بهم فى عداوتى حتى يتبين عجزها ثم كيدون انتم وهم جميعا بما شئتم من وجوه الكيد فلا تنظرون اى فلا تمهلونى ولا تؤخروا انزال الضرر بى من جهتها والكيد المكر وليس بعد هذا التحدى لهم والتعجيز لاصنامهم شئ وهذه الاية وان نزلت فى من يشرك بالله بعبادة الاصنام ولكنها تشمل بعمومها كل من عبد من دون الله لان العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من هو دون الله عاجز عن ايصال النفع ودفع الضرر مطلقا وفيه نفى تصرف غير الله فى العالم ويؤيده قوله تعالى فى اخر هذه الاية والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون كرر سبحانه هذا لمزيد التاكيد والتقرير ولما فى تكرار التوبيخ والتقريع من الاهانة للمشركين والتنقص بهم واظهار سخف عقولهم وركاكة احلامهم وقيل الاولى على جهة التقريع والتوبيخ والاخرى على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين هذه الاصنام وان تدعوهم اى المشركين قاله الحسن وقيل اى الاصنام الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لانهم قد صمت عن سماع الحق فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفى الاتباع وتراهم الرؤية بصرية ينظرون اليك اى يقابلونك كالناظر وهم اى حال كونهم لا يبصرون اى الاصنام يشبهون الناظرين ولا اعين لهم يبصرون بها وقيل المراد بذلك المشركون اخبر الله عنهم بانهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بابصارهم وان ابصروا بها غير ما فيه نفعهم **وقال تعالى** ويعبدون من دون الله اى متجاوزين الله سبحانه الى عبادة غيره لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء

بها وضم عبادة الغير اليها للتقرب والشفاعة ما لا يضرهم ولا ينفعهم ای ما ليس من شانه الضر ولا النفع ومن حق المعبود ان يكون مثيبا لمن اطاعه معاقبا لمن عصاه ونفی الضر والنفع هنا عن الاصنام ونحوها باعتبار الذات واثباتهما لها فی الحج فی قوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه باعتبار السبب فلا منافاة بينهما ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ای زعموا انهم يشفعون لهم فی الآخرة فلا يعذبهم الله بذنوبهم قاله ابن جريج وهذا غاية الجهالة منهم حيث ينظرون الشفاعة فی المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر فی الحال وقيل اراد بهذه الشفاعة اصلاح احوال دنياهم قاله الحسن ای لانكارهم البعث وما يترتب عليه ثم امر الله سبحانه رسوله صلی الله عليه وآله وسلم بان يجيب عنهم فقال قل لهم تبكيتا أتنبئون الله بما لا يعلم فی السموات ولا فی الارض ای اتخبرون الله ان له شركاء فی ملكه وتصرفه يعبدون كما يعبد او تخبرونه ان لكم شفعاء بغير اذنه والله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا شفيعا بغير اذنه من جميع مخلوقاته الذين هم فی سمواته وفی ارضه وهذا الكلام حاصله عدم وجود من هو كذلك اصلا وفی هذا من التهكم بالمشركين والكفار ما لا يخفی سبحانه وتعالی عما يشركون نزه الله سبحانه نفسه عن اشراكهم والآية دليل علی نفی قدرة الضر والنفع لشركاء الله فی زعم المشركين سواء كانوا اصناما او غيرها لعموم اللفظ وتحقق مصداق ذلك فی غيرها من معتقدی الاموات وعابدی القبور **وقال تعالی** قل من رب السموات والارض ای خالقهما ومتولی امورهما امر الله سبحانه رسوله ان يسأل الكفار من ربهما سؤال تقرير ثم لما كانوا يقرون بذلك ويعترفون به كما حكاه الله سبحانه فی قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله امر رسوله صلی الله عليه وآله وسلم ان يجيب فقال قل الله فكانه حكی جوابهم وما يعتقدونه لانهم ربما تلعثموا فی الجواب حذرا مما يلزمهم ثم امره بان يلزمهم الحجة ويبكتهم فقال قل أفاتخذتم الاستفهام للانكار ای اذا كان رب السموات والارض هو الله كما تقرون بذلك وتعترفون به كما حكاه سبحانه عنكم بقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فما بالكم اتخذتم لانفسكم بعد اقراركم هذا من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا يضرون به غيرهم او يدفعونه عن انفسهم فكيف ترجون منهم النفع والضر وهم لا يملكونهما لانفسهم ثم ضرب الله لهم مثلا وامر رسوله صلی الله عليه وآله وسلم ان يقول لهم